شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال

تأليف

سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بن حسن السلمي
المتوفى ٦٦٠هـ

ويليه

الشجرة في الوعظ

تأليف

العلامة عز الدين بن عبد السلام بن غانم المقدسي
المتوفى ٦٧٨هـ

كلاهما تحقيق
أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3607-0



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١].

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي المصطفى ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد..

فإن بين يديك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب النافع الرائع، الذي بمثابة قولـــه - عزَّ وجل -: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِـينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ ، ٢٥].

فقد جمع فيه المصنف دررًا وفوائد، أفرد بعضها بالذكر والاختصـــار في كتـــبٍ صنفها قبله مثل قواعد الأحكام في مصالح الأنام الكـــبرى والصـــغرى، المقاصـــد، ومقاصد الرعاية، وغيرها مما جعل هذا الكتاب شرحًا وإجمالا وتتمة لما ذكره وصـــنفه في كتب له متقدّمة عليه، وكان ذلك قبل وفاته - رضي الله عنه - بخمس سنوات.

فلما رأينا أهمية الكتاب، قمنا بتحقيقه، وتخريج أحاديثه، وعزو آياته، والتعليـــق عليه قدر المستطاع، وعدم الإطالة في تحقيقه، وهذا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب مـــن الخير والصواب.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر **للشيخ/ حسين عكاشة** لحسن بحثه ومساعدته لنا وكذلك لزوجتي - أم الحسن بنت عبد الفتاح - ولوالديّ - رحمهمـــا الله تعـــالى - وأسكنهما فسيح جنة الفردوس والنعيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المقرَّبين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه أبو الحسن المزيدي
أحمد فريد أحمد مزيد
الأثري الشافعي الأزهري
الأندلس - الهرم

ترجمة موجزة للمصنف

هو العلامة الشيخ الإمام الفقيه المجتهد حجة الإسلام، وشيخ الإسلام، عز الدين: أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلمي الدِّمشقي الشافعي.

ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة أو في التي بعدها.

أخذ العلم عن أحمد الموّازيني، وبركات بن إبراهيم الخُشوعي، والقاسم بن عساكر، وعمر بن طَبرزد، وحنبل بن عبدالله، وغيرهم.

وأخذ عنه: الدمياطي، وابن دقيق العبد، وشهاب الدين بن فرح، واليونيني، وابن بهرام الحلبي، وغيرهم.

له باع طويل معروف في العلم والاجتهاد، وفي نصرة الحق والجهاد؛ فهو وحيد عصره، شيخ الشافعية، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، العالم الورع الشجاع.

قال الأسنوي: كان - رحمه الله - شيخ الإسلام علمًا وعملا، يهين الملوك فمن دونهم، ويغلظ القول عليهم.

من مصنفاته:

١- تفسير القرآن وهو مختصر النكت والعيون للماوردي.
٢- الجمع بين الحاوي والنهاية.
٣- شرح أسماء الله الحسنى.
٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام.
٥- القواعد الصغرى.
٦- شجرة المعارف - كتابنا هذا -.
٧- بداية السول في تفضيل الرسول.
٨- الألغاز في النحو.
٩- أمالي العز.
١٠- الفرق بين الإسلام والإيمان.
١١- أحكام الجهاد وفضله.
١٢- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز.
١٣- الأنواع.
١٤- بيان أحوال الناس يوم القيامة.
١٥- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشّام.

١٦- الترغيب في صلاة الرغائب الموضوعة.
١٧- الرد على المبتدعة والحشوية.
١٨- رسالة في علم التوحيد.
١٩- رسالة في القطب والغوث والأبدال وغيرهم.
٢٠- شرح حديث أم زرع.
٢١- شرح حديث لا ضرر ولا ضرار.
٢٢- شرح منتهى السول والأمل في علمي الجدل والأصول.
٢٣- ملحة الاعتقاد.
٢٤- الفتاوى المصرية.
٢٥- الفتاوى المجموعة.
٢٦- الفتاوى الموصلية.
٢٧- فوائد البلوى والمحن.
٢٨- الفوائد في اختصار المقاصد.
٢٩- قصيدة من ٣٣ بيتًا من بحر الوافر في مدح الكعبة.
٣٠- مختصر صحيح مسلم.
٣١- مجلس في ذم الحشيشة.
٣٢- مختصر مجاز القرآن.
٣٣- مقاصد الرعاية.
٣٤- مقاصد الصلاة.
٣٥- مقاصد الصوم.
٣٦- مناسك الحج.
٣٧- نبذة مفيدة في الرد على القائل بخلق القرآن.
٣٨- نهاية الرغبة في آداب الصحبة.
٣٩- وصية العزّ قبل موته.

هذا وقد تُوُفي سلطان العلماء زاهدًا قانعًا في دار البلاء سنة ٦٦٠هـ وقيل: ٦٥٩ هـ - بمصر المحروسة - ودُفن بسفح جبل المقطم وفيه ضريحه الذي لا يقبل صاحبه إلا القبر البسيط الحُطام غير مُزين ولا مزخرف الجدران؛ ليكون الزاهد السلطان، يبتغي عظيم الفردوس، وطيّب النعيم وواسع الجنان.

وحينما زرته قبل تحقيق هذا الكتاب اقشعر البدن، ورقّ الفؤاد لما كان فيه من حياة العلم والحق هؤلاء القوم والعباد.

مصادر ترجمته

١- أخبار العز بن عبد السلام لابنه شرف الدين عبد اللطيف كما في طبقات الشافعية للسبكي (٨/٢١٨،٢٤٥).

٢- دول الإسلام للذهبي (٢/١٦٦).

٣- سير أعلام النبلاء له (١٧/٣٢،٣٤).

٤- البداية والنهاية لابن كثير.

٥- طبقات الشافعية للأسنوي (٢/١٩٧،١٩٩).

٦- طبقات الشافعية لابن هداية (٢٢٢،٢٢٣).

٧- طبقات الشافعية لابن كثير (٢/٨٧٣،٨٧٥).

٨- طبقات المفسرين للداودي (١/٣١٥،٣٢٩).

٩- ذيل الروضتين (٢١٦).

١٠- عقود الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني (١/٣٣٨،٣٣٩).

١١- المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (٣/٢١٥).

١٢- فوات الوفيات (١/٢٨٧).

١٣- الوافي بالوفيات للصفدي (١٨/٥٢٠).

١٤- المنهل الصافي لابن تغري بردي (٧/٢٨٦).

١٥- النجوم الزاهرة له (٧/١٨٢).

١٦- هدية العارفين للبغدادي (١/٥٠٨).

١٧- الأعلام للزركلي (٤/٢١).

١٨- معجم المطبوعات لسركيس (١/١٦٤).

١٩- معجم المؤلفين لكمالة (٥/٢٤٩).

٢٠- العز لعبدالله الوهيبي.

٢١- العز للقاضي عبد الرحمن مراد.

٢٢- العز في مقدمات بعض كتبه المطبوعة.

وصف المخطوط وتوثيقه

تم تحقــيق هــذا الكتاب الذي ذكره جمع كبير من العلماء الذين أرخوا وترجموا للمصنف ضمن ثبت كتبه المذكورة لديهم.

منهم السبكي (٨/٢٤٨)، والسيوطي في حسن المحاضرة (١/٢٧٣)، والداودي (١/٣٢٠) وغيرهم.

والمخطوط الوحيد الذي لم نقف على غيره الذي بين أيدينا من محفوظات مكتبة الإسكوريال بإسبانيا، ومنه صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ٣٨٣ تصوف وآداب ورقمه في المصدر (١٥٣٦/١).

ويقع في ١٠٩ ورقة ذات وجهين، مضبوط الشكل والحركات أحيانًا، كتب سنة ٦٥٥هـ قبل وفاته بخمس سنوات على الأصح في تاريخ وفاته.

هذا، وقد اعتمدنا أيضًا على المطبوعة، فنرجو الله أن يتم النفع به، وأن يتقبل منا صالح العمل، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه
أبو الحسن
أحمد فريد المزيدي
باحث المخطوطات العربية

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما
قال الشيخ الفقيه الإمام العالم السيد الفاضل البارع العلامة وحيد
عصره وفريد دهره جامع أسباب الفضائل مفتي المسلمين عز الدين أبو محمد عبد
العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي رضي الله عنه ونفع المسلمين
بطول حياته بمنه وكرمه
الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه وشرفنا بخطابه وأدبنا بآدابه وجعلنا من أنصاره
وأحزابه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد فإن الله فضل الإنسان
بالنطق والبيان والعقل والعرفان ثم أدبه بالقرآن وأمره بكل حسن وإحسان
وزجره عن كل إثم وعدوان وعرفه أن علمه الظاهر والباطن ضربان أحدهما
موجب لخلود الجنان ورضى الرحمن والثاني موجب لدخول النيران وسخط
الديان إلا أن يعفو الكريم المنان فصل في بيان أسباب
سعادة الإنسان في معرفة الديان وطاعة الرحمن بفعل ما أمر به في
السر والإعلان وترك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان مما
يتعلق بالقلوب والأبدان فبدأ بإصلاح القلوب فإنها منبع كل
إحسان وكل إثم وعدوان فإن القلب الخاشع بالمعرفة والإيمان
صلح الجسد كله بالطاعة والإذعان وإذا فسد القلب بالجهل والكفران
فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان وصلاح القلوب ضربان
أحدهما قاصر كالمعرفة والإيمان والثاني متعد كإرادة الخير
والإحسان وصلاح الأجساد ضربان أحدهما قاصر كالركوع والسجود
والثاني متعد كالعفو والجود وفساد القلوب ضربان أحدهما قاصر
كالشك في الرسل والثاني متعد كإرادة البغي والعدوان وفساد الأبدان

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة شجرة المعارف والأحوال

وفقنا الله للاقتداء [illegible] والكف عن معصيته
وجعلنا من انصار [illegible]
وسنة نبيه [illegible] صلى الله وعلى آله وصحبه
وعترته والحمد لله على انعامه ومننه

تم كتاب شجرة المعارف والاحوال
وصالح [illegible] رحمه الله [illegible]

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة شجرة المعارف والأحوال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

صلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله، وسلم تسليمًا.

قال الشيخ الفقيه، الإمام العام، السيد الفاضل، البارع العلامة، مفتي المسلمين، عز الدين: أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي — رضي الله عنه - ومتع المسلمين بطول حياته بمنه وكرمه:-

الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، وأدبنا بآدابه، وجعلنا من أنصاره وأحزابه، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وأصحابه.

وبعد فإن الله فضل الإنسان بالنطق والبيان، والعقل والعرفان، ثم أدبه بالقرآن، وأمره بكل برٍ وإحسان، وزجره عن كل إثم وعدوان، وعَرَّفه أن عمله الظاهر والباطن ضربان: أحدهما، موجب لخلود الجنان ورضا الرحمن، والثاني، موجب لدخول النيران وسخط الديان إلا أن يعفو الكريم المنان.

فصل في بيان القربات

سعادة الإنسان في معرفة الديان، وطاعة الرحمن بفعل ما أمر به في السر والإعلان، وترك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان، مما يتعلق بالقلوب والأبدان.

فنبدأ بإصلاح القلوب فإنها منبع كل إحسان وكل إثم وعدوان، فإن القلب إذا صلح بالمعرفة والإيمان صلح الجسد كله بالطاعة والإذعان، وإذا فسد القلب بالجهل والكفران فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان.

وصلاح القلوب، ضربان: أحدهما: قاصد كالمعرفة والإيقان. والثاني: متعد كإرادة الجود والإحسان.

وصلاح الأجساد، ضربان: أحدهما: قاصر كالركوع والسجود. والثاني متعد كالعفو والجود.

وفساد القلوب، ضربان: أحدهما: قاصر كالشك والشرك. والثاني: متعد كإرادة البغي والعدوان.

(ق ١-ب) وفساد الأبدان، ضربان: أحدهما: قاصر كترك العبادات القاصرة، والثاني: متعد كالنميمة والبهتان.

ومن لطف الرحمن أنه لم يأمر إلا بما فيه مصلحة في الدارين أو في إحداهما، ولم ينه إلا عما فيه مفسدة فيهما أو في إحداهما.

والمصلحة لذة أو سببها، أو فرحة أو سببها، والمفسدة إثم أو سببه، أو غم أو سببه، فإن اشتمل فعل على مصلحة ومفسدة فالعبرة بأرجحهما، فإن استويا فقد يُخير بينهما.

فانحصر الإحسان في جلب المصالح الخالصة أو الراجحة، وفي دفع المفاسد الخالصة،

وانحصرت الإساءة في جلب المفاسد الخالصة أو الراجحة، وفي دفع المصالح الخالصة والراجحة[١].

---

(١) قال الإمام المحدث الفقيه سُلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في بيان حقيقة المصالح والمفاسد: المصالح أربعة أنواع: اللّذات وأسبابها، والأفراح وأسبابها، والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها، والغموم وأسبابها، وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية. فأما لذّات الدنيا وأسبابها وأفراحها وآلامها وأسبابها، وغمومها وأسبابها، فمعلومة بالعادات، ومن أفضل لذّات المعارف وبعض الأحوال، ولذات بعض الأفعال في حق الأنبياء والأبدال، فليس من جعلت قرة عينه الصلاة، كمن جعلت الصلاة شاقة عليه، وليس من يرتاح إلى إيتاء الزكاة كمن يبذلها وهو كاره لها. وأما لذات الآخرة وأسبابها وأفراحها وأسبابها، وآلامها وأسبابها وغمومها وأسبابها، فقد دلّ عليه الوعد والوعيد، والزجر والتهديد.
وأما اللذات فمثل قوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ وقوله: "وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾.
فائدة: سعى الناس كلهم في جانب الأفراح واللّذات، وفي درء الغموم المؤلمات، فمنهم من يطلب الأعلى من ذلك فالأعلى، وقليل ما هم، ومنهم من يقتصر على طلب الأدنى، ومنهم الساعون في المتوسطات، والقدر من وراء سعي السعادة، وكل متسبب في مطلوبه، فمن بين ظافر وخائب، ومغلوب وغالب، ورابح وخاسر، ومتمكن وحاسر، كلهم يتقلبون وإلى القضاء ينقلبون، فمن طلب لذات المعارف والأحوال في الدنيا، ولذة النظر والقرب في الآخرة، فهو أفضل الطالبين، لأن مطلوبه أفضل من كل مطلوب، ومن طلب نعيم الجنة وأفراحها ولذاتها فهو في الدرجة الثانية، ومن طلب أفراح هذه الدّار ولذاتها فهو في الدرجة الثالثة، ثم يتفاوت هؤلاء الطلاب في رتب مطلوباتهم، فمنهم الأعلون والأدنون والمتوسطون، فأما طُلاب الآخرة فاقتصروا من طلب لذات الدنيا وأفراحها على ما يدفع الحاجة أو الضرورة واشتغلوا بمطالب الآخرة، ولن يصل أحد منهم إلا إلى ما قُدر له، وقد عزّ بعضهم أنهم أدركوا بعض ما طلبوا، فظنوا أنهم نالوا ذلك بحزمهم وقواهم، فخابوا ونكصوا، ووكلوا إلى أنفسهم فهلكوا، ومنهم من واظب أنه لا ينال خيرًا إلا بتوفيق الله، ولا ينال خيرًا إلا بإرادة الله فهؤلاء لا يزالون في زيادة؛ لأن الطاعات والمعارف والأحوال إذا دامت أدّت إلى أمثالها وإلى أفضل منها.
وعلى الجملة، فمن أقبل على الله أقبل الله عليه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرّب منه ذراعًا، ومن تقرّب منه ذراعًا تقرّب منه باعًا، ومن مشى إليه هرول إليه، ومن نسب شيئًا إلى نفسه فذل وضل، ومن نسب الأشياء إلى خالقها المنعم بها كان في الزيادة لأنه تعالى قال: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧)، ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥). وانظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (ص١٢،١٣) ط مؤسسة الريان — بيروت.

فصل في آداب القرآن

أخلاق القرآن ضربان: أحدهما: التخلق بخصائص العبودية كالذل والإذعان، والثاني: التخلق ببعض صفات الربوبية كالعدل والإحسان، فإن صفات الإله ضربان، أحدهما: مختص به كالأزلية والأبدية والغنى عن الأكوان، والثاني: يمكن التخلق به، وهو ضربان: أحدهما: لا يجوز التخلق به كالعظمة والكبرياء، والثاني: وردت الشريعة بالتخلق به كالجود والحياء والحلم والوفاء، فالتخلق بذلك على حسب الإمكان مرضٍ للرحمن، مرغم للشيطان، ويدل على ذلك التخلق بآيات القرآن واتفاق أهل المعرفة والإيمان.

فصل في بيان فضائل الأعمال الظاهرة والباطنة

تشرف الأعمال الظاهرة والباطنة بأنفسها ومتعلقاتها وتفرقاتها وبما هي وسيلة إليه وحاثة عليه، فأفضل أعمالنا معرفة الذات والصفات؛ لأن معلقها أشرف المعلقات، وثمارها أفضل الثمرات، وكذلك جميع ما يتعلق بالله من الطاعات، فإن إجابته أفضل الإجابات، وطاعته أفضل الطاعات، وعبادته أفضل العبادات، ومخافته أجل المخافات، ومراقبته أجمل المراقبات، ومحبته أكمل المحبات، ومهابته أعظم المهابات، والإنابة / إليه خير الإنابات، (ق ٢-أ)
وذكره أشرف من كل ذكر، وشكره أجمل من كل شكر، والصبر لحكمه أفضل من كل صبر، والفكر في أوصافه أفضل من كل فكر، ورجاؤه أحسن من كل رجاء، ودعاؤه أولى من كل دعاء، والبكاء له أفضل من كل بكاء، والحياء منه أفضل من كل حياء، والفناء فيه أفضل من كل فناء والسخاء لأجله أفضل من كل سخاء، والالتجاء إليه أفضل من كل التجاء، والتضرع لهيبته أفضل التضرع، والتخشع لعظمته أفضل التخشع، والتصنع له أفضل التصنع، والتذلل لعزته أفضل التذلل، والتجمل بمعرفته أفضل التجمل، والتضعف لأجله أفضل التضعف، والتلطف لأجله أفضل التلطف، وتَعَرُّف ذاته وصفاته وأحكامه أفضل التعرف، والانقطاع إليه أفضل الانقطاع، والاستماع له أفضل الاستماع، والانشراح لأمره أفضل الانشراح، والفرح بطاعته أفضل الأفراح، وآدابه أفضل الآداب، وأحزابه خير الأحزاب، فطوبى لهم وحسن مآب.

فصل في تشرف الأحوال بأسبابها ومتعلقاتها

فالمهابة أفضل من المحبة؛ لأنها نشأت عن معرفة الجلال وتعلقت بالذات والصفات، ويليها المحبة الناشئة عن معرفة الجمال لأنها نشأت عن معرفة الجمال، ويليها المحبة الناشئة عن معرفة الإنعام والإفضال، ثم التوكل لأن منشأه ملاحظة التوحيد بالأفعال، ثم الخوف والرجاء؛ لأنهما نشئا عن ملاحظة الخير والشر وتعلقاتهما، لكنهما شرفا من جهة معرفة قدرة الله عليهما؛ إذ لا يُرجى من يعجز عن الخير، ولا يُخاف من لا يقدر على الضير.

فصل في بيان رتب الوسائل والأسباب

للوسائل أحكام المقاصد، وإن كانت كل مقصودها في الفضائل، فالوسائل إلى الحسن حسنة، وإلى القبيح قبيحة، وأفضل الوسائل ما أدى إلى أفضل المقاصد كالنظر المفضي إلى المعرفة والإيمان، وقد يحسن / الفعل الواحد من جهة ويقبح من جهة (ق ٢-ب) أخرى، وقد يقبح ويحسن باعتبار متعلقه وما يؤدي إليه ، فتعلم الخير ليفعل وتعلم الشر ليترك حسن، وتعلم الخير ليترك وتعلم الشر ليفعل قبيح، وتعلم مذاهب الكفار للرد عليهم حسن؛ لأدائه إلى إبطال مذاهبهم، وتعلم السحر ليعمل به قبيح، وتعلمه ليفرق بينه وبين المعجزة جائز؛ لأدائه إلى إثبات المعجزات، وتعلم الخنا والفحش قبيح؛ إذ لا فائدة فيه مع ما يشتمل عليه من تذكر القبائح، وإرادة الطاعات ومحبتها حسنان؛ لأدائهما إلى فعلها، وكراهة المعاصي حسنة، لأدائها إلى طرحها، وكراهية الطاعات قبيحة، لإفضائها إلى تركها، وملاحظة شرف الطاعات وثوابها حسنة لأدائها إليها، وملاحظة لذات المعاصي قبيحة لحثها عليها، وملاحظة مشاق الطاعات قبيحة، لأدائها إلى نبذها، وملاحظة قبح المعاصي وعقابها حسنة، لأدائها إلى رفضها، ومحبة الأبرار حسنة، لأدائها إلى موالاتهم ومعاضدتهم، ومحبة الفجار قبيحة، لأدائها إلى مصادقتهم و[متابعتهم][1]، وعداوة الكفار حسنة، لدعائها إلى منابذتهم، وعداوة الأخيار قبيحة؛ لإفضائها إلى مقاطعتهم، والغضب لله حسن؛ لأدائه إلى التقوى، والغضب للنفس قبيح

---

(١)حرفت في الأصل إلى [متباعديهم].

لإفضائه إلى اتباع الهوى، والصبر على الطاعات حسن لإفضائه إلى إقامتها، والصبر على المعاصي حسن؛ لأدائه إلى نبذها، والحرص على الحسنات والسيئات كالصبر عليهما، والنظر إلى زهرة الدنيا قبيح؛ لأدائه إلى الإخلاد إليها، والنظر إلى بهجة الآخرة حسن؛ لأدائه إلى الإقبال عليها، والتعجب من قبيح الباطل حسن؛ لزجره عنه، والتعجب من حسن الحق حسن؛ لأدائه إلى الإكثار منه، والاستهانة بالحق وأهله قبيحة لأدائها إلى نبذهما، والاستهانة بالباطل وأهله حسنة؛ لأدائها إلى رفضهما، والانشغال
(ق ٣-أ) عن الطاعات قبيح لأدائه إلى تقليلها، والتفرغ للطاعات / حسن؛ لأدائه إلى تكثيرها، واستصغار النعم قبيح لأدائه إلى كفرها، واستعظام النعم حسن؛ لأدائه إلى شكرها، وأقبح الغفلات عن رب الأرض والسموات، ثم الغفلة عن الطاعات، وأحسن الغفلات الغفلة عن المعاصي والمخالفات.

فصل في ثمرات المعارف وفوائدها

أفضل أوصاف الإنسان العرفان، وأفضل العرفان معرفة الديان؛ لأمرها بكل إحسان، وزجرها عن كل غدران، ويلي ذلك معرفة أحكام القرآن، وما وُعِدَ به أهل الطاعة والإيمان وأهل الكفر والعصيان، فثمرة معرفة الرحمن: أحوال بهية، وأموال سنية، وأفعال رضية، ودرجات أخروية، وثمرة معرفة أحكام القرآن اجتناب الطغيان واتباع الرضوان، وثمرة معرفة الوعد والوعيد الاعتبار بما أصاب أهل العصيان، والإقبال على الطاعة والإحسان، وثمرة معرفة خساسة الدنيا وفنائها احتقارها وعدم الالتفات إليها، وثمرة معرفة نفاسة الآخرة وبقائها الإقبال عليها والابتدار إليها، وثمرة امتلاء القلب بعرفان الديان رفض الأكوان ونبذ الإخوان وتقديم إرضاء الخالق على إرضاء الخلائق، فإن الله قد طبع عباده على إيثار أفضل الأغراض فأفضلها، وعلى طلب أمثلها فأمثلها، وعلى دفع أعظم الضررين بأدناهما، فلا يقدم المفضول على الفاضل إلا عيي جاهل برتب الفضائل، أو شقي غافل عن أعلى المنازل، فلا يشتغل بهذه الدار إلا جاهل بعظمة الملك الجبار، فإذاً الجهل بالفضائل والرذائل هو السبب في تقديم العاجل على الآجل، والمفضول على الفاضل، وفي ملابسة الرذائل ومجانبة الفضائل.

فصل في بيان ضرر الجهالات

أقبح الجهالات جهالة الإنسان بالملك الديان، وبأحكام القرآن، وبما أعـــده الله في الجنان (لأهل) الطاعة والإيمان، وبما أعده من النيران لأهل الجهل والعصيان، فالجهـــل (ق ٣-ب) بالله مثمر لأضداد ثمار العرفان، فإنه مفضٍ إلى خلود النيران وسخط الرحمن، والجهـــل ببعض الصفات مثمر لأضداد ثمار معرفة تلك الصفات من خير الدنيا والآخرة، والجهل بالأحكام مثمر لاكتساب الآثام، وأكل الحرام وظلم الأنام، وإضاعة الصلاة والصيام، والجهل بخساسة هذه الدار مثمر للإخلاد إليها، والجهل بنفاسة دار القرار مثمر لإيثار هذه الدنيا عليها، والجهل بأيام الله مثمر للغفلة والاغترار، والجرأة على معصية الجبار.

فصل فيما يتفاضل به العباد

أحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه العارفون بما يستحقه مولاهم، مـــن أوصـــاف الجلال ونعوت الكمال، وبما أسداه إلى عباده من الإنعام والإفضال، وبما يستحيل عليه من العيوب والنقائض والتحول والزوال، وبما يجوز له فعله من الأمر والنهي، والوعظ والزجر، والتبشير والإرسال، والحشر والنشر، والعقاب والثواب، والإهانة والإجلال، فهم لا يعبدون سواه، ولا يبغون إلا رضاه، قد أحضرهم لديه، فلا يشكون إلا إليـــه، ولا يبكون إلا عليه، فهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى كمال صفاته ناظرون، إن نظروا إلى جلاله هابوه وفنوا، وإن نظروا إلى جماله أحبوه وصبروا، وإن نظروا إلى شدة نقمته خافوه وأذعنوا، وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه، وإن نظـــروا إلى توحده بالأفعال لم يتوكلوا إلا عليه، وإن نظروا إلى اطلاعه عليهم استحيوا أن يخالفوه، وإن سمعوا نداءه أجابوا، وإن سمعوا تبشيره طابوا، وإن امتلأت قلوبهم مـــن عظمتـــه غابوا، فهم في هذه الرتب مختلفون، وفي هذه الأوصاف متفاوتون، فأفضلهم في هـــذه الدار أعلاهم غدًا في دار القرار، وأقربهم من العزيز الغفار.

فصل في أسباب الفضائل

للفضائل أسباب: / كسبية وغير كسبية، فغير الكسبية ستة: (ق ٤-أ)

أحدها: العقول والثواب المضاف إليها مرتب على آثاره؛ فإنها داعية إلى المعارف

والقربات وعلو الدرجات.

الثاني: الصفات الكريمة الغريزية كالغيرة والحلم، الرأفة والسخاء، والشجاعة والحياء، والثواب مراتب على آثارها، وأثر الغيرة دفع الفواحش وأسبابها عن الحرم، وأثر الحلم تأخير مؤاخذة المسيء إلى أن يبرد غليل المظلوم فيسهل عليه العفو عن الإساءة، وأثر الرأفة الإحسان الكامل والإنعام الشامل، وأثر السخاء بذل الأموال والمنافع في جميع أنواع القربات، وأثر الشجاعة دفع الأعداء عن النفوس والأموال والحرم والأطفال، وأثر الحياء الكف عن كل قبيح.

الثالث: المعارف الإلهامية وثوابها مختص بما تثمره من الأحوال والأعمال.

الرابع: الكرامات ككشف المغيبات، وخرق العادات، وهي فتنة للسالكين من وقف معها انقطع لشغله بها عن مولاه، ومن أعرض عنها بإقباله على الله ارتفع لانشغاله بمولاه.

الخامس: النبوة وهي أفضل المراتب وأعلى المطالب، ولا تنال بالمكاسب.

السادس: الرسالة وقد تكون كفاحًا بغير واسطة كقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات:١٧] ، وقد تكون بواسطة الملك كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر:١، ٢] .

وثواب هذه الأسباب الستة مختص بآثارها مع كونها شريفة في أعيانها، ولعل بعضها يكون أفضل من كثير من الثواب، كالنبوة والرسالة والمعارف الإلهامية، وأما الأسباب الأخر فكسبية يتعلق بها الأمر والحمد، والثواب العاجل والآجل، وهي أنواع:

أحدها: معرفة الله – عز وجل – ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهي أفضل الأعمال شرفًا وثمرًا، ويليها معرفة آدابه وأحكامه.

الثاني: الأحوال الناشئة عن معرفة الصفات كالمهابة / والمحبة، والتوبة، والمخافة، والرجاء، والفناء، ولها الثواب الجزيل على قدر فضائلها ومراتبها عند الرب الجليل. (ق ٤-ب)

الثالث: كل قول يقرب إلى الله – تعالى – وله أجره عند الله على قدر فوائده وفضائله.

الرابع: طاعة الله بالحواس وجميع الجوارح، وثوابها على قدر فوائدها وفضائلها.

الخامس: الكف عن المنهيات ظاهرها وباطنها، وثواب الصبر عنها على قدر مجاهدة النفس في تركها، واجتناب المحرمات أفضل من اجتناب المكروهات، كما أن فعل المفروضات أفضل من فعل المندوبات.

السادس: الكف عن الشبهات والمكروهات.

السابع: الكف عن فضول المباحات الشاغلة عن رب السماوات.

أما الثواب العاجل فكالأنس بالله، والرضا بقضائه، والارتياح بقربه، والتلذذ بمعرفته، والتعزز بطاعته، وبسط الأرزاق، والكفاية والهداية، وغير ذلك مما عجله الله - سبحانه - من ثواب الطاعات.

والآجل أنواع:

أحدها: النعيم الجثماني كالحور والقصور والولدان.

الثاني: النعيم الروحاني كالتعزز بجوار الله وقربه، وكلامه وسلامه، وتبشره بالرحمة والرضوان.

الثالث: رضا الرحمن ورؤية الديّان وهما أعلى نعيم الجنان؛ إذ لا يحيط بهما جنان، ولا ينعتهما لسان.

فصل في كيفية التفضيل

من فَضُل الخلائق في كل سبب من هذه الأسباب، كان أفضل الخلائق وأحبهم إلى الخالق، ولكل سبب من هذه الأسباب مراتب بعضها أفضل من بعض، فرتب الأنبياء متقاربة، وكذلك الرسل والعارفون، والزهاد والعباد، وأهل الجبلات الكريمة والأخلاق [القويمة][1]، والنبوة والرسالة أفضل الأسباب، والرسل أفضل من النبيين، والنبيون أفضل من العارفين، والعارفون أفضل من العاملين، والعاملون متفاوتون على

(١)ما بين [ ] حُرف في المخطوط إلى (القومية) وهو خطأ، والصواب ما أُثبت.

(ق ٥-أ) قدر الأعمال / والأحوال، وكذلك رتب الإلهامات والكرامات والدرجات الأخروات، ومهما تفاوت العباد في هذه الأسباب والصفات؛ فإن اتحد حسن الصفات كان المتصف بأكثرها أفضل من المتصف بأقلها، فأشد الرجلين خوفًا أو توكلا، أو مهابة أو محبة أشرف من الآخر، فإن اختلفت هذه الأوصاف كان التفضيل بأشرفها قدرًا، وأجلها فائدة، فالهائب أفضل من المحب، والمحب أفضل من المتوكل، والمتوكل أفضل من الخائف، والمصلي أفضل من المتوضئ، والغازي أفضل من الحاج، والمفترض أفضل من المتنفل، وكذلك سائر القربات.

فائدة: المعرفة حاثة على جميع الطاعات، والأوصاف الجبلية حاثة على بعض الطاعات، فإذا اجتمع الحثان على فعل أكد ودام، فبذل العارف السخي، وغيرة العارف الغيور، ورأفة العارف الرءوف؛ آكد وأتم من بذل غيره وغيرته ورأفته، لأن طبعه ومعرفته يحثان على ذلك ويدعوان إليه، وكذلك إحجام الحيي العارف عن القبائح، فإن معرفته وحياؤه يدُعَّانه عن كل قبيح ويمنعانه منه، ولذلك قال ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[(١)]؛ لأن طباعهم وفقههم وإيمانهم حواث على الأخلاق السنية.

فصل في كيفية إثمار المعرف للأحوال وما يترتب عليها

اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات يثمر حالا عليه أثر، وأقوالا سنية وأفعالا رضية، ومراتب دنيوية ودرجات أخروية، فمثل معرفة الذات والصفات ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا﴾ وهو معرفة الذات ﴿ثَابِتٌ﴾ بالحجة والبرهان ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وهو معرفة الصفات ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ مجدًا وشرفًا ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ من الأحوال والأقوال والأعمال ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ وهو خالقها؛ إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا / بإذنه وتوفيقه، منبت هذه الشجرة القلب (ق ٥-ب) الذي إذا صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله، أما في الحال فبالأقوال والأعمال، وأما في المآل فبنعيم الجنان ورضوان ذي الجلال، وإذا فسد البغي والضلال فسد الجسم

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٦)، ومسلم (٢٦٣٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

كله، أما في العاجل فبالمعاصي والإهمال، وأما في الآجل فبعذاب النار وغضب الجبار. من فقد فرعًا من فروع هذه الشجرة فقد ثمراته في الحال والمآل، فطوبى لمن غرس هذه الشجرة بالنظرة، وتفقدها بالتقوى، وحرسها بالاستقامة، ونفى عنها شعث المخالفة، وصانها من رياح الهوى، وخاف عليها من صواعق الشك، وبوائق الشرك، وجوائح سوء الخاتمة، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ولهذه الشجرة ثلاثة فروع، لكل فرع منها شعب وأغصان.

الفرع الأول: معرفة الصفات السالبة لكل عيب ونقصان، وهي متشعبة باعتبار مسلوباتها إلى شعب كثيرة كسلب السّنة والنوم والظلم والعدوان.

الفرع الثاني: معرفة صفات الذات، وشعبها سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

الفرع الثالث: معرفة الصفات الفعلية وشعبها باعتبار أنواع الأفعال كثيرة، كالضر والنفع، والغفر والستر، والإنعام والإفضال، والإعزاز والإذلال، وتثمر معرفة كل شعبة من هذه الشعب لما يناسبها من الأحوال، ولما يلائمها من الأقوال والأعمال، فعارف الجمال محب، وعارف الجلال هائب، وعارف سعة الرحمة راغب، وعارف شدة النقمة راهب، وعارف التوحد بالأفعال مفوض، وعارف العظمة فانٍ عن الأكوان، فالمعرفة أصل لكل خير ومصدر لكل بر، ومصرف لكل شر، مع شرفها بنفسها ومتعلقها وثمرها وأجرها، وأفضل الأحوال ما نشأ عن أشرف المعارف، وأشرف المعارف ما تعلق بالله وحده بحسب/ لا يشاركه غيره. (ق ٦-أ)

وفي مقاصد هذا الكتاب أبواب:



الباب الأول
في التخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان

وفيه فصول:

فصل لا يصلح لولاية الديّان من لم يتأدب بآداب القرآن
ولم يتخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان

فإنه محسن أمر بالإحسان، مفضل أمر بالإفضال، مجمل أمر بالإجمال، نافع أمر بالنفع، رافع أمر بالرفع، غفار أمر بالغفر، ستير أمر بالستر، جبار أمر بالجبر، قهار أمر بالقهر، حليم أمر بالحلم، عليم أمر بالعلم، حكيم أمر بالحكمة، رحيم أمر بالرحمة، صبور أمر بالصبر، شكور أمر بالشكر، قدوس أمر بالقدس، سلام أمر بالسلام.

فمن تخلق بصفات ذاته صلح لولايته ورضوانه، فنذكر في كل صفة دليلها وثمرة ملاحظتها والتخلق بها.

فصل فيما يتخلق به من أوصاف السلوب

المعارف كوًى ينظر منها بالبصائر إلى عالم الضمائر، فتشاهد القلوب ذاته وصفاته، فتعامله بما يليق بجلاله وجماله، ثم تأمر الأعضاء والجوارح بأن تعامله بما يليق بعظمته وكماله والقلوب بحضرته تعظمه وتشهده، والجوارح على أبواب القلوب توقره وتعبده، فلا يصلح أحد منهم لموالاته ومصافاته إلا أن يتخلق بآدابه ويتصف بصفاته؛ تذللا بعبادته، وعملا بصفاته، فأفضلهم في ذلك أكرمهم عليه، وأقربهم إليه.

فمن أوصافه السلب، وهو ضربان: أحدهما: سلب النقص والعيب وسمات الحدث.

والثاني: سلب المشارك في الذات والصفات والتصرفات، وأدلة ذلك قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:١٦]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾[محمد:١٩]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾[الإسراء:١١١]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم :٩٢]، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾[الأنعام:١٠١]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾[يوسف:٤٠]، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾[فاطر:٣]، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾[البقرة :٢٥٥] ، / ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨]، ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[الرعد:٤١]، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد:١١]، ﴿وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون:٨٨]، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١]، ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ:٢٢]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[يونس:١٠٧]، ﴿مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾[الأعراف:١٨٦]، ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾[الزمر:٣٧]، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[آل عمران:١٢٦]، ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[الأعراف:٧]، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[المؤمنون: ١٧]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم:٦٤]، ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾[طه:٥٢]، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران:٥]، ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]، أي: لا تحيط به وإن رأته ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[غافر:٣١]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [البقرة: ٥٧، والأعراف: ١٦٠] ، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[الشعراء:٢٠٩]، ﴿لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: (١٧٦،١٧٧)، محمد: (٣٢)] ، ﴿وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾[هود:٥٧] ، ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت:٦]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد:٣]، ﴿الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ﴾[الحشر:٢٣].

(ق ٦-ب)

فصل في توحد الذات والصفات

أما الذات فتوحده بالإلهية والأزلية والأبدية، والاستغناء عن الموجب والموجد، بالتقديس عن الشبيه والنظير مع عموم متعلقاها، ونفي الكفي والسمي، والقسيم والنظير، والشبيه والظهير، وأما صفات الذات فتوحده بالأزلية والأبدية والأحدية، والاستغناء عن الموجب والموجد، وبالتقديس عن الشبيه والنظير مع عموم متعلقاها، وشمول مدركاها، فالعلم والكلام متعلقان بكل واجب وممكن ومستحيل على سبيل التعظيم والتفضيل، والقدرة والإرادة متعلقان بكل منحصر في حيز الإمكان.

والسمع متعلق بكل مسموع خفي وجلي، والبصر متعلق بكل الموجودات من قديم وحادث من ذوات أوصاف جليات أو خفيات، ولا تعلق للحياة بحال.

وأما صفات التعلق: فتعلق الإرادة بالتخصيص، وتعلق القدرة بالإيجاد، وتعلق الكلام بالطلب والإخبار، وتعلق العلم والسمع والبصر / بالكشف والإحاطة (ق ٧-أ) والإدراك، فهذه أنواع من التوحد والتفرد.

فصل في التوحيد

التوحيد ضربان:

أحدهما: قديم، وهو ضربان:

أحدهما: معرفة الله بتوحده وتفرده بكل وصف ذاتي أو سلبي أو فعلي، عرفه العباد أو جهلوه، إذ لا يُحصي أحد ثناءً عليه.

الثاني: شهادته لنفسه بالتوحد المذكور.

وأما التوحد الحادث فأضرب:

أحدها: معرفتنا بما اطلعنا عليه من توحده وأرشدنا إليه من تفرده.

الثاني: إيماننا بذلك التوحيد.

الثالث: اعتقادنا لذلك التوحد.

الرابع: إيماننا بتعلق ذلك الاعتقاد.

الخامس: تلفظنا بما عرفناه من ذلك التوحد.

السادس: تعلقنا بذلك التوحد، فالمعرفة أعلى من الاعتقاد، والإيمان المبني عليها أشرف من الإيمان المبني على الاعتقاد، والتلفظ المرتب عليها أفضل من التلفظ المرتب على الاعتقاد.

السابع: معاملته بمقتضى توحيده بأن لا نعبد غيره؛ إذ لا إله لنا سواه، ولا نتوكل إلا عليه؛ إذ لا مفزع إلا إليه، ولا نحب أحدًا كحبه؛ إذ لا جمال كجماله، ولا نجل أحدًا كإجلاله إذ لا نظير لكماله، ولا نشكر أحدًا كشكره؛ إذ لا منعم غيره، ولا نرجو إلا إحسانه؛ إذ لا محسن سواه، ولا نرهب إلا سلطانه إذ لا ملجأ إلا إليه، وكذلك معاملته بمقتضى سائر صفاته من التخضع لعظمته، والتذلل لعزته، وكذلك تفريده وتوحيده بسائر الأقوال والأعمال حتى لا نخلف بأحد سواه، وفي وجوب هذا التوحيد خلاف بين العلماء.

وأما ثمرة ملاحظة هذه السلوب والتوحدات، فنقابل كل واحد منها بما يناسبه ويليق به، من تذلل وتوكل، ومحبة ومهابة وغير ذلك مما يناسب كل واحد منهن.

وأما التخلق بمقتضى السلوب فلا يمكن أن نتخلق بجميعها لاختصاص بعضها بالإله، / ونتخلق منها بما يمكن على حسب الإمكان، كنفي الظلم ونفي إرادته، (ق ٧-ب) وكالقدس والسلام المأخوذين من الطهارة من العيوب والسلامة من النقائص، بتطهير ظواهرنا وبواطننا من الذنوب والمخالفات، فإن ذنوبنا من أكثر عيوبنا، وبأن نسلم قلوبنا من الشك والشرك والشبهات اقتداءً بإبراهيم عليه السلام إذ جاء ربه بقلب سليم، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨ ، ٨٩]، فنبدأ بالتطهر من المحرمات لقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[الأنعام:١٢٠]، ثم من المكروهات، ثم من الشبهات، ثم من فضول المباحات، ثم من كل شاغل عن رب الأرض والسموات[1].

---

(١) قال العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله: "مشهد التوحيد، هو أن يشهد العبد انفراد الرب – تبارك وتعالى – بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة =

فصل فيما يتخلق به من أوصاف الذات

وهي ضربان: أحدهما: القدرة والحياة، ولا تخلق بهما؛ إذ لا يمكن اكتسابهما، لكن يجب حفظها وحفظ سائر منافع البدن وأعضائه ليستعمل ذلك في طاعة رب الأرباب ولا يعزر بشيء من ذلك إلا في الجهاد ونحوه، فنحفظ العين لإبصارها، وسائر الحواس لإدراكها، واليد لبطشها، واللسان لنطقه، والعقل لفوائده، والرجل لمشيها.

وفي وجوب إزالة الأدواء عن هذه الأعضاء بالمعالجة والدواء قولان، وتخبيل العقل بشيء من المسكرات إلا بإكراه أو ضرورة، ولا يجوز ستره بالغفلات المحرمات، ويستحب صونه عن الغفلة عن كل مندوب، وذلك بنفي أسباب الغفلات من الشواغل والملهيات.

= إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته، وأنه ما في قلب إلا وهو بين أُصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، فالقلوب بيده، وهو مقلبها ومصرّفها كيف شاء وكيف أراد، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٨]. يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، هذا من فضله وعطائه، وما فضل الكريم بممنون، وهذا عدله وقضاؤه: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن كذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه وتوحيده.

وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] علمًا وحالا فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، ثم يرقى منه صاعدًا إلى توحيد الألوهية، فإذا تيقن أن الضر والنفع، والعطاء والمنع، والهدى والضلال، والسعادة والشقاوة: كل ذلك بيد الله لا بيد غيره، وأنه الذي يُقَلّب القلوب، ويصرفها كيف يشاء، وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه، ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه، وأن أصح القلوب وأسلمها وأقومها، وأرقها وأصفاها، وأشدها وألينها: من اتخذه وحده إلهًا معبودًا، فكان أحب إليه من كل ما سواه، وأخوف عنده من كل ما سواه، وأرجى له من كل ما سواه، فتتقدم محبته في قلبه جميع المحابّ، فتنساق المحابّ تبعًا لها كما ينساق الجيش تبعًا للسلطان، ويتقدّم خوفه في قلبه جميع المخلوقات، فتنساق المخاوف كلها تبعًا لخوفه، ويتقدّم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء، فينساق كل رجاء تبعًا لرجائه.

فهذه علامة توحيد الألوهية في هذا القلب، والباب الذي وصل إليه من توحيد الربوبية - أي توحيد الألوهية - هو توحيد الربوبية.. انظر: مدارج السالكين (١/٤٤٢، ٤٤٥).

أما دليل الحياة فقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[غافر : ٦٥]، وقوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة : ٢٥٥ ، آل عمران :٢].

وأما ثمرة معرفتها: فالتوكل عليه والالتجاء إليه لقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨].

وأما دليل القدرة فقوله: ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الحشر: ٦]، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[الكهف :٤٥].

وأما ثمرة معرفتها: فالإجلال والمهابة، ورجاء الإنعام، وخوف الانتقام؛ لشمول قدرته لأنواع ما نفع وضر، وساء وسر.

والثاني: سائر صفات الذات، فيتخلق بها على حسب الإمكان / وهي خمس نذكر (ق ٨-أ)
كل واحد منها في فصل، فنبدأ بالعلم، لأن التخلق به أفضل مما سواه.

فصل فيما يتعلق به العلم

أما علم الله فدليله قوله: ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٠].

وأما ثمرة العلم: فالخوف من مولاك، وحياؤك منه في أقوالك، وأعمالك وسائر أحوالك.

وأما التخلق به فبأن تعرف ذاته وصفاته، وأن تعرف أحكامه وأيامه، وحلاله وحرامه، وأن تعرف كل ما يقربك إليه ويزلفك لديه مما فرضه عليك أو ندبك إليه، فنذكر أنواعا من ذلك كقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾[محمد :١٩]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾[هود: ١٤]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾[البقرة: ٢٣٥]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة : ٩٨]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[الأنفال:٢٤]، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: ١٢]، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة:٣٤]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ﴾[البقرة: ٢٢٣]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[الحديد:١٧]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[المائدة: ٩٢]، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[التوبة: ١٢٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين))[1].

فصل فيما يتخلق من الإرادات

أما إرادة الله تعالى فدليلها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء: ٢٧]، ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[المائدة: ٤١].

وأما ثمرة معرفة شمول إرادته وتفردها بالنفوذ؛ فالخوف والوجل الموجبان لاجتناب الزلل وإصلاح العمل وإقصار الأمل.

وأما التخلق بها: فإرادتنا ضربان: أحدهما: ضروري، وهي إرادة إرادات الأفعال الكسبية، والثاني: كسبي، ويتخلق منها بكل إرادة حثك الشرع عليها أو ندبك إليها، كإرادة الطاعات كلها والعبادات بأسرها وإخلاصها، وإرادة التقرب بها، إما خوفًا من عقاب الله، أو رجاءً لثوابه، أو حياءً منه أو محبة، أو مهابة [أن] تتأخر عن طاعاته، أو تتلبس بمخالفاته.

فصل فيما يتخلق به من السمع

(ق ٨-ب) أما سمع الله سبحانه / فدليله قوله: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[المائدة: ٧٦]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء: ١٣٤].

وأما ثمرة معرفة سمعه: فخوفك أو حياؤك أو مهابتك أن يسمع منك ما زجرك عنه من الأقوال، أو كرهه لك منها، وبأن تتجنب كل قول لا يجلب نفعًا ولا يدفع ضرًا في الحال ولا المآل، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت.

وأما التخلق به: فسماعنا ضربان: أحدهما: ضروري، وهو السماع الاتفاقي، والثاني: كسبي وهو سماع كل ما فرض عليك سماعه أو ندبك إليه كسماع كتابه وسنة رسوله، والخطب والمشروعات وغير ذلك (من المسموعات) التي تدل عليه

---

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان مرفوعًا.

وتقرب إليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤]، وقوله: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[طه: ١٣]، إليك ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[التغابن: ١٦].

فصل فيما يتخلق به من البصر

أما بصر الله فدليله قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[الحج :٦١]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:١٣٤].

وأما ثمرة معرفته: فخوفك منه أو حياؤك أو مهابتك أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث اقتضاك.

وأما التخلق به، فنظرنا ضربان: أحدهما: ضروري، وهو النظر الاتفاقي، والثاني: كسبي، ويتخلق بكل نظر أوجبه الله عليك أو ندبك إليه، كالحراسة في سبيل الله، والنظر في مصنوعات الله الدالة على كمال قدرته، وتمام حكمته، وشمول علمه، وتفرد إرادته؛ فإنك تستدل بالصنعة على القدرة، وبالقدرة على الإرادة، وبالإرادة على العلم، وبالعلم على الحياة، ودليل التخلق بذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس: ١٠١]، وقوله: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[الأنعام: ٩٩]، وقوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[البقرة: ٢٥٦]، وكما أمرك أن تنظر إلى الأكوان بالنظر الحقيقي، فقد أمرك بأن تنظر إلى الديان بالنظر التقديري، فجعل إحسانك لعبادته أن تعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فصل فيما / يتخلق به من الكلام (ق ٩-أ)

أما كلام الله فدليله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، قوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾[التحريم :١٢]، وقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[النحل: ٥١]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠].

وأما ثمرة معرفته بالكلام: فمعرفة ذات الله وصفاته، وأمره وزجره، والتقرب بمفروضاته، والتحبب بمندوباته.

وأما التخلق به: فالتكلم بكل ما دلك عليه وأرشدك إليه، مما يزلفك لديه من ذكره وشكره وتلاوة كتابه وإفهام خطابه وتعليم كل ما أمرك بتعليمه، وتفهم كل ما أمرك بتفهيمه، والأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر.

والكلام ثلاث: كلمة ترضي مولاك، وكلمة تسخطه، وكلمة محتملة، فعليك بالكلمات المرضيات، وإياك والكلمات المسخطات والموهمات، وقد جمع ذلك ﷺ في قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[1].

ودليل التخلق به: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ..﴾ [آل عمران: ١٠٤] الآية. وقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ...﴾ [البقرة :١٣٦] الآية، وكذلك كل آية أو سنة أمرنا فيها بالقول.



(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨) عن أبي شريح الخزاعي مرفوعًا.

الباب الثاني
في كيفية التخلق بالأسماء والصفات

لكل تخلق رتب ودرجات متفاوتات، وينقسم أكثر التخلق إلى فرض عين وسنة وفرض كفاية، فانظر إلى أسمائه الحسنى، وتخلق من كل اسم منها بمقتضاه على حسب الإمكان، فمن الأسماء من يتردد بين الذاتي والفعلي كالرءوف الرحيم، ومنها ما يتردد بين السلبي والفعلي كالسلام، ومنها ما يتردد بين السلبي والمشتمل على السلبيات والذاتيات والفعليات، كالعظيم والجليل، والعلي والكبير والمتعال، وينبغي أن نقابل كل صفة من أوصافه بأفضل ما يلاقيها / من المعاملات، فنقابل جلاله بأفضل المهابات؛ إذ (ق ٩-ب) لا جلال كجلاله، ونقابل جماله بأفضل المحبات إذ لا جمال كجماله، وكذلك التخلق بسائر الصفات، فإن تخلقت بالإحسان، فأحسن إلى كل من تقدر على الإحسان إليه، بكل إحسان تقدر عليه، فإن قربك إلى مولاك على حسب ما تتخلق به من صفاته، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فصل في تخلق الملوك

الملك من له الملك، والملك تصرف عام مقيد بالعدل والإحسان في كل عطاء وحرمان، ونصر وخذلان، وضر ونفع، وخفض ورفع، وإعزاز وإذلال، وثمرة معرفته خوف ورجاء، وإجلال وطاعة وإذعان، والتخلق لمن بلي به التقيد باتباع الحق في موارده ومصادره، بمنع من يستحق المنع ورفع من يستحق الرفع، وقهر من يستحق القهر، وجبر من يستحق الجبر، وضر من يستحق الضر، وإكرام من يستحق الإكرام، والانتقام ممن يستوجب الانتقام، وإطعام الجوعان، وكسوة العريان، وسقي الظمآن وإغاثة اللهفان، وقمع أهل الظلم والعدوان، وأخذ الأموال بحقها وصرفها إلى مستحقها، فمن فعل ذلك أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، والمقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن.

وإنما طلب سليمان الملك لما فيه من البر والإحسان، ولمثله قال يوسف عليه السلام ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾[يوسف:٥٥]، وشكر الله على ما آتاه من الملك فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾[يوسف: ١٠١].

فصل في التخلق بالقدوس

القدوس هو: الطاهر من كل عيب ونقصان، وثمرة معرفته: التعظيم والإجلال.

والتخلق به بالتطهر من كل حرام ومكروه وشبهة وفضل مباح شاغل عن مولاك.

فصل في التخلق بالسلام

(ق ١٠-أ) إن أُخذ من تسليمه على عباده، فعليك بإفشاء السلام /، فإنه من أفضل خصال الإسلام، وإن أُخذ من السلامة من العيوب، فهو كالقدوس، وإن أُخذ من الذي سلم عباده من ظلمه فليسلم الناس من غشمك وظلمك، وضرك وشرك؛ فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

فصل في التخلق بالإيمان

المؤمن إن أُخذ من تصديق الله نفسه فعليك بالإيمان بكل ما أنزله الرحمن، وإن أخذ من أمنه العباد من ظلمه، فأظهر من برِّك وخيرك ما يؤمن الناس من شرك وضرك، وإن أخذ من خالق كل أمر، فاسع لعباد الله في كل أمر.

فصل في التخلق بالمهيمن

المهيمن هو الشهيد، فإن أخذ من مشاهدته لعباده فهو كالبصير، وثمرته كثمرته، والتخلق به وإن أخذ من شهادته لعباده وعليهم في القيامة، فثمرة معرفته، خوفك وحياؤك من شهادته عليك إن عصيته، ورجاء شهادته لك إن أطعته، والتخلق به أن تقوم بالشهادة في كل ما نفع وضر، وساء وسر، ولو على نفسك أو الوالدين والأقربين.

فصل في التخلق بالعزة

العزيز إن أخذ من الغلبة فهو كالقهار، وثمرة معرفته الخوف، وإن أخذ من الامتناع من الضيم فلا تخلق به إلا في بعض الضيوم، كضيم الكفار والفجار، فإن أخذ من الذي يعز وجود مثله فهو سالب للنظير، فلا تخلق به إلا بالتوحد والطاعة والعرفان على حسب الإمكان بالنسبة إلى أبناء الزمان.

فصل في التخلق بالجبر

الجبار إن أخذ من جبرت العظم والفقر إذا أصلحتهما فثمرة معرفته رجاء جبره وإصلاحه، والتخلق به بأن تعامل عباده بكل خير وإصلاح تقدر عليه أو تصل إليه، فإن أخذ من العلو فهو كالعلي، وثمرة معرفته كثمرات معارف جميع الصفات، وإن أخذ من الإجبار فهو كالقهار.

فصل في التخلق بالتكبر عن الرذائل

المتكبر إن أخذ من تكبره عن النقائص[١].

/ فصل في التخلق بالانتقام (ق ١٠-ب)

المنتقم هو المعذب لمن شاء من عباده عدلا.

وثمرة معرفته: الخوف من انتقامه، والتخلق به لمن ابتلي بشيء من الولايات، الانتقام من الجناة بالحدود والتعزيرات المشروعات.

فصل في التخلق بالعدل

الحكم العدل المقسط هو المنصف في وصله وقطعه، وبذله ومنعه، وضره ونفعه، وثمرة معرفته خوف الظالم من عدله، ورجاء المظلوم لتظلمه، والتخلق به لمن ابتلي بذلك أن يعدل فيما حكم به، مسويا بين الفقير والغني، والضعيف والقوي، والقريب

---

(١) هكذا في المخطوط، وبه سقط كما يبدو.

والأجنبي، والعدو والولي، وكذلك يعدل فيما يختص به من أهله وعياله، ورقيقه وأطفاله.

فصل في التخلق بالتفرد

الفرد الوتر الواحد الأحد هو الذي لا شبيه له في ذاته، ولا نظير له في صفاته، وثمرة معرفته معاملته بجميع الأحوال، وما يترتب عليها من الأقوال والأعمال، والتخلق بالتفرد بأن تكون فريد دهرك، ووحيد عصرك في المعارف والأحوال، فقد قال ﷺ: «سبق المفردون، فقيل: من هم؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[١].

فصل في التخلق بالفتح

إن أُخذ من فتح الأرزاق فثمرة معرفته رجاء ما يفتحه ويمنحه من الأرزاق في العاجل والآجل، والتخلق به ببذل ما تقدر عليه من الأرزاق في رضا الخلّاق، وإن أُخذ من الحكم فهو كالحكم العدل.

فصل في التخلق باللطف

إن أُخذ من معرفة الدقائق، فثمرته معرفة خوفك ومهابتك، وحياؤك من معرفته بدقائق أحوالك وخفايا أقوالك وأعمالك؛ إذ لا يَعزب عن خالق الأشياء مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وإن أخذ من الرفق فثمرة معرفته رجاء رفقه فيما قضاه، ولطفه فيما أمضاه، والتخلق به بالرفق
(ق ١١-أ) بكل من أمرت بالرفق به من عباد الله، فإن الله لطيف بعباده، وما كان الرفق/ في شيء إلا زانه.

فصل في التخلق بالشكر

الشكور إن أخذ من ثنائه على عباده، فثمرة معرفته رجاؤك الدخول في مدحته

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦) عن أبي هريرة.

بطاعته وبمعرفته، والتخلق به بشكر مولاك وشكر أبويك وشكر كل من أحسن إليك، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، وقد قال مولاك ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤].

فصل في التخلق بالحفظ

الحفيظ إن أُخذ من العلم فقد سبق، وإن أُخذ من ضبط الأشياء وحفظها، فثمرة معرفته رجاؤك حفظه في أولاك وأخراك، والتخلق به بحفظ ما أمرت بحفظه من الطاعات والأمانات، فإن الله قد مدح الحافظين لحدوده، وبشرهم بإنجاز وعده فقال: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢].

فصل في التخلق بالإقاته

المقيت إن أُخذ من القدرة فلا تخلق به، وإن أُخذ من إقاتة الأقوات، فثمرة معرفته رجاء الإقاتة والإرزاق، والتخلق بإقاتة كل محتاج تقدر على إقاتته من قريب وأجنبي وضعيف وقوي، مقدمًا لمن يلزمك إقاتته، الأقرب فالأقرب، فكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت.

فصل في التخلق بالحكمة والحُكْم

الحُكْم إن أُخذ من الحكمة، فثمرته المهابة والإجلال، والتخلق به بمعرفة حكم الكتاب والسنة، فمن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

وإن أُخذ من الإحكام والإتقان، فثمرة معرفته إجلال من عمت الأشياء حكمته، وحيرت الألباب صنعته، والتخلق به بإتقان أحوالك وأعمالك فيما يصلحك في عاجلك ومآلك.

فصل في التخلق بالود

الودود هو المعامل عباده بثمرات الوداد، وثمرة معرفته رجاء وده بطاعته، والتخلق به بوداد مولاك، ووداد رسله والصالحين من عباده.

فصل في التخلق بالحق

إن جُعل بمعنى ذي الحق، فثمرة معرفته المهابة والمخافة، والتخلق بمتابعة الحق وأن يكون من أهل الحق بكل حال.

فصل في التخلق بالقوة

القوي: المتين، وثمرة معرفته مهابته وإجلاله والاعتماد عليه على قوته، والتخلق به بأن تكون قويًا في دينك، متينًا في نفسك، مليًا بطاعة مولاك.

فصل في التخلق بالولايات الشرعية

الولي ثمرة معرفته الاعتماد على تدبيره، والرضا بتقديره، والتخلق بذلك لمن بلي بولاية أن يجتهد للمولى عليه، وينصح بجلب ما يقدر عليه من المصالح، ودفع ما يقدر عليه من المفاسد.

فصل في التقديم والتأخير

المقدم والمؤخر ثمرة معرفتهما المهابة والإجلال، والاعتماد عليه في تقديمه وتأخيره، ورجاء أن يقدمك بطاعته وخوف أن يؤخرك بمعصيته، والتخلق بهما بتقديم ما أمرت بتقديمه، وتأخير ما أمرت بتأخيره، بأن تقدم الأماثل على الأراذل، وأن تقدم أوجب الطاعات على واجبها، وأفضلها على فاضلها، ومضيقها على موسعها، وبأن تقرب القربات والطاعات إلى أوائل الأوقات، فإن الله مدح الذين يسارعون في الخيرات.

فصل في التخلق بالبر

البر: هو المنعم، ثمرة معرفته رجاء أنواع بره، والتخلق به بأن تبر كل من تقدر على بره بأحب أموالك إليك، وأنفسها لديك، فإن مولاك يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢].

فصل في التخلق بالتوبة

التواب إن جعل بمعنى الموفق للتوبة، فثمرة معرفته رجاء توبه عليك، والتخلق به بأن تحث المسيء على التوبة، وتحرضه على الأوبة.

وإن جعل بمعنى قابل التوبة، فاقبل عذر من أساء إليك، وندم على جراءته عليك.

فصل في التخلق بمعنى الغني

ثمرة معرفته رجاء أن يغنيك بما في يديه عما في أيدي الناس، والتخلق به بأن تغني كل محتاج بما تقدر عليه من علم وغيره، فتذكّر العاقل، وتعلّم الجاهل، وتقيم المائل، وتيسر على العائل.

فصل في التخلق بالضر والنفع

الضار النافع، ثمرة معرفتهما: خوف الضر ورجاء النفع، والتخلق بهما بنفع كل من أُمرت بنفعه، وضر كل من أُمرت بضره بحد أو قتل أو غيره، والخلق عيال/ الله، (ق ١٢-أ) فأحبهم إليه أنفعهم لعياله، فعليك ببذل المنافع لكل دانٍ وشاسع.

فصل في التخلق بهداية الضال

والنور الهادي ثمرة معرفتهما: رجاؤك أن يتسور حياتك بمعرفته ويزين أركانك بآثار هدايته، والتخلق بهما بأن تكون نورًا من أنوار الله، هاديًا إلى صراط الله؟ فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم.

فصل في التخلق بالقبض والبسط

القابض الباسط ثمرة معرفتهما: الخوف ممن قبض منافع الدنيا والآخرة، ورجاء بسط الخيرات العاجلة والآجلة.

والتخلق بالبسط: أن تبسط برَّك ومعروفك على كل محتاج حتى على الدواب والكلاب والذر؛ إذ في كل كبد رطبةٍ أجر.

والتخلق بالقبض: بأن تقبض عن كل أحد ما ليس له أهلا من مال وولاية، وعلم وحكمـــة، فلا تؤتوا السفهاء أموالكم فيتلفوها، وقال ﷺ: «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها»[١].

فصل في التخلق ببذل الهبات

الـــوهاب ثمـــرة معـــرفته: رجاء أنواع هباته وصلاته، والتخلق به بكثرة الهبات والصلات؛ مقدمًا للآباء والأمهات، والبنين والبنات.

فصل في التخلق بالجود والكرم

الجواد الكريم ثمرة معرفتهما: الطمع في آثار جوده وكرمه والتخلق بهما لمن أراد الوصول إليه، بأن يجود بكل ما يقدر عليه من مال وجل، وحكمة وعلم، وبر ومساعدة.

فصل في التخلق بالإجابة

المجيب ثمرة معرفته: رجاء إجابة دعائك؛ لعلمه بافتقارك إليه، واعتمادك عليه، وأنه سامع لدعائك، عالم ببلائك، جابر لسوآتك وضرائك.

والتخلق به: بإجابة مولاك فيما دعاك إليه من قرباته، وبإجابة كل داع دعاك إلى ما يرضي مولاك، من طاعاته وعباداته.

فصل في التخلق بالمجد

المجـــيد الذي كثر شرفه، وتم كماله وجلاله في ذاته وصفاته، وثمرة معرفته المهابة والإجلال، والتخلق به: بما يمكن التخلق به مما سبق ذكره، فإنه شامل لجميع الصفات كمـــا شملـــها / فهو كالقدوس، متكبر عن كل خلق دني، وإن جعلته شاملا لجميع (ق ١٢-ب)
الأوصـــاف فثمـــرة معـــرفته: الإجلال و المهابة في جميع الأحوال الحادثات عن سائر الصفات، وكذلك العظيم والجليل والعلي والأعلى.

---

(١) أورده ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (٧٠٤)، (١/٤٥٠)، ط دار ابن الجوزي.

فصل فيما لا يمكن التخلق به

الخالق البارئ المصور، لا تخلق بواحد منها لاختصاصه بالخلق والتصوير، وكذلك الإله لا تخلق بصفة الإلهية؛ لأن الإلهية عبارة عن استحقاق العبودية، والعبودية هي الطاعة على غاية الذل والخضوع، وذلك مختص بخالق الأعيان. ومكون الأكوان، ومدبر الزمان.

فصل في التخلق بالرأفة والرحمة

الرءوف الرحيم هو الذي يعامل عباده بآثار الرحمة والرأفة، وثمرة معرفتهما: رجاء عطفه ولطفه، والتخلق بهما برحمة كل من قدرت على رحمته بأنواع ما تقدر عليه من الرأفة والرحمة، حتى تنتهي رحمتك إلى الذئاب والذر؛ إذ في كل كبد رطبة أجر.

فصل في التخلق بالغفر

الغفار: بمعنى الستار، وهو ساتر العيوب وغافر الذنوب، وثمرة معرفته رجاء غفره وستره، والتخلق به بستر عيوب الناس وغفر ذنوبهم، وإياك وإظهار عيوبك وإعلان ذنوبك، فإن إعلان الذنوب مسخطة لعلام الغيوب.

فصل في التخلق بالقهر

القهار: هو الذي يقهر عباده على تنفيذ مراده، وثمرة معرفته الخوف الشامل والوجل الكامل، والتخلق به: بأن تقهر نفسك وعدوك، وكل قاطع يقطعك عن إصلاح أخراك وطاعة مولاك.

فصل في التخلق بالحلم

الحليم: هو الذي لا يعجل بعقوبة المذنبين، فاحلم عن كل من آذاك وظلمك وشتمك، فإن مولاك صبور حليم كريم، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون.

فصل في التخلق بالصبر

الصبور: هو الذي يعامل عباده بمعاملة الصابرين، فعليك بالصبر على إيذاء المؤذين وإساءة المسيئين / فإن الله يحب الصابرين. (ق ١٣-أ)

فصل في التخلق بالعفو

عليك بالعفو عن كل من جار عليك، أو أساء إليك، فإن الله يحب العافين.

فصل في التخلق بالإحسان والإجمال والإنعام والإفضال

الإجمال والإنعام والإفضال من جملة الإحسان، فإن الإحسان يعبر به عن جلب المنافع كلها أو دفع المضار بأسرها(١)، فأحسن كما أحسن الله إليك، وأنعم كما أنعم الله عليك، وعليك بالصفح الجميل، والهجر الجميل، والصبر الجميل، والبر الجزيل، تخلق بأخلاق الملك الجليل، ولا تنس الفضائل، فإن مولاك يقول: ﴿وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة: ٢٣٧]، وصل من قطعك، وأعط من منعك، واعف عمن ظلمك، واصبر على [مَنْ](٢) غشك وشتمك، وأحسن إلى من أساء إليك.

فصل في التخلق بأنواع الخُيُور(٣)

القيوم: هو القائم بتدبير الأكوان كلها، دقها وجلها، وثمرة معرفته: التوكل عليه والتفويض إليه؛ إذ لا مدبر سواه، والتخلق به بإحسان تدبير من اعتمد عليك، أو فوض الله أمره إليك.

---

(١) قال المصنف: "**فائدة**" الإحسان لا يخلو عن جلب نفعٍ أو دفع ضرر أو عنهما، وتارة يكون في الدنيا، وتارة يكون في العقبى، أما في العقبى فتعليم العلم والفتيا والإعانة على جميع الطاعات، وعلى دفع المعاصي والمخالفات، فيدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان، وأما في الدنيا فبالإفاق الدنيوية ودفع المضار الدنيوية، وكذلك إسقاط الحقوق والعفو عن المظالم (قواعد الأحكام ص٣٢٨) ط مؤسسة الريان.

(٢) ما بين [ ] سقط من الأصل، وهي لازمة لتمام السياق.

(٣) الخيور: جمع الخير وانظر: اللسان [خير].

فصل في التخلق بالخفض

الخافض: خالق الخفض، وثمرة معرفته: خوف خفضه، والتخلق به بخفض أهل المعاصي والمخالفات.

فصل في التخلق بالرفع

الرافع: خالق الرفع على اختلاف أنواعه، وثمرة معرفته: الطمع في رفع الدرجات، والتخلق به برفع أهل البر والطاعات.

فصل في التخلق بالإعزاز

المعز: خالق العزة، وثمرة معرفته: الطمع في إعزازه بالمعارف والطاعات، والتخلق به بإعزاز الدين ومن تبعه من عباد الله المؤمنين.

فصل في التخلق بالإذلال

المذل: خالق الذل، وثمرة معرفته: خوف الإذلال بالمعاصي والمخالفات، والمعاملة به بإذلال الباطل وأشياعه، وإخمال العدوان وأتباعه[١].

/ذو الجلال والإكرام. (ق ١٣-ب)

فهذه إشارات إلى كيفية التخلق بالصفات، ولا يحصل التخلق بالصفات إلا لمن واظب على التحديق إليها والإقبال عليها، وكذلك أمرنا الله بإكثار ذكره؛ لتلابس ما يثمره ذكره من الأحوال والأقوال والأعمال، وقد يحصل التحديق إلى هذه الصفات من غير تذكر ولا استحضار، والعارفون متفاوتون في كثرة ذلك وقلته، وانقطاعه ومداومته، فهم في رياض المعرفة يتقلبون، ومن نضارة ثمارها يتعجبون، ولا تستمر الأحوال لأحد منهم على الدوام والاتصال، لتقلب القلوب، وتنقل الأحوال، والغفلات حجب على المعارف مسدلات، إن أسدل على جميعها نكص العارف إلى طبع الشر، فربما وقعت منه الهفوات والزلات، فإذا انكشف الحجاب عن بعض

---

(١) يبدو قطع شيء من الأصل أدى إلى عدم التوافق النصي لتلك العبارة.

الصفات ظهرت آثار تلك الصفة وأينعت أثمارها، فإن كشف عن سعة الرحمة أثمرت الرجاء، وإن كشف عن شدة النقمة أثمرت الخوف، وإن كشف عن الجلال أثمر التعظيم والإجلال، وإن كشف عن الجمال أثمر المحبة المختصة بالجمال، وإن كشف عن التفرد بالأفعال أثمر التوكل على ذي الجود والإفضال، وإن كشف عن جميع الصفات ذهبت الأكوان؛ لامتلاء القلب بنور الرحمن وعظمة الديان.

فما هو إلا أن أراها فجأة ... فأبهت لا عرف لدي ولا نُكر
وكنت أرى في وجه مية لمحة ... فأبرق مغشيًا علي مكانيا

وإذ أفنى صواحب يوسف بن يعقوب ملاحظة جماله، فما الظن بملاحظة جمال مقلب القلوب وعلام الغيوب؟ فلا تطمئن أيها المغرور، إن آدم أكل من الشجرة، وإن يعقوب بكى على يوسف، وإن رسول الله ﷺ بكى على إبراهيم في حال تحديق أحد منهم إلى شيء من هذه الصفات، وإنما يقع ذلك وأمثاله منهم في أحوال الغفلات عن ملاحظة الصفات، فقد عرفنا أن رسول الله ﷺ /كان إذا نزل عليه الوحي تربد (ق ١٤-أ) وجهه[1]، وعرق جبينه[2]، «وغط غطيط البكر»[3]، لا يتصور منه حينئذ أكل ولا شرب، ولا حزن ولا بكاء؛ لامتلاء قلبه بثقل ما نزل عليه، وعظم ما أوحي إليه.

فائدة: من أفضل التخلقات أن تحسن إلى عباد الله بمثل ما أحسن به إليه، وأن تنعم عليهم بمثل ما أنعم به عليك، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾[الضحى: ٩]، أي: عامل السائل بمثل ما عاملناك، فإنا وجدناك عائلا فأغنيناك: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ١١]، أي: حدثهم بما أنعمنا به عليك من هدايتنا لك فإنا وجدناك ضالا فهديناك.



(١) رواه مسلم (١٦٩٠، ٤/١٨١٧)، (٢٣٣٤) عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.
(٢) رواه البخاري (٥/٣٢)، ومسلم (٢٣٣٣) عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا.
(٣) رواه مسلم (١١٨٠) عن يعلى بن أمية مرفوعًا.

الباب الثالث
فيما تشتمل عليه القلوب من الصفات والأخلاق

لا تتعلق التكاليف إلا بأفعال مكتسبة بأنفسها أو بأسبابها، وما تنطوي عليه القلوب ضربان: أحدهما: غير مكتسب، ولا يتعلق بالتكليف والعقاب إلا بآثاره، وهو أنواع:

أحدها: العقل وبعض العلوم الحاصلة بالحواس، وما لا سبب للعبد في حصوله من الظنون والشكوك والأوهام، والمعارف الإلهامية والمكاشفات الغيبية.

الثاني: كل صفة [جبلية][1] كريمة محمودة الأثر كالرحمة والحياء والغيرة والسخاء.

الثالث: كل صفة [جبلية لئيمة] مذمومة الأثر كالجبن والبخل والغلظة والجفاء.

الرابع: كل وصف جبلي يُحمد ويُذم لأسبابه وآثاره، كالغضب إن كان لله حمد سببه وأثره، وإن كان للشيطان ذم سببه وأثره.

الثاني: الأفعال المكتسبة وهي ضربان:

أحدهما: غالب يشق الاحتراز منه كالوسوسة وحديث النفس، فيعفى عنه لعسر الاحتراز منه، فإن الله تجاوز لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلم به أو يعمل.

الثاني: ما ليس كذلك كالمعارف والاعتقادات/ والظنون، والخوف والرجاء، والمحبة (ق١٤-ب) والمهابة، والصبر والجزع، والأفراح والأحزان، والكفر والإيمان، والخضوع والخشوع، والتواضع والتذلل، والكراهة والغفلة، والجهل والنسيان، والبغض والمقت، والتوقير والتفكر، والتذكر والتوكل ونحو ذلك من أفعال القلوب المكتسبة وهي نوعان:

---

(١) ما بين [ ] حُرف في الأصل إلى (جميلة).

أحدهما الوسائل كالنظر المرسل به إلى المعارف وإلى الظنون الواجبة، وكـالخوف المرسل به إلى التقوى.

الثاني: المقاصد، وهي ضربان؛ أحدهما: ما لا توسل فيـه، كـالإخلاص ونيـة القربات. الثاني: ما هو مقصود ووسيلة كالمعرفة، وهي أفضل المقاصد مع كونها وسيلة إلى كل طاعة، وكالمهابة والمحبة فإنهما منقودان ووسيلتان إلى طاعة المحبين والهـائبين، ومن أفعال القلوب ما هو وسيلة إلى الإحسان القاصر والمتعدي، وإلى الإساءة القاصرة والمتعدية؛ كإرادة نفع الناس؛ فإنها وسيلة إلى الإحسان إليهم، كما أن إرادة ضـرهم وسيلة إلى الإساءة إليهم، فنذكر بابًا في مأمورات القلوب على اختلاف أنواعها وبابًا في منهياتها على اختلاف أصنافها.



الباب الرابع

فيما يتعلق بالقلوب والجوارح من الأحكام

أفعال القلوب والجوارح:

أحدها: المأمورات، كالعرفان والإحسان.

الثاني: المنهيات، كالكفران والطغيان.

الثالث: المعفوات، كالخطأ والنسيان.

الرابع: المباحات، من المآكل والمشارب، والملابس والمناكح، وغير ذلك مما أذن فيه الديان وأباحه الرحمن.

والثاني: ما لا يمكن اكتسابه إلا باكتساب أسبابه، كالرقة والرحمة والمحبة، والكراهة والذلة، وكذلك الخوف والرجاء، والعلم والحياء، والحزن والبكاء لا يمكن اكتسابها إلا باستحضار أسبابها، وكذلك ما نُهينا عنه من الغفلة والسهو/ اللذين لا (ق ١٥-أ) يمكن دفعهما إلا بترك أسبابهما.



الباب الخامس

في المأمورات الباطنة

وفيه فصول:

فصل في النظر إلى معرفة الله تعالى

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس : ١٠١]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ من شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٨٥]، وقال: يشرف النظر بشرف المنظور فيه؛ فالنظر في معرفة الله أفضل من كل نظر؛ لإفضائه إلى أفضل المقاصد.

فصل في النظر في صدق الرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ٢٣]، وقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨]، النظر في صدق الرسول ﷺ وسيلة إلى اتباعه فيما جاء به، واتباعه في ذلك وسيلة إلى سعادة الدنيا والآخرة.

فصل في النظر إلى البعث

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[الحج : ٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[يس: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[مريم : ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[الروم: ١٩]،

أي: من القبور.

النظر في البعث وسيلة إلى الاستعداد له، والتزين للقاء الله تعالى.

فصل في النظر في الأحكام الشرعية

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[التوبة: ١٢٢]، وقال ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران»[١]، وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٢].

فصل في النظر في أمور حسية

لتعرف القبلة وأوقات العبادات والطهارات والنجاسات، وقيم المتلفات.

/ فالنظر فكر موصل إلى معرفة أو اعتقاد أو ظن؛ إذ لا يُتقرب إلى الإله بشك ولا (ق ١٥-ب) وهم، ولا يكتفى فيما يتعلق بذاته وصفاته بظن وحسبان، ولابد من اعتقاد جازم، أو عرفان بأدلة [إذ لو][٣] اكتفى بالظن في ذلك، لكان الظان مجوزًا اللعب والنقصان على الملك الديان، وذلك مناف للتعظيم والإجلال، والذل والإذعان، بخلاف المعتقد فإنه جازم بنفي النقصان، واكتفي بالظن في طرق معرفة الأحكام؛ إذ للرب أن يحكم بما يشاء على وفق الظن وعلى خلافه، ولا عيب في شيء من ذلك ولا نقصان.

فصل في السؤال عن ذي الجلال

قال الله تعالى: ﴿الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٩]، إذا أكلَّ الناظر وتحير فيما نظر فيه؛ فليسأل أهل العلم بذلك فقد دله الله على ذلك، وأرشده إليه فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾[النحل : ٤٣ ، الأنبياء: ٧]، وقال: ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾[يونس: ٩٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٧٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

(٢) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان مرفوعًا.

(٣) ما بين [ ] سقط من الأصل.

فصل في تقوى القلوب

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢]، وقال: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥]، ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾[البقرة: ٢٨٤]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٣٥]، ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[البقرة :٢٨٣]، وقال: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج :٤٦]، وقال ﷺ:«إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1]، فالقلوب مصدر كل خير وشر، فنسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، ويغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا، ويحفظ غيوبنا، إنه على كل شيء قدير.

فصل في الإيمان بالله والكفر بالطاغوت[2]

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة: ٢٥٦]، يشرف الإيمان بشرف المؤمن به، والإيمان بالله أشرف من كل إيمان.

/ فصل في الإيمان برسل الله وكتابه (ق ١٦-أ)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾[النساء :١٣٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) قال عماد الدين الصقلي: الناس في الإيمان على مقامات: منهم مؤمن بقلبه ولسانه مفرط في الأعمال يطالبه الله عز وجل بإقامة الدين، وهو الذي يخاف عليه أكثر مما يرجى له إن مات مُصرًا على حاله، ومؤمن القلب واللسان قائم بفرض غير عارف بما يجب لله عليه من إعظام حقه، الله يسامحه بإقامة فرضه في حدود الدين، وهو الذي يُرجى له أكثر مما يخاف عليه، وإن كان غير ما تحقق في إيمانه لقيامه بالفرض، ومؤمن السر والعلانية قائم بفرضه عالم بربه، معترف بالتقصير بعد الجهد لعلمه بما يجب لله – عز وجل – فهذا الذي بان بالفضيلة لمعرفته بقدر الربوبية، واستحق الولاية لافتقاره في العبودية، وبان عن أحوال العامة بالموهبة الجزيلة... الدلالة على الله (ص٣٨) بتحقيقنا لأول مرة – ط دار الكتب العلمية – بيروت.

فصل في الإيمان بالقدر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وجعل رسول الله ﷺ من جملة الإيمان: «أن تؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومرة»[١].

فصل في رسوخ الإيمان

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[المجادلة: ٢٢]، إنما يثبت الإيمان بملاحظة أسبابه وأدلته وبملازمة الطاعات وأنواع القربات.

فصل في محبة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]، وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة : ٥٤]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران : ٣١]، وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...»[٢]، محبة الله وسيلة إلى أن يعامله العبد معاملة المحب لحبيبه في المبادرة إلى طاعته، والمسارعة إلى كل ما يرضيه، واجتناب كل ما يسخطه، والتحرز من أسباب سخطه، والاحتياط لأسباب رضاه، مع البكاء والقلق، والشوق والأرق، وغير ذلك من آثار المحبة.

وينبغي أن تكون آثار محبته أشد من آثار كل محبة وأعظم، وأن لا يشبهها شيء، كما أن المحبوب لا يشبهه شيء، وهو السميع البصير.

فصل في محبة الإيمان وكراهية العصيان

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال لوط: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾[الشعراء: ١٦٨]، وقال ﷺ: «من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله

---

(١) رواه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس مرفوعًا.

فليكره ما يأتي من معصية الله»[١].

محبة الإيمان وسيلة إلى فعله وكراهية العصيان وسيلة إلى تركه.

فصل في الشوق إلى الله تعالى وإلى رسالاته

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾[محمد : ٢٠].

(ق ١٦-ب) الشوق إلى الله وإلى رسالاته من آثار محبته، سأل/ موسى عليه السلام الرؤيا شوقًا وتعطشًا للجمال، وسأل المؤمنون نزول السورة تشوقًا إلى سماع كلام ذي العز والجلال.

فصل في محبة رسول الله ﷺ

قال عليه السلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٢]، تشرف المحبة بشرف المحبوب، فمحبة رسول الله ﷺ أشرف من محبة سائر العباد، وهي وسيلة إلى أن يطاع طاعة المحبوب، وكلما قوي التعلق بالحبيب قوي حب المتعلقين به والمنتسبين إليه، وكلما قويت النسبة قويت المحبة، ولذلك نحب المهاجرين والأنصار والصالحين والأبرار، وعليًّا والحسن وغيرهما من أهل الولاية، وترتيب محبتهم ترتيب منازلهم من الله في حبه وقربه.

فصل في محبة الشهادة في سبيل الله

قال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله وأقتل، ثم أغزو فأقتل»[٣].

القتل في سبيل الله من آكد الأسباب في رضا الله؛ إذ يشرف البذل بشرف المبذول، والأرواح أفضل ما بذل، فمن بذل روحه فقد بذل ما في وسعه، ولو أن

(١) رواه مسلم (١٨٥٥) عن حديث عوف بن مالك مرفوعًا.
(٢) رواه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس مرفوعًا.
(٣) رواه البخاري (٣٦) ومسلم (١٨٧٦).

للمحب الصادق أرواح العالم كلها لجاد بها لله، وآثر أن يتقرب بها إليه.

فصل في محبة الطهارات

قال الله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾[التوبة : ١٠٨].

إذا أحب مولاك من تطهر من الأحداث والأنجاس، فما الظن بمن تطهر من الذنوب والأدناس؟

فصل في محبة المهاجرين والأنصار

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر : ٩]، وقال عليه السلام: «من علامة الإيمان حب الأنصار»[١].

فصل في محبة علي والحسن

قال ﷺ لعلي: « لا يحبك إلا مؤمن»[٢]، وقال الحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب كل من يحبه»[٣].

فصل في محبة أولياء الله والمؤمنين

قال الله تعالى/: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[مريم: ٩٦]، وقال عليه السلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٤]، وسئل ﷺ عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال عليه السلام: «المرء مع من أحب»[٥]. (ق ١٧-أ)

---

(١) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤) عن حديث أنس مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٧٨) عن حديث علي مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري (٢١٢٢)، ومسلم (٢٤٢١)، عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٥) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

(٥) رواه البخاري (٦١٦٨،٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠)، ورواه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) عن أبي موسى الأشعري، وعن أنس بن مالك.

فصل في التحاب في الله

«قال ﷺ: يقول الله - عز وجل - يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(١) وقال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا»(٢)، وممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه.

فصل في محبتك لأخيك ما تحب لنفسك

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[النساء: ٩]، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو لجاره - ما يحب لنفسه»(٣)؛ لأن ذلك من أمر الإيمان.

فصل في محبة البلاء دون المعصية

قال يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي﴾[يوسف : ٣٣]، إيثارًا لطاعة مولاه على متابعة هواه وتقديمًا للمحبة الشرعية على المحبة الطبيعية.

فصل في محبة لقاء الله

قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»(٤). من حسنت حاله عند الله أحب لقاءه، لما يرجوه من رحمته، ومن قبحت أحواله عند مولاه كره لقاءه لما يخشاه من نقمته.

بأي وجه نلقاهم إذا ... رأوني بعدهم حيا

واخجلتا منهم ومن قولهم ... ما ضرك الفقد لنا شيًا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٥٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري: (١٣)، ومسلم (٤٥) عن حديث أنس مرفوعًا.

(٤) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣) عن عبادة بن الصامت، ورواه البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٦)، ورواه مسلم (٢٥٨٥،٢٥٨٤) عن عائشة، وأبي هريرة مرفوعًا.

فصل في إرادة وجه الله تعالى

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الأنعام: ٥٢]، إرادة وجه الله تعالى وسيلة إلى السعي فيما يرضيه.

فصل في إرادة الآخرة

قال الله تعالى:/ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء :١٩]. (ق ١٧-ب)

إرادة الآخرة وسيلة إلى السعي لها، وإرادة العمل الصالح وسيلة إلى فعله.

فصل في الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[الزمر :٢]، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[مريم : ٥١]، وقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤].

الإخلاص: أن لا تعمل الطاعة إلا لله، خوفًا أو رجاءً، أو محبة أو حياءً، أو إجلالا ومهابة وعلى قدر منازل العالمين.

فصل في النسك لله

قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ﴾[البقرة : ١٩٦]، لما غلب الرياء على الناسكين قيل: وأتموا الحج والعمرة لله.

فصل في إقامة الشهادة لله

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ﴾[الطلاق: ٢]، حث على القيام بالشهادة بإضافتها إليه، كما يقول السيد لعبده: افعل هذا لأجلي.

فصل في إقامة العدل لله

قال الله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ﴾[النساء: ١٣٥].

فصل في الإطعام لله

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾[الإنسان: ٩]، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾[البقرة : ٢٧٢].

فصل في الصبر لله

قال الله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[الرعد : ٢٢].

فصل في التنافس في الطاعات

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦]، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء: ٥٧] التنافس في الطاعات طلب أنفسها وأفضلها.

فصل في طلب رضا الله

قال الله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾[الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾[المائدة :١٦]، وقال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾[الممتحنة: ١].

من طلب رضا الله تعالى تعاطى أسباب رضاه وطاعته ومحبته، وتباعد من أسباب معصيته وسخطه ومخالفته.

فصل في طلب/ القرب إلى الله (ق ١٨-أ)

قال الله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾[التوبة: ٩٩]، وقال: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[العلق: ١٩]، وقال: «من تقرب إليَّ شبراً

تقربت إليه ذراعًا»[١].

طلب القرب إلى الله حاثٌ، على تعاطي أسباب القرب.

فصل في الحرص على طاعة الله

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]، وقال شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[هود : ٨٨]، وقال ﷺ: «اطلب ما ينفعك واحرص»[٢].

الحرص يشرف بشرف المحروص عليه، ومراتبه في الشرف مبنية على مراتبه، فالحرص على المعرفة والإيمان أفضل من كل حرص لأنه وسيلة إلى أفضل الأعمال وأشرفها.

فصل في الحزن على فوات الطاعات

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[التوبة: ٩٢].

الحزن على فوات الطاعة من ثمرة حبها والاهتمام بها؛ لأن المرء لا يحزن إلا على ما عز عليه.

فصل في انشراح الصدر لدين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[الزمر : ٢٢]، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

فصل في انشراح الصدر لرسالات الله

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح: ١]، وقال: ﴿فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾[الأعراف :٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٧) عن أبي ذر مرفوعًا، ورواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في كراهية معاصي الناس

قال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»(١).

إنكار المعاصي من ثمرة الخوف، أو الحياء، أو المحبة، أو المهابة، فمَنْ عَدِمَ أصول هذه الأشياء فلا إيمان له، ولذلك قال ﷺ: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(٢).

فصل في التعجب من الباطل إنكارًا له

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾[الرعد: ٥]، وقال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[الصافات: ١٢].

(ق ١٨-ب) التعجب من الباطل مبالغة / في إنكاره واستقباحه لا يصدر إلا من قلب مملوء بالإيمان، منور بالعرفان، وهو وسيلة إلى ترك ما أنكره.

فصل في الغضب لله

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[الأعراف: ١٥٠]، الغضب لله من ثمرات إجلال الله ومهابته، والغضب على المسيء بحضرته، متضمن للإجلال، وزجر للمسيء عن انتهاك الحرمات، وقد غضب ﷺ في مواطن انتهكت فيها الحرمة، ولا خير في عبد لا يغضب لمولاه.

فصل في النظر في سالف الأعمال ليتوب منها

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١].

النظر في سالف الأعمال وسيلة إلى الشكر على ما حَسُنَ منها، وإلى الاستغفار والتوبة مما قَبُحَ منها.

---

(١) رواه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٥٠) عن عبدالله بن مسعود مرفوعًا.

فصل في لوم النفس على التقصير

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة : ٢]، وقال: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

فلوم النفس وسيلة إلى إقلاعها عن هواها.

فصل في التوبة

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا﴾[النور: ٣١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم :٨]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات: ١١].

التوبة: ندم على ما فات من الطاعات، وعزم على ترك المعاصي في المستقبل، وإقلاع في الحال، والتوبة عن المحرمات واجبة على الفور إجماعًا، وقد تكون عن الشبهات وهي الورع، وقد تكون عن فضول المباحات وهي الزهد؛ لئلا يشغل عن الطاعات، وقد تكون عن جميع الموجودات شغلا برب الأرض والسموات، وللزهد هذه الرتب والدرجات: فزهد في الحرام، وزهد في الشبه، وزهد في الفضول، وزهد فيما سوى الله.

فصل في التوبة من الشبهات

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، وقال عليه السلام: «فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»(٢).

فصل في الانقطاع بالقلب إلى الله

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾[الذاريات: ٥٠]، وقال: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل : ٨].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

ق ١٩-أ) الانقطاع إلى الله/: هو قطع القلب عن التعلق بما سواه من الأكوان.

فصل في طهارة القلوب عن الريب

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ من وَرَاءِ حجَاب ذَلكُمْ أَطْهَرُ لقُلُوبكُمْ وَقُلُوبهنَّ﴾[الأحزاب: ٥٣]، وقال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوف﴾[البقرة : ٢٣٢]، ﴿ذَلكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

البعد من مظان الريب حزم ديني قد يجب في بعض المواطن، ثم يستحب في بعضها.

فصل في تفريغ القلب لله

قال ﷺ: «ما من مسلم قرب وضوءه، وتمضمض، واستنشق وغسل وجهه كما أمر الله، وغسل يديه إلى مرفقيه، ومسح رأسه، وغسل قدميه إلى كعبيه، ثم صلى فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه»(١).

فصل في الرضا بالربوبية والدين والإرسال

قال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولا»(٢).

يشرف الرضا بشرف المرضي به، فالرضا بربوبية الله تعالى أفضل من الرضا بالرسالة والإسلام لأنهما حادثان، ثم الرضا بهما بعد الرضا بالربوبية، ثم تختلف رتب الرضا باختلاف المرضي به.

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب مرفوعًا.

فصل في الرضا عن الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩، التوبة: ١٠٠، المجادلة: ٢٢، البينة: ٨]، فيجوز أن يكونوا رضوا في الدنيا بقضائه، وفي الآخرة بجزائه، ويجوز أن يكون رضاهم مختصًا بالآخرة.

فصل في الرضا بقسم الله

قال الله تعالى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٤٤]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة: ٥٩]، وقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[الضحى : ٥].

من رضي بقسم الله شكر فاستوجب المزيد، ومن تسخط بذلك استوجب السخط، فإن الله تعالى يعامل العبيد بما يعاملونه به، فيرضى عمَّن رضي عنه، ويسخط على من سخط بقضائه، ويستحي ممن يستحي منه، ويعرض عمَّن أعرض عنه، ويؤوي من أوى إليه، ويقبل على من أقبل / ، ويهرول إلى من مشى إليه. (ق ١٩-ب)

فصل في ترك الاختيار عند قضاء الجبار

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب : ٣٦].

الخيرة فيما اختار الله، ولا خيرة لأحد في خلاف ما قضى الله.

فصل في تعظيم الله وتوقيره

قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا﴾[نوح : ١٣].

الوقار: العظمة، والرجاء هاهنا الخوف والإجلال، وقال ﷺ: «فأما الركوع فَعَظِّمُوا فيه الرب»[1]، تعظيم الله: إجلاله ومهابته.

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩) عن ابن عباس مرفوعًا.

فصل في تعظيم حرمات الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[الحج: ٣٠]، من عظم الحرمات هابها، فلم يقدم عليها.

فضل في تعظيم شعائر الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

فصل في استعظام الوسوسة إجلالا لله

تعاظم الوسوسة مسبب عن إجلال الله وتوقيره، فلذلك كان صريح الإيمان، قال بعض الصحابة: «يا رسول الله، إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: أوجدتموه؟! قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان»[1]، أشار بقوله «أوجدتموه» إلى الاستعظام.

فصل في توقير رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح : ٩].

توقير الرسول ﷺ مقصود في نفسه ووسيلة إلى معاملته بثمرات التوقير.

فصل في إيثار رسول الله ﷺ ومواساته

قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾[التوبة: ١٢].

لما كانت نفس رسول الله ﷺ أفضل النفوس؛ أوثرت على كل نفس، فلذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وكانت الرغبة بأنفسهم عن نفسه قبيحة؛ لما [فيها][2] من تقديم الأدنى على الأعلى، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

---

(١) رواه مسلم (١٣٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) في "المخطوط" [فيه]، وما أثبت موافق للسياق.

فصل في التسليم لقضاء رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء : ٦٥].

فصل في خفة الطاعات على القلب

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرة عين المحب في طاعة المحبوب، ولذلك قال ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1]، ولما فيها من المحاضرة و(المهابة) ولذة القرب وأنس المناجاة.

فصل في التذلل لأولياء الله

قال الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، المؤمنون جديرون بالتذلل لهم على قدر منازلهم من ربهم؛ إكرامًا لهم وعطفًا عليهم.

فصل في التعزز على أعداء الله

قال الله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة :٥٤]، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[الفتح: ٢٩].

الكافرون حريون بالتعزز عليهم، معاداة لأعداء الله، إذ لا يليق بالعبد موالاة أعداء مولاه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة : ١].

---

(١) رواه النسائي (٧/٦١-٦٢)، وأحمد (٣/١٢٨،١٩٩،٢٨٥) والحاكم (٢/١٦٠) وعن أنس مرفوعًا، وجوده العراقي، وضعفه العقيلي كما في تخريج الإحياء (٢/٣٥)، وحسّنه الحافظ في التلخيص (٣/٢٤٩).

فصل في التواضع والإخبات لله

قـال الله تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[هود: ٢٣]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[الحج : ٢٤]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣]، وقال ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»[1].

الإخبات: هو التواضع لله، وثمرة الانقياد لأمر الله.

فصل في الاستكانة لله

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

الاستكانة: رجوع إلى الله عز وجل، وتركها إعراض عنه.

فصل في الخشوع لله تعالى

قال الله: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء : ٩٠].

فصل في الخشوع لذكر الله

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الحديد: ١٦].
الخضوع والخشوع والتضرع كله عائد إلى التطامن والتذلل.

فصل في التضرع لله

(ق ٢٠-ب) قـال/ الله تعـالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾[الأنعام: ٤٣]، أي: تذللوا بطاعتنا.

التضرع: هو التذلل لجلال الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار مرفوعًا.

فصل في التضرع في البكاء

قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥].

التضرع: التذلل، وحق لعزة الله أن تقابل بغاية الذل.

فصل في التضرع عند ذكر الله

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[الأعراف: ٢٠٥].

فصل في تلين القلب لذكر الله

قال الله تعالى: ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[الزمر : ٢٣].

المراد هاهنا يلين القلب برجاء فضله وجوده؛ لأنه قابله بما قشعر الجلود، والذي هو من آثار الخوف.

فصل في النشاط لطاعة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥]، وقال ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

النشاط للطاعة من ثمرة المحبة أو المهابة، أو الخوف والرجاء، أو الخجل والحياء.

فصل في التصلب في دين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾[الروم : ٦٠]، وقال: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُم مُّدْهِنُونَ﴾[الواقعة: ٨١]، أي: متهاونون، وقال السحرة لفرعون لما هددهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[طه: ٧٢].

---

(١) رواه أحمد (٣/١٢٨) وقد تقدم آنفًا.

فصل في التوكل على الله

قال الله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾[المزمل: ٩]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[الشعراء : ٢١٧]، وقال: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران : ١٢٢ ، ١٦٠]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

التوكل: هو الاعتماد على عطف الله ولطفه، فيما يدفعه من ضر أو يجلبه من خير؛ إذ لا يُنال خير إلا من نعمته، ولا يُزال ضر إلا برحمته، والاعتصام به نوع من التوكل، والاعتصام بكتابه هو الامتناع من مخالفة ما يقتضيه كتابه من أمره ونهيه، ووعظه وزجره.

فصل في الاعتصام بالله

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ﴾[الحج: ٧٨].

فصل في التحسب بالله

(ق ٢١-أ) قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ﴾[التوبة : ١٢٩]، وقال / : ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

التحسب بالله: هو استكفاء القلب به فيما يدفعه من المحن والبلايا، والفتن والرزايا، أليس الله بكاف عبده، ويكون التحسب بالقلب، وبقول الجنان ونطق اللسان.

فصل في التعزز بالله

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

التعزز بالله: ضرب من التوكل عليه في حصول العزة والغلبة.

فصل في الاعتصام بكتاب الله

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾[آل عمران : ١٠٣].

الحبل: العهد، وحبل الله: كتابه؛ لأنه عهده إلى عباده.

قال الشاعر، هو امرؤ القيس بن حجر الكندي:

إني بحبلك واصل حبلي وبريش نبلك رائش نبلي

فصل في الإعراض عن الأذى ثقة بالله

قال الله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[الأحـزاب: ٤٨]، وقال: ﴿وَلاَ تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النحل: ١٢٧، النمل: ٧٠].

المكر في أذية من آذاك شاغل عما يجدي عليك، فلا تلاحظ أذيتهم، واعتمد على مولاك في دفعها عنك فيما يستقبل؛ إذ لا فائدة في الفكر فيما مضى.

فصل في الاستعانة بالله

قال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾[الأعراف: ١٢٨]، وقال: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

إذا لم تكن المعونة إلا منه فتجنب الاستعانة بغيره؛ إذ لا قدرة له عليها، ولا سبيل له إليها.

فصل في الاستعانة بطاعة الله

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[البقرة : ٤٥].

فصل في الاعتماد على توفيق الله

قال الله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقال شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ﴾[هـود: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾[النحل: ١٢٧].

فصل في الاعتماد على رحمة الله

قـــال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّـــنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف: ١٤٩]، وقال / آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْـــنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣]، وقال نـــوح: ﴿وَإِلاَّ تَغْفِـــرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[هود : ٤٧]، وقال ﷺ: «لن ينجـــي أحدكم عمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[1]. (ق ٢١-ب)

الاعـــتماد علـــى رحمـــة الله تتريـــل للشيء في مترلته، واعتراف للمنعم بإنعامه، وللمفضل بإحسانه.

فصل في تسليم النفس إلى تدبير الله

قـــال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[لقمان : ٢٢].

فصل

في التجلد في الشدائد

قـــال الله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦].

التجلد في الشدائد من ثمرات قوة الإيمان.

فصل في سلامة القلب مما يسخط الله

قـــال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه البخاري (٦٤٦٤، ٦٤٦٧) ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة مرفوعًا، ورواه مسلم (٢٨١٧) عن جابر مرفوعًا.

يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨، ٨٩]، أي: من سلم من الذنوب والآثام، وقد ذكرنا أن معاملة السلام بسلامة البواطن والظواهر من المعاصي والمخالفات، وأن معاملة القدوس بالطهارة من كل عيب.

فصل في تدبر كلام الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[محمد : ٢٤].

إنما أنزل الله كتابه ليتأدب عباده بآدابه ويتخلقوا بأخلاقه، ويتأملوا ما فيه من الثناء على الله، وما لم يتدبر ذلك حتى يفهم لا يمكن العمل به، فإنه رسائل أرسلها الله إلى عباده لينفذوها، لا لتقرأ عليهم فلا يفهموها ولا يقيموها.

فصل في فهم معاني أسماء الله

قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[1].

ففهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء، والمهابة والمحبة والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات[2].

فصل في الفرح بما أنزل الله

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة : ١٢٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[الرعد: ٣٦].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) **فائدة:** قال موفق الدين ابن قدامة المقدسي: "ومذهب السلف – رحمة الله عليهم – الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها، ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يُخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، بل أمرها كما جاءت، وردوا اسمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها. وانظر: ذم التأويل (ص٩) لابن قدامة، والمناظرة لأهل البدع في القرآن له، وكذلك الرد على ابن عقيل الحنبلي، كلاهما بتحقيقنا.

فصل في الفرح بفضل الله وبرحمته

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[يونس: ٥٨].

يشرف الفرح بشرف المفروح به، فالفرح بفضل الله ورحمته في أفضل رتب الفرح.

فصل في خوف عذاب الله

قال الله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء: ٥٧]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل : ٥٠].

فخوف عذاب الله وسيلة إلى دفعه بالتقوى.

فصل في خوف مكر الله تعالى

قال الله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، فخوف مكر الله وسيلة إلى إحسان العمل وإقلال الذلل.

فصل في خوف مفاجأة العذاب

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[الأعراف: ٩٧، ٩٨].

فصل في خوف القيامة

قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[النور: ٣٧]، وقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[البقرة: ٢٨١]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾[الشورى: ١٨].

خوف القيامة وسيلة إلى الاستعداد لها.

فصل في خوف المناقشة

قال الله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[الرعد: ٢١].

خوف المناقشة وسيلة إلى محاسبة النفس قبل أن تحاسب، ووزنها قبل أن توزن.

فصل في خوف مقام الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦]، وقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾[إبراهيم: ١٤]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[النازعات: ٤٠].

خوف مقام الله وسيلة إلى الخجل من الله، والاستحياء من مخالفته، وإلى إحسان طاعته.

فصل في التوجع لعذاب الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٤].

التوجع لعذاب الله وسيلة إلى (دفعه) بالتقوى.

/ فصل في الوجل مع إصلاح العمل (ق ٢٢-ب)

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون: ٦٠]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل: ٥٠]، وكان ﷺ أشد الناس خشية لربه، الخوف مع الإصلاح وسيلة إلى الاعتماد على الله دون الأعمال.

فصل في إعظام خوف الله

قال ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد»[1].

إعظام خوف الله وازع من المخالفات، وثمرة ملاحظة شدة البطش والنقمة، وإنه لو عذب أهل السموات والأرض لكان عدلا منه.

فصل في الحذر من الله

قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[البقرة: ٢٣٥]،

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران : ٢٨ ، ٣٠].

الحذر من الله حامل على التقوى خوفًا من عقابه.

فصل في الحذر عما يشغل عن الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[التغابن: ١٤]، وقال: ﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[المنافقون: ٩]، وقال: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ﴾[النور: ٣٧].

الحذر مما يشغل عن الله وسيلة إلى الإقبال على الله سبحانه.

فصل في الحذر ممن يفتن عن دين الله

قال الله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٤٩]، وقال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[المنافقون: ٤].

الحذر مما يفتن عن دين الله احتياط لحفظ الدين.

فصل في رجاء رحمة الله تعالى

قال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾[الإسراء: ٥٧]، وقال: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ﴾[البقرة: ٢١٨].

فصل في رجاء ثواب الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[فاطر : ٢٩].

الثواب وسيلة إلى تحصيله بالطاعة.

فصل في رجاء مغفرة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢].

الطمع في الغفران وسيلة إلى السعي في أسبابه.

فصل في رجاء اللحاق بالصالحين

قال الله تعالى/: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[المائدة : ٨٤]. (ق ٢٣-أ)

الطمع في لحاقهم وسيلة إلى سلوك طريقهم.

فصل في رجاء الخير في المكاره

قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فيه خَيْرًا كَثيرًا﴾[النساء: ١٩]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[النور : ١١].

فلما أخذ الجبار سارة من إبراهيم عليه السلام كان في طي ذلك المكروه أن أخدمها هاجر فولدت إسماعيل، فكان من ذرية إسماعيل سيد الأولين والآخرين.

فصل في إحسان الظن بالله

قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»(١)، وقال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»(٢)، وكان عليه السلام «يحب الفأل ويكره الطيرة»(٣)، لأن التفاؤل حُسن ظن بالله، والطيرة سوء ظن بالله.

إحسان الظن بالله من ثمرة إعظام سعة ورحمة الله وعموم مغفرته.

فصل في إعظام رجاء الله

قال الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[مريم: ٦٥].

الصبر على الطاعة وسيلة إلى دوامها وإحكامها.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧) عن جابر مرفوعًا.

(٣) رواه أحمد (٣٣٢) ورواه ابن ماجة (٣٥٣٦) وابن حبان (٦١٢١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في الصبر لحكم الله

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[طه: ١٣٢].

فصل في الصبر عن معاصي الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الطور: ٤٨].

الصبر عن المعاصي وسيلة إلى تركها، والصبر على البلاء وانقياد للقضاء، وثواب الصبر مأخوذ من مراتب المصبور عليه وعنه، والصبر على أفضل الطاعات في أعلى مراتب الصبر عليها، والصبر على أشد البليات في أعلى مراتب الصبر على البليات، والصبر عن المعاصي يترتب على لذاتها، فالصبر عن أقواها وألذها من أجلّ مراتب/ (ق ٢٣-ب) الصبر عن المخالفات.

فصل في الصبر على بلاء الله

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧] ، وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج:٣٥] .

فصل في الصبر على البلايا الخمس

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] .

فصل في الصبر على الفقر والمرض والحرب

قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧] .

فصل في الصبر على سماع الأذى

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠] ، وقال: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

الصبر على سماع الأذى رياضة للنفس، وإحسان إلى المؤذي إن كان قادرًا على الانتقام منه.

فصل في الصبر على فقد الأحبة

قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨].

أجرهم على قدر مراتبهم في الحب.

فصل في الصبر على فقد البصر

يقول الله عز جل: « من ابتليته بحبيبتيه فصبر فله الجنة»[(١)]، أي من ابتليته بفقد عينيه.

فصل في الصبر على الاستئثار بالدنيا

قال ﷺ للأنصار: « إنكم ستلقون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»[(٢)].

لا قدر للدنيا عند العارف ولا [ ][(٣)]، فلا يوصف بالصبر على فقدها، فإن عَدَّ فقدها نعمة ومنة شكر على ذلك فلم يوصف بالصبر عنه، لكن قد تحصل غفلات فيثور الطبع البشري، فحينئذ يقابل بالصبر، وفي مثل هذه الأحوال صبر الأنبياء والأصفياء، وإلا فالقلوب المملوءة بالمعرفة لا صبر فيها؛ إذ لا شعور لها يصبر عنه أو عليه.

فصل في الصبر عن بعض المباح

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء:٢٥] ، أي: وإن تصبروا عن نكاح الإماء خير من تعريض أولادكم للرق.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥٣) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٤٣٣١)، ومسلم (١٠٥٩) عن أنس مرفوعًا، ورواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١) عن عبدالله بن زيد مرفوعًا.

(٣) ما بين [ ] غير واضح في المخطوط.

الصبر عن نكاح الأمة إحسان إلى من يتوقع من الأولاد بتخليصهم من الإرقاق.

فصل في ذكر الله

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١] ، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] / ، وقال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وأكثر»[١]. (ق ٢٤-أ)

ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للمحبة، وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النقمة موجب للخوف، وبالتفرد بالإنعام موجب للشكر، ولذلك قال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١] ، فذكر الله أصل العبادات وأس المعاملات؛ لأن ذكر هذه الأوصاف موجب للأحوال السنية والأقوال والأعمال المرضية[٢]، وذلك موجب للدرجات في جوار خالق البرية في العيشة الهنية.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) قال الشيخ محمد المنجي: "فإن أفضل أحوال العباد حال ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت : ٤٥]، وقال ابن عطية: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ هو قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: فذكر الله إياكم البر من ذكركم إياه" رواه ابن أبي الدنيا، وقد روى هذا المعنى جماعة من الصحابة، منهم: ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما - رضي الله عنهم - قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب : ٣٥] حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، وقال عطاء: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فيها. وقال ابن عباس: إذا ذكر الله أدبار الصلوات وغدوًا وعشيًا، وعند نومه، واستيقاظه كان من الذاكرين الله كثيرًا. فإذا علم العبد أن بذكر الله يذكره الله، وبذكره أعدَّ الله له مغفرة وأجرًا عظيمًا، وهذا نهاية المطلوب، كان عليه أن يبذل في وسعه في الذكر بالطلب، فإنه يناله من غير مشقة في بدنه ولا تعب في روحه، وكان يفعله أبو عبدالله بن بطة - رحمه الله - من كثرة الذكر عند النوم على ما نقله أبو الفرج بن الجوزي قال: قال عليّ بن شهاب: سمعت أبا عبدالله عبيد الله بن بطة يقول: أستعمل عند نومي أربعين حديثًا وردت عن رسول الله ﷺ فذكر كل شخص منامًا حضره. وانظر: المصباح في أذكار المساء والصباح (ص ١١-١٢) بتحقيقنا لأول مرة ط دار الكتب العلمية بيروت.

فصل في الطمأنينة بذكر الله تعالى

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨].

تشرف الطمأنينة بشرف المطمئن به، فأفضل الطمأنينة؛ الطمأنينة بالله وتدبره.

فصل في ذكر النعم لتشكر

قال الله تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة:١١٠] ، وقال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١١، فاطر:٣] ، وقال: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ [المائدة:١١٠] .

ذكر النعم وسيلة إلى الشكر على ذلك، والشكر يكون بالطاعة بالضمائر والأقوال والأعمال.

فصل في ذكر العبد ليحفظ

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة:٢٣١] ، وقال: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه:١٢٦] .

ذكر الكتاب للعمل بما فيه.

فصل في ذكر الآخرة للسعي لها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص:٤٦] ، وقال: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف:٥١] ، وقال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦] .

ذكر القيامة والآخرة وسيلة إلى السعي لهما.

فصل في ذكر الذنوب للإقلاع عنها

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ

يَـداهُ﴾ [الكهـف:٥٧] ، وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦] .

ذكر الذنوب وسيلة إلى الندم عليها والإقلاع عنها والعزم على تركها.

فصل في التثبت في الأعمال

(ق ٢٤-ب) قـال الله تعـالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء:٩٤] / ، وقال: ﴿إِن جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦] ، وقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة:٢٦٥] .

التثـبت في الأعمال ليعرف سيئها فيترك، وليقدم ما قدمه الله من طاعاته، ويؤخر منها ما أخره، ويتوسط ما وسطه، وهو أقسام:

أحدها: التثبت إلى أن يعرف حَسَنَها من قبيحها، وفاسدها من صحيحها.

الثاني: التثبت حتى يعرف واجبها من أوجبها، وفضلها من مفضولها.

الثالث: التثبت حتى يعرف مضيقها من موسعها.

الرابع: التثبت حتى يخلصها لوجه الله عز وجل.

الخامس: التثبت عن التسميع بها بعد فعلها.

فصل في الظنون الواجبة

قـال الله تعـالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء:٦] ، قال: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ﴾ [الطلاق:٢]، وقـال: ﴿فَفَهَّمْـنَاهَا سُـلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء:٧٩] ، وقال: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] ، قال ﷺ: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر»(١).

سـن الشـرع اتـباع ظنون مستفادة من أمارات يفيدها لما في ذلك من تحصيل

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) عن أبي هريرة، وعمرو بن العاص معًا مرفوعًا.

المصالح المظنونة، فإن الغالب على الظن أنه يصدق عند قيام علاماته، وكذبه نادر، فلو عطلنا العمل بالظن خوفًا من نادر كذبه وإخلافه لعطلنا المصالح لأندر المفاسد، ولو عملنا بالظن المشروع لخلصنا أغلب المصالح بتحمل أندر المفاسد، ومقتضى رحمة الشرع تحصيل المصالح الكبيرة الغالبة، وإن لزم من ذلك حصول مفاسد قليلة نادرة وكذلك تصرف العقلاء كلهم، فيتبارون لتحصيل الأرباح الغالب حصولها لغلبة السلامة، ولا ينظرون إلى ما يحصل نادرًا من خسران أو عطب ومعظم تصرفات العباد مبنية على ذلك، فيا لها من شريعة! إذا حدثت جاءت بكل مليحة، وإن سكتت جاءت بكل جميل.

وهذه الظنون كل ظن مستفاد من دليل شرعي كالظن المستفاد من الظواهر والأقيسة والأقارير والشهادات وذلك الظن المستفاد من الأدلة/ المحسوسات كأدلة (ق ٢٥-أ) طهارة الأواني والثياب وأدلة الأوقات والقبلة، وكذلك الظن المستفاد من تقديرات الكيل والوزن والخرص.

فصل في إحسان الظن بالمتيقن

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢] .

تقوى المتقي مانعة من إساءة الظن به، لأنَّ تقواه تحجزه عن الفسوق والعصيان.

فصل في لين القلب للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، وقال ﷺ: ((المؤمنون هينون لينون))(١).

لين القلب للمؤمنين سبب لتألفهم على الطاعات.

---

(١) رواه القضاعي في ((الشهاب)) (١٣٩)، عن العقيلي في ((الضعفاء)) (٢/٢٧٩)، عن ابن عمر مرفوعًا، ورواه أحمد في ((الزهد)) (٣٨٦،٣٨٧)، وابن المبارك في ((الزهد)) (٣٨٧)، والقضاعي (١٤٠) عن مكحول مرسلا.

فصل في رحمة المؤمنين

قال الله تعالى في صفة رسول الله ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، قال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

من الرحمة مكتسب بإحضار أسبابه، ومنها ضروري، وكذلك المحبة والكراهة والغضب وغيرها من أعمال القلوب ينقسم إلى الكسب والضروري، والتوجع لمصاب المؤمنين قيامًا بمقتضى أخوة الإسلام.

فصل في رحمة العيال والأطفال

«ما كان أحد أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ وقبل الحسين، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم! فقال: إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[2].

فصل في رحمة الناس

قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[3]، وقال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[4]، وقال: «الراحمون يرحمهم الله»[5].

رحمة من ينبغي أن يرحم وسيلة إلى دفع الشر عنهم، وجلب الخير لهم.

---

(١) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) بنحوه عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) عن أسامة بن زيد مرفوعًا.

(٤) رواه البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩) عن جرير بن عبدالله مرفوعًا.

(٥) رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد في "مسنده" (٢/١٦٠)، عن ابن عمر مرفوعًا، وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

فصل في رقة القلب ولينه

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، «وكان ﷺ رحيمًا رقيقًا، وعدَّ من/ أهل الجنة كل رجل رقيق رحيم لكل ذي قربى ومسلم»[١]، «ووصف أهل اليمن برقة القلوب ولين الأفئدة»[٢]. (ق ٢٥-ب)

فصل في الحلم والأناة

قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤] ، وقال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة»[٣].

فصل في ذكر الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣] ، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣] .

ذكر لقاء الله وسيلة إلى الاستعداد لذلك.

فصل في العزم على الطاعات

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] ، وقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] .

شرف العزيمة مأخوذ من شرف المعزوم عليه، ومراتبها مبنية على مراتبه؛ لأنها مؤدية إليه، فالعزيمة على التقوى أفضل العزائم، والعزم على الصبر على الظلم وعلى العفو عن الظالم إحسان إلى المسيء، مرتبته على قدر الإساءة.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) رواه مسلم (١٧) عن ابن عباس مرفوعًا.

فصل في إنكار القلب الفتن

قال ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، وأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض...»[1].

إذا تكـرر إنكـار القلـب الفتن كساه الله نورًا دائمًا، تبعة من قبولها؛ ثوابًا له على إنكارها.

فصل في الغفلة عن القبائح

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النور:٢٣] .

الغفلـة عن القبائح مانعة من فعلها إلا بالعزم عليها؛ إذ لا يتأتى فعلها إلا بالعزم علـيها، ولا عـزم علـيها مع عدم الشعور بها، وتحصل هذه الغفلة بإيجاد الأسباب الشاغلة.

فصل في الإعراض عن المنافقين

قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة:٩٥] .

فصل في الإعراض عن الكفار

قـال الله تعـالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم:٢٩] .

فصل في الإعراض عن اللغو

(ق ٢٦-أ) قـال الله تعالى:/ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣] ، وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢] .

الإعـراض عـن اللغو ترك لما يضر ولا ينفع؛ للتوفر على ترك ما يضر وفعل ما ينفع،

---

(١) رواه مسلم (١٤٤) عن حذيفة مرفوعًا.

واللغو كل ما يلغى ويطرح من قول أو فعل، فمن لغو القلوب الغلو في لذات المعاصي، فينبغي أن يطرح ويلغى؛ لأنه وسيلة إلى ميل القلب إليها، والميل وسيلة إلى العزم، والعزم وسيلة إلى المعصية الباطنة والظاهرة، وكذلك الجفاء في سياق العبادات، فإنه ينفر الطبع، فيقع العزم على تركها، وكذلك الغلو في الشبهات القادحة في الاعتقادات.

فصل في الحياء من كل قبيح شرعًا

قال ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»[١]، وقال: الحياء لا يأتي إلا بخير»[٢]، «وكان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها»[٣].

لا يخفى ما في الحياء من الحث على كل حسن، والزجر عن كل قبيح.

فصل في التواضع للوالدين والمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤] ، وقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥] ، وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤] ، وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣] ، وقال ﷺ: «وما تواضع عبد إلا رفعه الله»[٤]، وقال: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»[٥].

في التواضع دفع أضرار التكبر والتجبر، إذ لا تحتمله القلوب، ولا تصبر عليه النفوس، ولا يزداد صاحبه إلا مقتًا من الله ومن عباده.

فصل في التفكر في خلق السماوات والأرض والأنفس

قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١] ،

---

(١) روه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢) رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) عن عمران بن حصين مرفوعًا.
(٣) رواه البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠) مرفوعًا.
(٤) رواه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٥) رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار مرفوعًا.

وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم﴾ [الروم:٨] .

التفكــر في ذلك يدل على كمال قدرة الصانع، وكمال قدرته دال على عظمته، وملاحظة عظمته داع إلى طاعته.

فصل في التفكر في حسن الطاعات وثوابها

الفكــر في حسن الطاعة مطلوب؛ لأنه وسيلة إلى فعلها، وكذلك الفكر في قبح المخالفــات وعقابهــا؛ لأنه وسيلة إلى تركها؛ لأن الفكر في/ حسن الطاعة يميل الطبع (ق ٢٦-ب) إليها، وميل الطبع إليها يحث على العزم عليها، والعزم عليها وسيلة إلى فعلها، وفعلها وسيلة إلى رضا الله تعالى.

فصل في الفكر في قبح المعاصي وعقابها

الفكر في قبح المعاصي وعقابها يُنفر الطبع منها فيقع الإحجام عنها.

فصل في التذكر والاتعاظ

قــال الله تعــالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَاب﴾ [الرعد:١٩] ، وقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ [الأعلى:١٠] ، وقال: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات:١٣] .

التذكر يثمر الانزجار عن المعاصي والمخالفات.

فصل في الاعتبار بمصاب العصاة

قال الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار﴾ [الحشــر:٢] ، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يــونس:١٠٩] ، وقال عليه السلام في ثمود: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم»[1].

الاعتبار بذلك وسيلة إلى الانزجار عن معاصيهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٣) ومسلم (٢٩٨٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

فصل في عداوة الشيطان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:١٦٩] ، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] .

عداوة الشيطان وسيلة إلى معصيته في كل ما يأمر به؛ فإنه لا يأمر بخير.

فصل في مقت الكفار من ثمار حب الواحد القهار

قال الله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ﴾ [المجادلة:٢٢] ، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٣٥] .

وهو سبب لمجانبتهم ولترك التشبه بهم إذ لا يمكن بالعبد المحب وداد أعداء مولاه.

فصل في الحزم والتيقظ

قال ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»[١].

الحزم والتيقظ وسيلة إلى دفع الشرور وجلب الخيور.

فصل فيما تعرف به المآثم

قال ﷺ: «الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٢].

المأثم فيما حاك / في الصدور، وكره اطلاع الناس عليه؛ إنما يكون في حق النفوس الزكية. (ق ٢٧-ب)

فصل في رجاء المخلط للتوبة

قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢] .

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٢٥٥٣) عن النواس بن سمعان مرفوعًا.

رجاء التوبة حسن ظن بالله تعالى.

فصل في انتظار الفرج بالصبر

قال الله تعالى: ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة:٣٠] ، وقال: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود:٩٣] .

انتظار ذلك من أثر حسن الظن بالله.

فصل في احتقار الدنيا

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧] ، وقال: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [التوبة:٣٨] ، وقال ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه – وأشار إلى السبابة – في اليم فلينظر بما يرجع»[١] .

احتقار الدنيا وسيلة إلى تركها والإعراض عنها.

فصل في النظر إلى من فضل عليه في الدنيا

قال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[٢].

فصل في الجد في طاعة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣، ٩٣] ، قال: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:١٤٥] ، وقال: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] ، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨] .

الجد في الطاعة وسيلة إلى إكمالها واستمرارها.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٥٨) عن المستورد بن شداد مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في ذكر الخلاص من البلاء

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦] .

فصل في إرادة طاعة الله

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى:٢٠] .

فصل في الإعلام بالحب في الله

«أتت امرأة رسول الله ﷺ من الأنصار فخلا بها وقال: والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إليَّ ثلاث مرات»[١].

إعلام الحب في الله سبب للنجاة من الجانبين.

فصل في الصبر على جفوة السائل

«كان على رسول الله/ ﷺ برد نجراني غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي جذبة (ق ٢٧-ب) شديدة، فرجع بها نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي وانشق البرد وأثرت حاشيته في عنق رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[٢].

فالصبر على جفوة السائل والإحسان إليه تخلق بالصبر الذي وصف الرب، فإنه لا أحد أصبر على أذى سَمعهُ من الله، وفيه: الإحسان إلى المسيء، وهو وصف الرحمن أيضًا، فإنه يقول: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]، وكذلك يجعلون له الصاحبة والولد، وهو يرزقهم ويعافيهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٨٦)، ومسلم (٢٥٠٩) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

فصل في الرقة على المسافر وأهله

قال بعضهم[١]: «أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلنا، فسألنا عن من تركنا من أهلنا، فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم وأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم»[٢].

هذا إحسان إلى المسافر، وأهله بجمع شملهم.

يتصور اكتساب الرقة والرحمة والمخافة والمحبة باستحضار أسبابها.

فصل في إجمال الصبر

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] .

فصل في كظم الغيظ

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

فصل في الغبطة

قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[٣].



---

(١) هو مالك بن الحويرث – رضي الله عنه –.

(٢) رواه البخاري (٦٨٥)، ومسلم (٦٧٤) عن مالك بن الحويرث مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥) عن ابن عمر مرفوعًا، ورواه البخاري (٧٣) عن ابن مسعود أيضًا مرفوعًا، ورواه البخاري (٦٩١/٨) وطرفاه في (٧٢٣٢،٧٥٢٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الباب السادس
في المنهيات الباطنة

وفيه فصول:

فصل في إهمال النظر

قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبلِ كَيْفَ خُلقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠] .

فصل / في الجهل بما يجب تعلمه (ق ٢٨-أ)

قال الله تعالى لنبينا ﷺ: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهلينَ﴾ [الأنعام:٣٥] ، وقال لنوح: ﴿إِنِّي أَعظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] ، وقال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧] .

والجهل بالله وصفاته ضربان:

أحدهما: معفو عنه، كجهل من لم تبلغه الدعوة، أو بلغته فنظر على الفور، فجهله في مدة النظر معفو عنه.

الثاني: الجهل الممكن إزالته بالنظر مع تقصير الناظر في إزالته وهذا الجهل ينبوع كل شر؛ إذ لا يقبل معه حسنة، ولا تتجاوز نسبته عن شبهة، وكذلك حكم الشك.

فصل في الشك فيما تجب معرفته

قال الله تعالى: ﴿أَفي اللهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٠] ، وقال: ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود:١٧] ، وقال: ﴿فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف:٦١] ، وقال: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [فصلت:٥٤] .

فصل في الجهل بالفروع

الجهل بالفروع ضربان:

ضرب يجب إزالته على كل مكلف وهو الجهل بما يباشره من العبادات والمعاملات.

وضرب إزالته فرض كفاية؛ وهو زاد على المتعين من الأحكام.

فصل في ظن ما يجب معرفته

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] ، وقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩] ، وقال: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢] .

لا يكفي الظن فيما تجب معرفته لأن الظان يجوِّز بخلاف ما يظنه، وليس لأحد أن يتجوز النقص على الله ولا على صفاته، بخلاف اعتقاد ما يجب اعتقاده، فإن المعتقد غير مجوِّز للنقص، بخلاف استعمال الظن في الفروع، فإن الظان إذا جوز أن يكون الحكم بخلاف الواقع، فليس في تجويز ذلك نقص، فإن الله لو حكم بخلاف الواقع لجاز ولم يكن نقصًا، وتجويز النقص على الذات والصفات مناف للتعظيم والإجلال.

ولهذا المعنى اكتفى الشرع بالعقائد من العامة؛ لأن الإجلال والمهابة يحصلان بالاعتقاد حصولهما بالمعرفة.

فصل في انشراح الصدر بالباطل

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ﴾ [النحل:١٠٦] .

انشراح الصدر بالباطل وسيلة إلى قوله.

/ فصل في ضيق الصدر بالحق (ق ٢٨-ب)

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:٢] ، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ

أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥] ، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود:١٢] .

ضيق الصدر بالأمر سبب لإطراحه.

فصل في الإيمان بالباطل

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت:٥٢] ، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١] .

الإيمان بالباطل والكفر بالله قبيحان؛ لأن الأوصاف المعلقة قد تستفيد القبح من متعلقاتها، وإرادة المعاصي ومحبتها، ومودة الكفر ومحبة الأنداد، وكراهة ما أنزل الله واستثقال الحق والطاعات، وكراهة أسباب الرضا؛ كل ذلك قبيح.

فصل في محبة الأنداد

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة:١٦٥] .

فصل في محبة الكفار

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت:٢٥] ، وقال: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١] ، وقال: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢] .

فصل في محبة الأعراض الدنية

قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة:٢٠] ، وقال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠] .

محبة ذلك وسيلة إلى الاشتغال به عن الأعراض السنية.

فصل في محبة إفضاح المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور:١٩] .

فصل في محبة المعاصي

قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة:١٠٩] ، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:٢] ، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩] ، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء:٨٩] .

فصل في التحاب على المعاصي

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُون الله أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت:٢٥] ، وقال: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾ [الفرقان:٢٨] ، وقال: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] .

فصل في إرادة المعاصي

(ق ٢٩-أ) قال/ الله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة:٥] ، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَاد بِظُلْم نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم﴾ [الحج:٢٥] ، وقال: ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة:٢٣٥] ، وقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف:٨] ، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْهَا﴾ [آل عمران:١٤٥] ، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧] .

فصل في الاقتصار على إرادة الدنيا

قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم:٢٩] .

من قصر بإرادته على الدنيا لم يخلد إلا إليها كما أن من قصر إرادته على الآخرة لم يقبل إلا عليها.

فصل في الإصرار على الذنوب

قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٤٦] ، وقال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢] ، وقال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥] .

الإصرار على الذنوب يجعل صغيرها كبيرها في الحكم والإثم، فما الظن بالإصرار على كبيرها.

فصل في كراهة القرآن

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩] .

فصل في كراهة طاعة الله تعالى

قال الله: ﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة:٨١] ، وقال: ﴿وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤] .

فصل في التكبر على الرسول وعن العبادة

قال الله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦] ، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦] .

التكبر على الرسول سبب لمعصية المتكبر عليه ولترك أمره، وكذلك الاحتقار.

فصل في كراهة لقاء الله

قال ﷺ: ((من كره لقاء الله كره الله لقاءه))[١].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧-٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٣-٢٦٨٦) عن عبادة بن الصامت، وعن أبي موسى أيضًا مرفوعًا، ورواه مسلم (٢٥٨٤-٢٥٨٥) عن عائشة وأبي هريرة مرفوعًا.

لا يكـــره لقاء الله إلا من فسدت أحواله وساءت أعماله، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥] .

فصل في كراهة أسباب الرضا

قـــال الله تعـــالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٢٨] ، وقال: ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤] ، وقـــال: ﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٨١] .

فصل في استثقال الحق

(ق ٢٩-ب) قـــال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:٥] / ، وقال: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣] .

فصل في استثقال الصلاة

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥] .

فصل في الرضا بالمعاصي

قـــال ﷺ: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، فقالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما صلوا»[1].

فصل في الرضا بما يشغل عن الله

قـــال الله تعـــالى: ﴿أَرَضِـــيتُم بِالْحَـــيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [التوبة:٣٨] ، وقال: ﴿وَرَضُـــوا بِالْحَـــيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس:٧] ، وقال: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة:٨٧] .

الرضا بذلك وسيلة إلى ترك الطاعة شغلا به.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٤) عن أم سلمة مرفوعًا.

فصل في الرضا عن الكفار

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٦] .

فصل في الرياء

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاءَ النَّاسِ﴾ [النساء:٣٨] ، وقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون:٦] ، وقال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ﴾ [النساء:١٤٢].

فصل في الرحمة في إسقاط الحدود

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ﴾ [النور:٢] ، وقال ﷺ: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها»[١].

إن جُعل النهي عن رحمة المحدود، نهيًا عن آثارها من إهمال الحد أو تخفيفه أو تأخيره، فهي من أعمال الجوارح، فإن جعل نهيًا عن إرادة ذلك فهي من أعمال القلوب.

فصل في الاستهانة بأمر الله

قال الله تعالى: ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود:٩٢] ، وقال: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١] .

الاستهانة بأمر الله كفر به.

فصل في التهاون بالوعيد

قال الله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠] .

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا، ورواه مسلم (١٦٨٩) عن جابر مرفوعًا.

فصل في التهاون بطاعة الرسول

قال الله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]
التهاون بطاعة الرسول ﷺ سبب لتركها، كما أن تعظيمها سبب لفعلها.

فصل في احتقار الرسول ﷺ

(ق ٣٠-أ) قال الله تعالى/: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ من بَيْنِنَا﴾ [ص:٨] ، وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] ، وقال: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء:٣٦] ، وقال: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾ [الفرقان:٤١] .

فصل في احتقار المؤمن

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾ [هود:٣١] ، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣].

فصل في التسخط بالقضاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا منهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] .

فصل في الفرح بالمعاصي

قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلاَفَ رَسُول الله﴾ [التوبة:٨١] ، وقال: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥].

فصل [في الفرح](*) بما يشغل عن الله

قال الله تعالى: ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] ، وقال:

(*) في المخطوط (بالفرح) وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣] ، وقال: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد:٢٦] ، وقال: ﴿وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] ، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:١٣] .

فصل في الفرح بمساءة المسلمين والاغتمام بسرورهم

قال الله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠] .

فصل في الغل

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر:١٠] ، وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] .

فصل في الحسد

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤] ، وقال: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٢] .

فصل في الغفلة عن ذكر الله

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف:٢٨] .

فصل في الغفلة عن لقاء الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢] ، وقال: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] .

فصل في الإعراض عن القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف:٥٧] ، وقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم:٢٩] .

فصل في الإعراض عن الحسنات

(ق ٣٠-ب) قال/ الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١] .

فصل في الإعراض عن الطاعات والسهو عنها

قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦] ، وقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥] .

فصل في الإعراض عن الوعظ

قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر:٤٩] .

فصل في الاغترار بالله

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣، فاطر:٥] ، وقال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] .

الاغترار بالله جهل بعظمته، موجب للجرأة عليه.

فصل في الاغترار بالدنيا

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣، فاطر: ٥] .

الاغترار بالدنيا سبب للإقبال عليها، والإقبال عليها سبب للإعراض عن الآخرة، والإعراض عن الآخرة سبب لترك سعيها، وترك سعيها سبب (...) بها.

فصل في الاغترار بحال الكفار

قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران:١٩٦] .

فصل في الاغترار بالكذب والأماني

قال الله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٤]،

وقال: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ [الحديد:١٤] ، وقال: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة:١١١] ، وقال: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [النجم:٢٤] .

الاغترار بالأماني سبب لإهمال الأعمال.

فصل في تمني الغنى المطغي

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩] .

فصل في تمني الموت

قال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به»(١).

طول العمر للمؤمن [خير](٢) من قصره، ليستعتب من إساءته، ويستكثر من طاعاته، فإذا تمنى الموت كان [متمنيًا](٣) فوات الطاعات.

فصل في تمني لقاء العدو

قال ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية»(٤).

تمني لقاء العدو إدلالا بالقوة واعتمادًا عليها منهي عنه،/ وتمني ذلك لإقامة الجهاد (ق ٣١-أ) اعتمادًا على الله دون القوى والأسباب حسن؛ لأن تمني الفضائل وسيلة إليها.

فصل في تمني رفع الدرجات مع إهمال الطاعات

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [النجم:٢٤] ، وقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٣] ، يعني ليس دخول الجنة بأمانيكم ولا أمانيهم،

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).
(٢) ما بين [ ] سقط من المخطوط.
(٣) في المخطوط (تمنًا) وهو خطأ والصواب ما ثُبت.
(٤) رواه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢).

وقال ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»[1].

فصل في الظنون الفاسدة

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم:٢٨] ، وقال: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢] ، وقال: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨] ، وقال: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤] ، وقال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المجادلة:١٨] ، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] ، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة:٣] ، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد:٧] ، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:٥] ، وقال: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران:١٨٨] ، وقال: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٨٧] ، وقال: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ من فَضْلِه هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران:١٨٠] ، وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِه مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] ، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية:٢١] ، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت:٤] ، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢] .

ولا يخفى ما في كل ظن من هذه الظنون من المفسدة الخاصة به، وبعضها شر من بعض، واجتنابها بالنظر الدال على كذبها وبطلانها.

فصل في اليأس والقنوط

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وحسّنه، وابن ماجة (٤٢٦)، وأحمد (١٢٤/٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٧١٤٣) والمعجم الصغير (٣٦/٢)، والحاكم (٥٧/١)، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، وأبو بكر واهٍ.

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] .

اليأس والقنوط استصغار رحمة الله ومغفرته، وذلك ذنب عظيم، وتضيق لفضاء وجوده.

/ فصل في القسوة

(ق ٣١-ب)

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة:٧٤] ، وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة:١٣] ، وقال: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦] ، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢] .

القسوة تقلب القلب، وثبوته عن اتباع الحق ورقته ولينه بخلاف ذلك.

فصل في الغلظة

قال الله تعالى:﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال ﷺ: «صنفان من أمتي لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس...»[١].

الغلظة على أهل الإيمان وفي غير مظانها قبيحة، كما أنها على أهل النفاق والكفر في مظانها حسنة.

فصل في إنكار الحق

قال الله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٢٢] .

فصل في النفور من الحق

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦] ، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ

(١) رواه مسلم (٢١٢٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

بِالآخِرَةِ﴾ [الزمر:٤٥] ، وقال: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠] .

النفور من الحق سبب لتركه، كما أن النفور من الباطل سبب لإهماله.

فصل في الأنفة من اتباع الحق

قال الله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:٢] .

الأنفة من متابعة الحق وسيلة إلى تركه، والأنفة من الحق قبيحة، كما أن الأنفة من الباطل حسنة.

فصل في التعجب من الحق إنكارًا له

قال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص:٤] ، حكاية عن الكافرين ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:٢] .

لا تعجبٌ إلا من مستغرب، فالويل كل الويل لمن كان الحق عنده غريبًا، وطوبى لمن تعجب من الباطل لغرابته عنده.

فصل في التكبر والتجبر

قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] ، وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥] ، وقال: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:١٣٠] ، وقال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢] ، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤].

فصل في الجزع

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾[المعارج:١٩-٢٠].

الجزع وسيلة إلى ترك كثير من الطاعات.

فصل في الصبر على المعاصي

/ قال الله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة:١٧٥]، أي: على موجبات النار. (ق ٣٢-أ)

فصل في سوء الظن

قال الله تعالى: ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح:١٢] ، وقال: أنا عند ظن عبدي بي»[(١)].

فصل في الكسل في الطاعة

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة:٥٤] .

فصل في الحزن على الكفار

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر:٨٨ ، النحل:١٢٧، النمل:٧٠] ، وقال: ﴿لاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨] ، وقال: ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦] ، وقال: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨] .

ليس الكفار أهلا للحزن عليهم، إذ لا حزن على الأعداء.

فصل في الحزن على فائت الدنيا

قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] ، وقال: ﴿لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣] .

الحزن على فائت الدنيا إقبالا عليها واهتمامًا بها شاغل عن الطاعات.

فصل في التطلع إلى الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه:١٣١] .

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

التطلع إلى الدنيا سبب للشغل بها، والشغل بها مله عن الآخرة.

فصل في الإخلاد إلى الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] .

فصل في الغبطة على الدنيا

قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ [القصص:٧٩-٨٠] .

فصل في الإعجاب بما أوتي الكفار

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٥] ، وقال: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ﴾ [التوبة:٨٥] ، وهي أشد من الأولى.

فصل في الحرص على طول العمر

قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة:٩٦] .

الحرص على الحياة إن كان لإكثار الطاعات فيا حبذا ذلك الحرص، لأن طول عمر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا: إما محسن فيشكر، وإما مسيء فيستعتب، فإن كان لإكثار المخالفات فما أقبحه من حرص؛ فإن كان لنيل الشهوات المباحات، فهو شاغل (ق ٣٢-ب) من تكثير/ الحسنات، مانع للدرجات.

فصل في طول الآمال

قال الله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر:٣]،

وقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [الأنبياء:٤٤] ، وقال: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦] .

طول الآمال مانع من الاستعداد للمعاد.

فصل في اعتقاد أن الفقر إهانة والغنى كرامة

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥-١٦].

الفقر امتحان لصبر العباد، والغنى امتحان لشكرهم، فمن جعل الفقر إهانة والغنى كرامة فقد أخطأ، يترلهما غير مترلتهما.

فصل في فساد القلوب بالذنوب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] ، وقال: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة:٩٥]، وقال الطَّيْلا في القلب: أنه: «إذا فسد فسد الجسد كله»[١].

شبهت الذنوب والمخالفات بالأرجاس والأنجاس تنفيرًا منها ومبالغة في زجر العباد عنها.

فصل في استنكار المقصر لما يصيبه من مصائب الدنيا

(ق ٣٣-أ) قال الله تعالى/: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] .

يقبح على المسيء [ذي][٢] التقصير إذ أُخِذَ بذنبه أو ببعضه أن يقول أنى هذا وينسى تقصيره وذنبه.

فصل في إطراح الحياء

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

(٢) ما بين [ ] سقط من الأصل، وهي زيادة لازمة.

قال ﷺ: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[١].

الحياء رادع من كل قبيح، فمن لاحظ جانب العباد استحيى منهم، ومن لاحظ جانب الله استحيى منه، ومن لاحظ الجانبين أعطى كل واحد منهما حقه من الحياء، ومن أطرح الحياء صنع ما شاء من القبائح والسيئات.

فصل في الحياء من الخلق والجرأة على الخالق

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ﴾ [النساء:١٠٨] ، في ذلك إيثار الخلق على الخالق.

فصل في اعتقاد تحريم الحلال

قال الله تعالى: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ﴾ [الأنعام:١٤٠] ، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً﴾ [يونس:٥٩] .

فصل في استحسان القبائح

قال الله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨] ، وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل:٢٤] ، وقال: ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [غافر:٣٧] .

استحسان القبائح وسيلة إلى العمل بها.

فصل في الركون إلى الظلمة

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود:١١٣] ، وقال: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٧٤] .

الركون إلى الظلمة وسيلة إلى موافقتهم والرضا عنهم.

فصل في قبول القلب الفتن

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٣) عن أبي مسعود البدري.

«تعرض الفتن على القلوب فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، حتى يصير أسود مرباد كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»[(١)].

فصل في دفع فتن الدنيا بالكفر

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [العنكبوت:١٠] .

فصل في اعتقاد أن الحذر ينجي من القدر

قال الله تعالى: ﴿لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٥٦] ، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٦٨].

الحكم لله دون الأسباب، فمن اعتمد على الأسباب فقد ضل وخاب ﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦] .

فصل في خوف القوم على الطاعة

قال الله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤] .

من ترك الطاعة خوفًا من اللائمة فقد آثر حظ نفسه على حق ربه، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١] .

فصل في احتقار القليل من الخير

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧] ، وقال عليه السلام: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[(٢)]، وقال: لا تحقرن جارة

---

(١) رواه مسلم (١٤٤) عن حذيفة مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦) عن أبي ذر مرفوعًا.

لجارها ولو فرسن شاة»[1].

فصل في نسيان ما أمرنا بذكره

قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] ، وقال: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة:١٤] ، ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طـه:١٢٦] /، وقال: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر:٨]، وقال:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[طه:١١٥].

نسيان الخيور وسيلة إلى تركها وإهمالها.

فصل في البطر والمرح

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَـاءَ النَّـاسِ﴾ [الأنفال:٤٧] ، وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص:٥٨] ، وقال: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧]، وقال: ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[غافر:٧٥].

البطر سوء احتمال الغنى، ومعناه التقصير في شكره ورؤية المنة به، وهو والمـرح وسيلتان إلى الطغيان.

فصل في السخرية

قال الله تعـالى: ﴿لاَ يَسْـخَرْ قَـوْمٌ مِّـن قَـوْمٍ عَسَـى أَن يَكُونُـوا خَيْـرًا مِّنْهُمْ﴾[الحجرات:١١] ، وقال: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِـخْرِيًّا حَتَّـى أَنسَـوْكُمْ ذِكْـرِي﴾ [المؤمنون:١١٠] ، وقال: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَـانُوا بِـهِ يَسْـتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام:١٠] .

فصل في الشح

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ﴾ [الحشـر:٩ ، التغابن:١٦]، وقال ﷺ: إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم علـى أن

---

(١) رواه البخاري (٢٥٦٦) ومسلم (١٠٣٠) مرفوعًا.

سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١].

فصل في البخل

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد:٣٨] ، وقال ﷺ: وأي داء أدوى من البخل»[٢].

الشح والبخل وسيلتان إلى منع الحقوق، وسفك الدماء، وقطع الأرحام.

فصل في إيثار الأموال والأقارب والأوطان على محبة الرحمن

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾ [التوبة:٢٤] ، إيثار ذلك سبب للإعراض عن الله شغلا بالشهوات، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] .

فصل في الإعجاب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] ، ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١] .

فصل في العجلة والاستعجال

قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] ، وقال: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء:١١] ، وقال: ﴿فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ [مريم:٨٤] ، وقال: ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥] ، وقال: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه:١١٤] .

العجلة بالباطل وبما لا يُعرف صوابه من خطئه قبيحة/ والعجلة بالحق وبما تبين رشده حسنة. (ق ٣٤-أ)

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨) عن جابر مرفوعًا.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢١٩) (٣٠٦٥) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه البخاري (٣١٣٧) عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – مرفوعًا.

فصل في اعتقاد الأغنياء أنهم أحظى عند الله من الفقراء

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّددتُّ إِلَى رَبِّي لأجدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦] ، وقال: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت:٥٠] ، وقال: ﴿لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [مريم:٧٧] .

فصل في خشية الناس في الطاعة

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ [آل عمران:١٧٥] ، وقال: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤] ، وقال: ﴿الَّذينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَت الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ﴾ [الأحزاب:٣٩] ، وقال: ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللهِ﴾ [الحشر:١٣] .

من قدم خشية الناس على خشية الله فقد آثر الناس على الله، فبؤسًا لمن فعل ذلك.

فصل في الوهن في الجهاد والاستكانة للعدو

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران:٣٩]، وقال: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء:١٠٤] ، وقال: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران:١٤٦] .

الوهن في الجهاد سبب للجبن وترك الجهاد.

فصل في الكبر على أهل الحق

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] ، وقال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢] ، وقال: ﴿أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣] ، وقال: ﴿أَهَذَا الَّذي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾ [الفرقان:٤١] ، وقال: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ [القمر:٢٥] ، وقال: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] .

الكبر على أهل الحق مانع من متابعتهم ومن التشبه بهم، ومن حقر أهل الحق فقد حقر ما عظم الله.

فصل في تجريد إرادة الدنيا

قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال:٦٧] ، ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨] .

تجريد إرادة الدنيا وسيلة إلى الإقبال عليها والركون إليها.

فصل في التقصير في النظر

قال الله تعالى: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨] .

التقصير في النظر تفريط في أمر الله، وإهمال بما أمر به من المقصود فيه.

فصل في الغفلة عن كتاب الله

قال الله تعالى:/ ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] . (ق ٣٤-ب)

فصل في الطمأنينة بالدنيا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس:٧] .

فصل في التنافس في الدنيا

قال ﷺ: «لا تنافسوا»(١)، وقال: «إني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا أن تنافسوها وتقتتلوا؛ فتهلكوا كما هلك من كان

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

قبلكم»[١].

فصل في الإعجاب بالصور والأموال

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٥] ، وقال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٢].

لا ثواب على الصور والأموال، وإنما الثواب على إصلاح القلوب والأعمال، بل ربما كان نظرنا إلى الصور والأموال سببًا في الكبر والإعجاب.

فصل في كراهية ما ترخص فيه رسول الله ﷺ

«ترخص رسول الله ﷺ في أمر فبلغ ناسًا من أصحابه، فكأنهم كرهوا ذلك وتنزهوا عنه! فبلغه ذلك فقام خطيبًا وقال: ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، والله [إني][٣] لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٤].

كراهية ذلك سوء أدب عليه، والتنزه فيما فعله أبلغ في قلة الأدب.

فصل في فساد القلب بالمعصية

قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٥].

فصل في الخيلاء والإعجاب

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وقع في المخطوط [إنهم] وهو تحريف ظاهر.

(٤) رواه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٥) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

قال ﷺ: «من جر ثوبه في الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[١]، بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه؛ إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة[٢]، وروي: قد أعجبته نفسه»[٣].

فصل في الاستشراف

(ق ٣٥-أ) / «كان ﷺ يعطي عمر – رضي الله عنه – العطاء فيقول: أعطه يا رسول الله أفقر مني إليه، فقال له: خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك، فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدًا شيئًا ولا يرد شيئًا أعطيه»[٤]، وقال ﷺ: «إن هذا المال خضرة حلو، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع»[٥].

نهي عن أخذ ما تشرف إليه النفوس فطامًا لها عن الاستشراف إلى أموال الناس.



---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) رواه مسلم (٢٠٨٨/٥٠).

(٤) رواه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٠٤٥) عن عمر مرفوعًا.

(٥) رواه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥) عن حكيم بن حزام مرفوعًا.

الباب السابع

في الإحسان العام

وفيه فصول:

فصل في بيان الإحسان القاصر والمتعدي

كل من أطاع الله فهو محسن إلى نفسه بطاعته، فإن كان في طاعته نفع لغيره فهو محســن إلى نفســه وإلى غيره، وإحسانه إلى غيره قد يكون عامًا وقد يكون خاصًا، والإحســـان عــبارة عن جلب مصالح الدارين أو أحدهما، ودفع مفاسدهما أو مفاسد إحداهما، والمصلحة لذة أو شبهها أو فرحة أو شبهها، والمفسدة ألم أو شبهه، أو غم أو شبهه، فإرادة النفع إحسان لكونها سبب فيه، وإرادة الضر إساءة لأنها سبب فيه، وقطع الــيد المــتآكلة إحسان لأنه سبب في حفظ الجنان، وتحمل مشاق التكاليف القاصرة [و][1] المــتعدية إحســـان؛ لأنــه سبب لصلاح الدارين، وتأديب الصبيان بالضرب والــرجال بالتعزيــرات والحدود إحسان؛ لكونه سببًا في الحث على الخير والزجر عن الشر.

والإحسان ينقسم إلى: خفي وجلي، وقليل وكثير، وجليل وخطير، ونبيل وحقير، وكــل معروف صدقة، وفي كل كبد رطبة أجر، تصدقوا ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة،/ فلا تحقرن من المعروف شيئًا ولو تلقى أخاك وأنت تبسط إليه وجهك، (ق ٣٥-ب) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧] .

ولا فرق في الشر بين قليله وكثيره، فلا تحقرن منه شيئًا، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَــرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٨] ، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣] ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ

---

(١) ما بين [ ] سقط من المخطوط.

إلاَّ لَدَيْه رَقيبٌ عَتيدٌ﴾ [ق:١٨] ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر:٥٢] ، ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف:٤٩] ، وقد دخلت النار امرأة في هرة ربطتها و لم تطعمها حتى ماتت، وغفر لبغي بسقية كلب، ولآخر بإزالة غصن شوك عن طريق المسلمين ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

فصل في فضل ما يبذل من المنافع والأعيان وفي العفو والصبر

فضائل الأعمال تتفاوت بتفاوت ما تجلبه من نفع أو تدفعه من ضر، فالمعرفة والإيمان أفضل الأعمال لأن مصلحتهما أكمل المصالح، والجهل بالله والكفر أكبر الكبائر؛ لأن مفسدهما أعظم المفاسد، وتفاوت مراتب الوسائل بتفاوت مراتب المقاصد، والدعاء إلى الإيمان أفضل أمر بالمعروف، والنهي عن الكفر أفضل نهي عن المنكر، وإراقة الخمر والنهي عن شربها وسيلة إلى حفظ العقول، والأمر بالعفو عن القصاص وسيلة إلى حفظ الأعضاء والمنافع والأرواح، وعلى هذا تترتب جميع المقاصد والوسائل، ويشرف الإصلاح بين الناس بشرف المبذول، فتعريف الإيمان أفضل من كل مبذول، ويتفاوت شرف الدفع بتفاوت قبح المدفوع، فإزالة الشبه الموجبة للكفر والشك أفضل من كل دفع؛ إذ لا مدفوع أقبح من الكفر بالله والشك فيه، وإطعام المضطر أولى من إطعام المحتاج، وتعظيم رتب الحلم والعفو والصفح والغفر بعظم الذنب، والعفو عن أعظم الذنوب/ في أفضل رتب العفو، وكذلك الحلم وغيره، (ق ٣٦-أ) وكذلك تفاوت مراتب الصبر بتفاوت رتب المصبور عنه وعليه، والصبر عن أعظم الشهوات في أعلى مراتب الصبر عما يُصبر عنه، والصبر على أشق العبادات وأعظم البليات في أعلى رتب الصبر على ما يصبر عليه، والاعتبار في ذلك كله بعظم المصالح والمفاسد في المقاصد والوسائل.

فصل في الإحسان المتعدي

أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل والإحسان وبالمساعدة عليهما، ونهى عن كل إثم وعدوان وعن المعاضدة عليهما، مرغبًا في قليل الخير وكثيره، ومرهبًا من جليل الشر

وحقـــيره، فقـــال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلـــزلة:٧-٨] ، وكـــتب الإحســـان على كل شيء حتى على النملة والنحلة، وأمر بإحســـان الذبحـــة والقتلة، وإحداد الشفرة وإراحة الذبيحة، وأمر بإحسان عبادته بأن نعبده كأننا نراه، لنعظمه تعظيم من يقبل عليه وينظر إليه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، فلنســـتحي من نظره إلينا واطلاعه علينا؛ إذ لا يخفى عليه شيء من أحوالنا ولا يعزب عن سمعه وعلمه شيء من أقوالنا وأعمالنا، فطوبى لنا إن أطعناه، والويل لنا إن عصيناه، إذ لا نصح أنفع من نصحه، ولا وعظ أنجع من وعظه، ولا أدب أكمل من أدبه، ولا طلـــب أفضل من طلبه، وقد أمرنا أن نحسن إلى عباده لما أحسن إلينا، وأن ننعم عليهم كما أنعم علينا.

وإحســـاننا نوعان: [نوع][(١)] قاصر علينا ولا يتعدانا إلى سوانا، ونوع يتعدانا إلى غيرنـــا في عاجلـــة أو آجلة أو فيهما، وأعمالنا الظاهرة والباطنة تنقسم إلى الوسائل المفضـــية إلى الخـــير والشر، وإلى المقاصد، والمقاصد طاعات، وهي وسائل إلى رضى الـــرحمن وما أعده الله في الجنان لأهل الطاعة والإيمان، وعمل بمقتضى المحبة الإجلال والمهابـــة، والحياء منه أن يرانا حيث نهانا، ويفقدنا / حيث [أمرنا][(٢)]، ولو قصدنا أن (ق ٣٦-ب) نتقرب إليه بجميع أعمالنا لقبل ذلك منا و[أثابنا][(٣)] عليه، فلو أكلنا أو شربنا أو رقدنا أو قعدنا أو لبسنا بنية [أن][(٤)] نتقوى بذلك على طاعته لقربنا ذلك إليه وأثابنا عليه، بل لو قضى أحدنا وطره من أهله بنية إعفافهن وغض أبصارهن، وسعيًا في إيلادهن ولدًا يوحد الله ويعبده ويشكره ويحمده؛ لأجرنا على ذلك من وجوه شتى على قدر نياتنا، وقد جعل رسول الله ﷺ ذلك صدقة فقال: «و[في][(٥)] بضع أحدكم صدقة»[(٦)] وحكم

---

(١) ما بين [ ] سقط من الأصل.
(٢) ما بين [ ] غير واضح في المخطوط.
(٣) ما بين [ ] حُرّف في المخطوط إلى (أثبانا).
(٤) ما بين [ ] حُرّف إلى (أول) بدل (أن) وهو خطأ في السياق.
(٥) وقع في الأصل (قد) وهو تحريف ظاهر.
(٦) رواه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر مرفوعًا.

بأن اللقمة التي تأكلها الزوجة صدقة[١]، لأنها كانت من النفقة الواجبة فهي من الإحسان (المندوب)، فسبحان من كثر الطرق إلى ثوابه؛ ليكون عباده في كل حال سائرين إليه ومقبلين عليه، ليجزيهم بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ولن يهلك على الله - سبحانه وتعالى - مع هذا الفضل العظيم واللطف العميم إلا هالك.

فصل في تنويع الإحسان المتعدي

الإحسان المتعدي يتعلق بالقلوب والأبدان، فإحسان القلوب بإرادة كل نفع للعباد، فإن الإرادة سبب لذلك، وكذلك بالصبر عن المظالم، وبأن تحب لكل مسلم ما تحب لنفسك، وبأن توقر ما يستحق التوقير.

وإحسان الأبدان أقسام:

أحدها: [بذل المال] بالهبات والصدقات.

الثاني: إباحة المنافع والأعيان؛ كالعواري والضيافات.

الثالث: الإسقاط: كالعتق، والإبراء من الديون والقصاص والحدود وسائر العقوبات.

الرابع: الإعانة على الطاعات بتعليمها وتفهيمها، والمساعدة على فعلها، والنيابة فيها كالنيابة في الحج وتفريق الصدقات.

الخامس: الإعانة بكل نفع عاجل أو آجل فعلي أو قولي، كالإعانة بالبناء والخياطة، وتحميل الدابة وأن تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق، وبأن تدل الطريق، وتخدم الصديق /وتعين الرفيق، وتأمر بكل معروف، وتنهى عن (ق ٣٧-أ) كل منكر، وتفك الأسارى، وترشد الحيارى.

السادس: حسن الأخلاق كإظهار البشر، وطلاقة الوجه، والتبسم في وجوه الإخوان.

---

(١) سيأتي تخريجه.

السابع: إحسان الإحسان وهو أن يفعل على أعلى مراتبه خليًا من الشبه والأذى والإيذاء والعيوب والإذلال والمنة، فمن العبادات ما هو إحسان بأصـــله ووصفه؛ كالزكوات وسائر الصلات، ومنها ما يشتمل على الإحســـان ببعض أصله أو بوصفه، والله أعلم بغيبه.



الباب الثامن

في ضروب من الإحسان المذكور في كتب الفقه

وفيه فصول:

فصل في تنوع الإحسان

الإحسان الشرعي أنواع:

أحدهما: فرض عين كالزكوات والنفقات.

الثاني: فرض كفاية كالجهاد وتجهيز الأموات.

الثالث: سنة عين كالضحايا والهدايا والصدقات.

الرابع: سنة كفاية كتسليم أحد الجماعة على من يمرون به من الآحاد والجماعات.

فصل في النفع بالزكوات

الإحسان بالزكوات هو الاقتصار على ما يجزئ، وكذلك الإحسان بكل عبادة، فالإحسان بوصفها أن تأتي بكل ما ندب إليه فيها، وبأن تعبد الله بها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالإحسان بوصف الزكاة بالمسارعة إلى إخراجها عند وجوبها إلى أهل بلدها من أنفس الأموال وخيارها خلية من العيوب والشبهات، ومن المن والأذى، مقدماتها الأولى فالأولى، كالمضطر الغريب، والجار والقريب، والمستور الخامل، والمصرور السائل، مع إخراج الزكوات المختلف في إيجابها ناويًا للزكاة عند إخراجها، والتطوع بها بعد إفياضها ليخرج قابضوها عن شبهة الخلاف.

/وهكذا حكم كل مال مبذول للتقرب إلى الله. (ق ٣٧-ب)

فصل في النفع بأبعاض الصلوات

وذلك دعاء الفاتحة والتأمين عليه، ودعاء القنوت والتسلم على عباد الله الصالحين، وتسليم التحلل على الحاضرين.

وليست الصلاة على رسول الله ﷺ شفاعة منَّا له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله سبحانه أمرنا بمكافأة من أنعم علينا وأحسن إلينا، فإن عجزنا عن مكافأته دعونا له أن يكافئه عنا، ولما عجزنا عن مكافأة سيد الأولين والآخرين؛ أمرنا رب العالمين أن نرغب إليه أن يصلي عليه لتكون صلاته عليه مكافأة بإحسانه إلينا، وإفضاله علينا؛ إذ لا إحسان أفضل من إحسانه - صلى الله عليه وعلى آله وإخوانه -.

فضل في الإحسان باستماع القرآن مع الإخلاص

إحسان لانتفاع سامعيه بما فيه من الأمر والزجر والوعد والوعيد، والقصص والأمثال، ومدائح ذي الجلال و(الامتنان)[١]، بالإنعام والإفضال، وتعليم الاستدلال على قدرته على إعادة الأموات وبعث الرفات بخلقنا في بطون الأمهات، وبما أخرجه من ماء السماء من الثمار والنبات وأنواع الأقوات.

فصل في الإحسان بالخطب الشرعية

الخطب إحسان إلى سامعها بما تشتمل عليه من مدائح الرحمن الموجبة للذل والإذعان، وفوائد القرآن المتقاضية لكل إحسان، والمواعظ الناجعة في إصلاح الأديان، والدعاء المرجو إجابته لكل قاصٍ ودانٍ.

فصل في الإحسان بالأذان

الأذان [إحسان][٢] إلى كل من سمعه لما فيه من تعريف أوقات الصلوات، والدعاء إلى أفضل القربات، وتقديمه على الصبح إعانة على المحافظة على أوائل الأوقات

---

(١) ما بين ( ) غير واضح في المخطوط ولعلّ ما أثبت صواب يناسب السياق.
(٢) ما بين [ ] سقط من المخطوط.

والإقامة، وحضور الصلوات، والإعلام على المحافظة على أوائل الأوقات والإقامة، وحضور الصلوات، والإعلام بدخول الوقت، وحضور الصلوات من غير أذان ولا إقامة؛ إحسان دون إحسان الإقامة والأذان، والإحسان بوصف الأذان والإقامة بترتيلهما ورفع الصوت / بهما مع التحرير، وإحسان التصويت بالارتفاع لإبلاغ (ق ٣٨-أ) الأسماع، وبالالتفات في الحيعلتين لعموم الإبلاغ.

فصل في الإحسان بالإعانة على الطاعات

وهو أنواع:

الأول: تعليم أسباب العبادات وأركانها وشرائطها وسننها وآدابها، وما يوجب نقصها وجبرانها، وما يقتضي إفسادها وبطلانها.

الثاني: الإحسان بالإمامة لإفادة فضيلة الاقتداء، وذلك بالجهر بتكبيرة الإحرام وتكبيرات الانتقال، وبالقراءة والتسليم، والانتظار في صلاة الخوف وفي الركوع في سائر الصلوات، وبتعليم الصلاة بالفعل بأن يصلي بهم على مكان عال، وقد يحسن بترك تطويل العبادة بأن يخفف الصلاة رفقًا بكل معذور من خائف ومريض وضعيف وذي حاجة، حتى يخففها ببكاء الأطفال، فإنه رفق بهم وبأمهاتهم، ولئلا يُشوش الخشوع بالرقة على الأطفال.

الثالث: الإحسان بالاقتداء، فإنه يفيد الإمام فضيلة الجماعة إذا نوى، ويذكره المقتدي إذا نسي، ويسبح به الرجل وتصفق به المرأة إذا ناب الإمام في صلاته أمر، ويؤمن على دعائه في الفاتحة والقنوت، ويرد عليه السلام في آخر الصلاة، ويفيد المنفرد إذا فاتته الجماعة أن يقتدي به، وكذلك جعل الصلاة على رسول الله ﷺ صدقة، وإنه لمن أفضل الصدقات.

الرابع: الإحسان بالإعانة على الطاهرات؛ وذلك بالإعانة على كل تطهير بتحصيل أداة الطهارة كالماء والتراب، وأحجار الاستجمار بالدلالة على ذلك، والمساعدة في تحصيله، وبتطهير العاجز، والصب على القادر.

الخامس: الإحسان بالإعانة على استقبال القبلة بتعريفها والدلالة عليها، والإعانة على الاجتهاد في تعرفها، والاجتهاد لمن لا يعرف أدلتها وإحسان هذه الإعانة بالدلالة

على إصابة عينها، فإنه أعلى مراتب الاستقبال.

السادس: الإحسان بالإعانة على الستر ببذل السترة الواجبة والمندوبة بهبة أو عارية، أو وقف على العراة وعلى/ المحتاجين إلى ستر الصلاة. (ق ٣٨-ب)

السابع: الإحسان بالنيابة في العبادة بتفريق الزكوات والكفارات والضحايا والهدايا وسائر المبرات، وبالصوم عن الموتى وبالحج عن العجزة والأموات.

الثامن: الإحسان بالإعانة على سائر العبادات وأبعاضها، كالإرشاد إلى الكعبة والمساجد والبقع المباركات، وكإعانة الضرير بالقود إلى الجماعات، وشهود الجنائز، وعيادة المرضى، والقود في الطواف والسعي إلى منى ومزدلفة وعرفات.

فصل في الإحسان بالمال في كل عبادة لا تتأتى إلا بالمال

كإعانة الحاج بالزاد والراحلة، والنفقة عليه وعلى أهله في مدة الذهاب والإياب، وكذلك إعانة الغازي بالكراع والسلاح والمركوب وجميع أدوات الحروب، والنفقة عليه وعلى أهله إلى انقضاء الغزاة ورجوعه إلى وطنه، وكذلك إعانة العلماء بالأوراق والحبر والمداد، وكذلك أداء الزكوات والكفارات والنذور المالية عن من وجب عليه ثم أعسر بها؛ فإن ذلك إحسان على من وجبت له وعليه.

فصل في الإحسان إلى الصائم والمعتكف

وذلك بإعانة الصائم بفطوره وسحوره، وإعانة المعتكف ببناء المساجد وفرشها وتطهيرها وتنويرها، فإن كفاية العالم المؤنة توفره على الأشغال، وكذلك توفر العابد على عبادته والمتقي على تقواه.

فصل في الإحسان إلى الحاج

الإحسان إلى الحاج بأن لا يزحم على طواف ولا سعي ولا رمي ولا تقبيل ولا استلام، ومن سبق إلى شيء من هذه الشعائر، فلا يتقدم عليه فيما سبق إليه، وبأن لا يصادم النساء في الطواف.

فصل في الإحسان في الدعاء

الإحسان بالدعاء يتناول كل ما يتعلق به من شاهد وغائب، والامتنان بدعاء الاستسقاء وصلاته وخطبته، متعلق بكل مجدب تعلق به ذلك الدعاء.

فصل في الإحسان/ إلى المريض (ق ٣٩-أ)

بالعيادة من غير إطالة، وبالسؤال عن حاله من غير ملالة، ومعالجته بالرقى الشرعية النافعة، ومداواته بالأدوية الناجعة، وبالرفق به في جميع أحواله، وبالدعاء له بالشفاء إن رُجيت حياته، وبالترغيب في التوبة والوصية الشرعية إن خيف مماته، وبأن يحسن الظن بربه ويلقن الشهادة عند موته.

فصل في الإحسان إلى الميت

الإحسان إلى الميت بإغماض عينيه عقيب موته، وسد لحييه، وتليين مفاصله، وستره عن العيون وعن إظهار ما عساه يكون ببدنه من عيب، وبتوضيئه وغسله وتطييبه، وإحسان أكفانه، وإجمال حمله، والإسراع المقتصد به، والصلاة عليه مع الابتهال إلى ذي الجلال، ويتقدم الأولى فالأولى من أقاربه لما يرجى من إجابة دعائهم به بسبب تفجعهم عليه، ورقتهم له ومصابهم به، والمبادرة إلى قضاء ديونه، كالحج والزكاة والصوم والنذور، وديون العباد، وتنفيذ وصاياه، والدعاء له قبل دفنه وبعد دفنه، والوقوف بعد الدفن ساعة على قبره للدعاء والاستغفار، وطلب تثبيته عند سؤال الملكين، ثم تعهد قبره بالزيارة والتسليم والدعاء المأثور، وأن لا يذكر إلا بخير إلا أن تمس الحاجة إلى ذكره بشر لجرحه في شهادته وروايته، أو تحذير من بدعته وفساد طويته.

فصل في الإحسان إلى أهل الميت

الإحسان إليهم بالتعزية والحث على الصبر؛ لما فيه من عظيم الأجر وكريم الذخر، وزجرهم عما ينهون عنه من كل ما يشعر بالسخط بالقضاء، من حلق شعرٍ وشق جيبٍ، ولطم خدٍ ونوحٍ، وأن يهبوا لهم ما يأكلونه يومهم وليلتهم.

فكل ما ذكرناه من هذه الأنواع بر وإحسان، تضافرت عليه أدلة الكتاب والسنة تارة بالتفصيل وتارة بالإجمال.

فصل في الإحسان المتعلق بالمعاملات

وهو أنواع:

/ أحدها المسامحة في الأعواض: لقوله ﷺ: «رحم الله رجلا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى»[1]، وقد روي في حديث آخر: «اسمح يسمح لك»[2]. (ق ٣٩-ب)

الثاني: الصدق في وصف الأعواض وإتمامها: لقوله ﷺ في المتبايعين: «فإن صدقا وبيّنا بورك لهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»[3].

الثالث: المسامحة في وصف الثمن: لأن الله سبحانه غفر لرجل لم يعمل خيرًا سوى أنه كان ينظر الموسر، ويتجاوز عن المعسر، ويتجاوز في السكة والنقد.

الرابع: الإشهاد والكتابة إذا كان أحد العوضين دينًا؛ لأن الكتابة إعانة على حفظ الحقوق، وتذكير الشهود، ودفع لمآثم الجحود وتحمل الشهادة، كذلك فأداؤها إعانة على استيفاء الحقوق وإسقاطها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] ، وقال: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

الخامس: الإشهاد إذا كان العوضان عينًا: لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

السادس: اجتناب الشبهات في جميع المعاوضات: لقوله ﷺ: «فمن ترك الشبهات

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٦) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٢) رواه أحمد في "المسند" (١/٢٤٨)، والطبراني في "الأوسط" (٥١١٢)، و"الصغير" (٢/١٤١) عن ابن عباس مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) عن حكيم بن حزام مرفوعًا.

فقد استبرأ لعرضه ودينه»[(١)]، وعرضه ولا سيما في شراء الجواري احتياطًا للأبضاع.

السابع: اجتناب المعاملة المختلف فيها: لقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[(٢)].

الثامن: حسن القضاء والاقتضاء لقوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨] ، ولقوله ﷺ: «سمحًا إذا قضى وإذا اقتضى»[(٣)].

التاسع: بيان عيوب الأعواض: لقوله ﷺ: من غشنا فليس منا»[(٤)]، ولأن رسول الله ﷺ «أمر بالنصح لكل مسلم وقال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه»[(٥)]، والغش نوع من الظلم.

العاشر: الزيادة فيما يبذله من كيل أو موزون كالمستحق بالسلم وسائر أسباب الديون؛ لقوله/ ﷺ : «زن وأرجح»[(٦)]، فإن خير العباد أحسنهم قضاءً. (ق ٤٠-أ)

الحادي عشر: إنظار الموسر والتجاوز عن المعسر للحديث ولقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ [البقرة:٢٨٠] ، أي: وأن تبرعوا ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٠] ، من الإنظار؛ لأنه أعظم أجرًا من الإنظار.

الثاني عشر: وضع الحوائج: لأن رسول الله ﷺ أمر بوضع الحوائج[(٧)].

الثالث عشر: إقالة النادم: لقوله ﷺ: «من أقال نادمًا أقاله الله»[(٨)]، إقالة النادم إحسان إليه؛ لما فيه من العوض فيما ندم عليه، لا سيما في بيع العقار وتمليك الجوار.

---

(١)متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تم تخريجه سابقًا.

(٢)رواه الإمام أحمد (١/٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/٢٣٧)، عن الإمام الحسن بن عليّ - رضي الله عنه - وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

(٣)رواه البخاري عن جابر، وقد تقدم تخريجه.

(٤)رواه مسلم (١٠١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٦)رواه أبو داود (٣٣٣٦)، والترمذي (١٣٠٥)، والنسائي (٧/٢٨٤)، وابن ماجة (٢٢٢٠) عن سويد بن قيس، وقال أبو عيسى حسن صحيح.

(٧)رواه مسلم (١٥٥٤) عن جابر مرفوعًا.

(٨)رواه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجة (٢١٩٩) عن أبي هريرة، وصححه ابن حبان (١١٠٣،١١٠٤).

الرابع عشر: أن لا يفرق بين والدة وولدها: ولا يخفى ما في تفريق الوالدة وولدها من الأضرار لقوله ﷺ: «لا توله والدة بولدها»[١].

الخامس عشر: ألا يشتري الأقوات للاحتكار لقوله ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ»[٢].

فصل في الإحسان المتعلق بالبيع

أن لا يبيع على بيع أخيه، ولا يسوم على سومه، ولا يبيع حاضر لباد، ولا يتلقى الركبان، ومن آدابه القاصرة أن لا يكثر عليه الحلف، ولا يبيع في المساجد، ولا يشغل به عن تأدية حق واجب، كالاشتغال به عن إجابة المنادي يوم الجمعة وغير ذلك من الواجبات، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ...﴾ [النور:٣٧].

فصل في إحسان المقرض

إحسان المقرض بالمسارعة إلى القرض عند الطلب، بطلاقة وجه وطيب نفس، وبتأخير الطلب والإبراء.

فصل في إحسان المقترض

وذلك بالمسارعة [إلى][٣] بذل القرض زائدًا في قدر وصفه.

فصل في إحسان الراهن

وذلك بالتبرع بالرهن ثم بإقباضه وبالإشهاد على نفسه إذا استرده لينتفع به.

---

(١) رواه البيهقي في "الكبرى" (٨/٥)، وابن عدي في "الكامل" (٦/٤١٨)، وفي إسناده ابن لهيعة والحجاج بن أرطأة، وقد ضعفا.

(٢) رواه مسلم (١٦٠٥) عن معمر بن عبدالله مرفوعًا.

(٣) في المخطوط (رد) وهو خطأ والصواب ما أُثبت لموافقته السياق.

فصل في إحسان المرتهن

وذلك بتمكين الراهن من أنواع الانتفاع وإن أدى ذلك إلى انفساخ الرهن، كالاستيلاء والعتق والوقف، وأنواع القرب/ بنقل الملك، وبالنزول عن الرهن بعد لزومه وبفسخ كل رهن اختلف العلماء في صحته أو في لزومه، وبفسخه عند فلس الراهن ليشرك فيه الغرماء.

فصل في إحسان المفلس إلى غرمائه وإحسانهم إليه

إحسان البائع من المفلس بأن يضارب الغرماء بالثمن، ولا يفسخ البيع، ولا سيما في صور الخلاف في الفسخ.

وإحسان المفلس بأن يوزع ماله على الغرماء، ولا يحوجهم إلى طلب الحجر عليه.

وإحسانهم إليه بأن لا يلتمسوا الحجر عليه، ولا سيما في صور الخلاف في جواز الحجر، فإن حجر عليه فإحسانهم إليه بمبادرة فك الحجر عنه، فإن لم يحجروا عليه وغلبته نفسه بإنفاق الأموال، ولم يقدر على الغرماء فإحسانه بأن يلتمس من الحاكم بأن يحجر عليه.

فصل في إحسان المعسر

وذلك بأن يحيل بالمال على موسرٍ، وإحسان المحتال بقبول الحوالة، وإحسان المحال عليه كإحسان كل مديون.

فصل في إحسان ضامن الدين وضامن العهدة والكفيل بالبدن

وذلك بأن يسرعوا بالضمان من غير طلب ولا رجوع ببدل.

وإحسان المضمون عنه بتعجيل الأداء قبل مطالبة الضامن.

وإحسان المكفول ببدنه أن يحضر قبل مطالبة الكافل.

فصل في الإحسان بالمصالحة

وذلك بالهبة والإبراء والصبر والإباحة والمسامحة

فصل في إحسان الجار

وذلك بالإذن في موضع الإجداع، وأن لا يرفع ملكه بحيث يرى من [بدار][1] الجار.

فصل في إحسان الشريك

وذلك بالموافقة على كل انتفاع جائز وبالتبرع بالعمارة (والحفظ) والتصرف والإصلاح، وبالإجابة إلى كل قسمة يجوز التراضي بها، وبالمناولة فيما لا يقبل القسمة، وبأن لا يبيع سهمه حتى يؤذن شريكه، فإن رغب فيه باعه منه بالمسامحة.

فصل في الإحسان بعقود المنافع

الإحسان في الوكالة والوديعة، والجعالة والإجارة، والمساقاة والمزارعة بأن يزيد على الأعمال المستحقة بهذه العقود، وأن يوقعها على أكمل الوجوه مع إحسان/ (ق ٤١-أ) حفظها، بحرز مثلها وأوثق منه، وبإراحة الدابة بتروله عنها والرفق بها في سيرها وتحملها ورعيها، وبأن ينتفع بالدار انتفاع مثلها من غير إضرار، فلا يجعل فيها ما تسارع إليه النار، وبإحسان كل انتفاع يختلف في وجوبه واستحقاقه، مع أداء ما يقابله من الأجرة، وبإحسان كل عقد مختلف فيه، وباجتناب كل عقد مختلف فيه، وبضمان كل ما اختلف في ضمانه، ثم ينوي به التبرع بعد إقباضه إخراجًا للمؤجر عن الخلاف، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، والتبرع بهذه الأعمال كلها من غير عوض إحسان كامل.

(١)في المخطوط الأصل بدون الباء [دار] وأثبت للزومها للسياق.

فصل في الإحسان بحفظ الأعيان

فحفظ المضمونات كالعواري والغصوب، والمقبوض بالسوم والأمانات كلها، كالودائع وأشجار المساقاة، وزرع المزارعة والأعيان المأجورة، والمردودات بالجعالة، إحسان واجب بحرز مثلها، مندوب إلى ما هو أحرز منه.

فصل في إحسان الملتقط

وذلك بالالتقاط للحفظ الدائم، والتعريف الكامل، والإحراز البالغ وفعل ما هو الأحفظ للمالك، وأن يشهد من يوثق به على ذلك.

فصل في الإحسان المتعلق بالشفعة

إحسان الشفيع بالعفو عن الشفعة، وإحسان المشتري بإعلام الشفيع بالشراء والثمن، وأن لا يشتري لشقص بمجهول يمنع من أخذه، ولا بعين يزهد في طلبه، وأن يعاوض الشفيع على الشقص في كل صورة اختلف العلماء في ثبوت الشفعة فيها؛ ليخرجا عن الخلاف.

فصل في إحسان اختيار الرد بالعيب والخلف والتدليس

وذلك بالرضا بالناقص إن كان الراضي مغبونًا، وبالرد إن كان البائع نادمًا أو مغبونًا.

فصل في الإحسان بالعارية

وذلك بالمبادر إليها عند الطلب مع البشر والطلاقة، وأن لا يرجع فيها حتى يقضي المستعير إربه منها.

وإحسان كل بر مطلوب ببذله بالبشر مع المبادرة إليها خليًا من الشبه والعيوب، غير مكدر بمن ولا أذىً ولا طلب شكرٍ ولا مكافأة، وأن لا يظهر إحسانه لأحدٍ بتعريض [أو][1] / تصريح. (ق ٤١-ب)

---

(١)ما بين [ ] سقط من الأصل.

فصل في إحسان رد الأمانات والمضمونات

وذلك بالمبادرة إليها وبحملها إلى مستحقيها أينما طلبها، سواء وجب ردها في ذلك الزمان والمكان أو لم يجب.

والإحسان في الأمانات الشرعية المسارعة إلى إعلام أربابها، والأمانة الشرعية كالثوب تطيره الريح إلى ملك إنسان أو إلى يده وحجره، وكالأمانات والعواري إذا مات مُلاَّكها؛ فيجب عليه المسارعة إلى الإعلام: إعلام مستحقيها أو وكلائهم، فإن لم يوجدوا فإلى الحكّام الموثوق بأمانتهم.

فصل في الإحسان المتعلق بالغصب

إحسان الغاصب بالمبادرة إلى الرد على المالك بأي مكان، إذا كان الرد بذلك المكان أنفع للمالك، وبأن يضمن كل منفعة وزيادة عين اختلف في ضمانها، وأن يرد كل عين اختلف في وجوب ردها مع بذلها للمالك، وإحسان المالك إلى أن يطالبه برفقٍ وإحسان حيث يستحق الطلب أو دونه، وبأن يبرئه من كل ضمان مختلف فيه، ويملّكه كل عين اختلف في وجوب ردها، وإحسان الحاكم إلى المالك وإلى الغاصب بانتزاع المغصوب لما في ذلك من إبراء الغاصب وحفظ حق المالك، وإحسان الآحاد بانتزاع المغصوب من كل جهة لا تضمن كالحدأ والبازي، وفي انتزاعه من الجهة الضامنة خلاف، فإن بنى الغاصب أو غرس فإحسان المالك إليه بأن يعيره أو يؤجره أو يهبه أو يبيعه، ولا يقلع بناءً ولا غراسةً.

فصل في إحسان الملتقط

(وذلك) بالمبادرة إلى أخذ اللقيط والإشهاد على التقاطه وحفظه وحضانته، وإحسان تغذيته وتربيته على ما يليق بمثله، والاحتراز على حفظ نسبه وحريته ودينه.

وإحسان اللقيط بأن يكافئ ملتقطه بمثل ما فعل أو أكمل منه.

فصل في الإحسان بالأوقاف الخاصة والعامة

وذلك بالمبادرة إليها وتخفيف شروطها، وارتياد أفضل جهات البر لمصارفها، وإحسان ما اختلف فيه منافع خلوصه من الشبهات، فإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، واختيار أفضل النظار لها.

فصل في إحسان الناظر/ والموقوف عليه (ق ٤٢-أ)

إحسان الموقوف عليه بأن يقبل الوقف؛ لأنه إحسان إلى الواقف وإلى البطون بعده، فإحسان الناظر بأن يقوم بعمارته التي شرطها الواقف أو اقتضاء العرف يوم الوقف من غير زيادة على ذلك، فإنه يبالغ في تضمينه وحفظه وشهرته؛ ليستفيض بين الناس أنه وقف على ذلك المنصرف، وأن يراعي الغبطة في إنجازه واستغلاله بأفضل الجهات، وبأن يصرفه في أفضل مصارفه.

فصل في الإحسان بالهبات والصدقات والهدايا والعمرى والرقبى والمنائح

وذلك بأن يوليها الأبرار الصلحاء الأعفاء من الأقارب والأجانب؛ مقدمًا لمن اشتدت فاقته وعظمت ضرورته، خلية من العيوب والشبهات، غير مكدرة بمنة ولا أذية ولا إظهار ولا طلب مكافأة، وأن لا يرجع فيما يجوز له الرجوع فيه من ذلك؛ لحبه الولد وولد الولد، وإحسان القابل لذلك بأن يكافئه بمثله أو أفضل منه، فإن عجز عن ذلك قابله بالدعاء له.

فصل في إحسان الموصي

وذلك بارتياد أعلى الجهات لوصيته، وأن لا يحيف على ورثته، وأن ينقص من الثلث إن كانوا فقراء، ويستكمله إن كانوا أغنياء، وأن لا يرجع في وصيته إلا إلى ما هو أولى منها.

وإحسان الموصى له برد الوصية على الورثة إن كانوا فقراء، وبقبولها إن كانوا

أغنياء ليكسب الموصي أجرها.

وإحسان الموصى إليه بقبول الوصاية، وبالمبادرة إلى تفريقها أعلى جهاتها وأفضل مصارفها؛ مقدمًا لأهمها فأهمها.

وإجــازة الوارث الوصية للوارث أو بما زاد على الثلث للأجنبي إحسانًا للموصي والموصى له.

فصل في إحسان الوارث

وذلــك بتــرك كــل إرث اختلف العلماء فيه كتوريث الإخوة مع الأجداد[١]، وتــوريث ذوي الأرحام[٢]، فيبذله الأخ للجد، ويبذله ذوي الرحم لبيت المال، وبأن يجتنب كل إرث فيه شبهة، فإن أمكن الخلاص من الشبهة بالرد إلى من تحققت الشبهة بســببه فعل، وإن لم يمكن ذلك رده إلى بيت المال، فإن كان في التركة مال محرم رده إلى مســتحقه/ أو على وكيله أو إلى الحاكم فإن لم يعرفه [ويئس][٣] من معرفته رده (ق ٤٢-ب) علــى بــيت المال، فإن كان السلطان جائرًا صرفه في المصالح العامة، وإن توقع معرفة مالكه ولم يجد حكمًا مقسطًا ولا إمامًا عدلا حفظه إلى أن يظهر مالكه فيدفعه إليه، أو يــيأس من معرفته فيرده على مصارف بيت المال، ومتى دعاه بعض الورثة إلى القسمة أجاب إلى كل قسمة تجوز بالتراضي، فإن حضر القسمة من لا يرث من الأقارب، أو أحــد مــن اليتامى والمساكين، فليصرف إليهم شيء من أصل التركة قبل القسمة إن رضــي الجماعة بذلك، وإن لم يرضوا به صرف كل واحد من سهمه بعد القسمة ما يجبر به الحاضرين، ويقع منهم موقعًا يغنيهم ويرضيهم، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله.

---

(١)انظــر: شــرح الرحبية (ص٨٨ ، ٨٩) بتحقيقنا، ط قرطبة — القاهرة، وكذلك دار الكتب العلمية — بيروت.

(٢)انظر: شرح الرحبية لسبط المارديني (ص٤٦ — ٤٨) بتحقيقنا، القاهرة، وبيروت.

(٣)ما بين [ ] غير واضح بالأصل.

فصل في الإحسان المتعلق بالنكاح والطلاق

والإيلاء والظهار وغير ذلك

الأول: في إحسان الأولياء؛ إحسان الولي بالمبادرة إلى النكاح بأفضل الأكفاء، ولو بأن يبدأه بالخطبة كما فعل شعيب بموسى، وفعل عمر بأبي بكر وعثمان - رضي الله عنهم -، وبأن لا يزوج الحرة إلا برضاها إن كانت بالغة وبأن يسامح الزوج ا لكفء المرضي في مهرها بإذنها، كما قال شعيب ﷺ: فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك، وبأن يزوج بنينه الأصاغر الكفيات الحسنيات الدينات الجميلات، وأن يتبرع عنهم بالمهور والنفقات؛ لأن ذلك كله بر وصلة رحم.

الثاني: في إحسان الأزواج وذلك بالمعاملة بكل برٍ وإحسان فيما يجب لهن من النفقات والصدقات، والملابس والمساكن والمرافق، مع طلاقة الوجه، والإعفاف بالوطء الكاسر للشهوات، والصوت والتحذير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحث على الطهارات والصلوات والزكوات، والإذن للعجائز في شهود الأعياد والجمع والجماعات بشرط أن يخرجن تفلات، وبأن لا يمنعها من زيارة أبويها وتمريضهما وشهود جنائزهما، ولا من إرضاع أولادها من غيره، ولا يمنع أحدًا من محارمها من زيارتها/ في بيته، ولا يحول بينها وبين من ألفته من خدمها، ولا من مبادرة الحج (ق ٤٣-أ) وتعجيل الصلوات في أوائل الأوقات ولا من صوم مندوب ولا تهجد مسنون، وأن يلاعب الفتاة ويضاحكها ويسمع تفاكيها، كما سمع رسول الله ﷺ حديث أم زرع[١]، وأن يمكنها بعض الأوقات في النظر إلى اللهو المباح ولا يتجسس عليها للتطلع على عورتها، وأن يعجل الإياب إليها من سفر ولا يطرقها ليلا، وأن يمرضها ويلاطفها في أمراضها، ويسأل عنها إن تعذرت مباشرتها وأن لا يعزلها، وأن يصبر عليها إن كرهها، وأن لا يضارها ليضيق عليها، وأن يعاملها بكل بر يقدر عليه وبكل خير يصل إليه،

---

(١) انظر: تخريج حديث أم زرع في "الشمائل المحمدية" للترمذي، وأشرف الوسائل فهم الشمائل لابن حجر الهيثمي، والشفا للقاضي عياض، ثلاثتهم بتحقيقنا، الأول والثالث ط التوفيقية القاهرة، والثاني ط دار الكتب العلمية – بيروت.

فقد قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(١).

الثالث: في إحسان الزوجات، وذلك بتعجيل الزفاف إذا طلبه الزوج وألا تماطل إلا بما جرت به العادات، وبالتصون والتحذر والقرار في بيته، فلا تخرج من بيته ولا تأذن لأحدٍ في دخول بيته ولا في طعامه إلا بإذنه، وأن ترعاه في ذات يده، وتطلب حقوقها بإحسان، وتنظره إن أعسر أو تبرؤه، وأن تتهيأ لاستمتاعه بالاستحداد والتطييب والتطهير من الحيض والجنابة والأخباث، وأن تتجنب أكل ما يتأذى بريحه كالثوم والكراث، وأن لا تجحد إنعامه ولا تكفر إحسانه(٢).

الرابع: في إحسان المولي والمظاهر؛ وذلك بتعجيل الفيئة من المولي والكفارة من المظاهر؛ لأنه إحسان إليها وإلى مستحق الكفارة.

الخامس: في إحسان الملاعن، من اطلع على زنا امرأته فالأولى أن يسترها ولا يلاعنها إلا أن تأتي بولد يعلم أنه لا يلحقه فيلزمه لعانها نفيًا لولدها، فإنه إحسان إليها وإلى الولد وإلى كل من هو في محارم الزوج، فإنه لو لم يَنْفِه لنظر إلى محارم الزوج، وشارك في إرث الزوج وخلا بمحارمه، وتولى عليهم النكاح والحضانة وغير ذلك.

السادس: في إحسان المطلق وذلك بإيقاع الطلاق سنيًا مفرقًا مشهودًا عليه، غير مضار به مع أداء حقوق العدة والمتعة/ وأيهما عفا عن شطر الصداق فهو محسن، وإن (ق ٤٣-ب)
شك في إيقاع ما دون الثلاث فإن كان قبل الدخول فليجدد النكاح وإن كان بعدها فليرتجع، وإن شك في الثلاث فليوقعها، وإن طلق طلاقًا مختلفًا فيه فيوقع طلاقًا متفقًا عليه، فإن أراد أن لا يقع سوى طلقة فليقل: إن لم يكن وقع عليك طلاقي فأنت طالق. وإن نكح مطلقة لغيره طلاقًا مختلفًا فيه فليأمره بطلاق متفق عليه، ثم يأتي العدة بعده، أو يحكم حاكم بوقوع الطلاق.

السابع: في إحسان المرتجع وذلك بالمبادرة إلى الرجعة مع قصد الإحسان

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، والدارمي(٢٢٦٠) عن عائشة، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: كتابنا "السعادة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة" ط دار هاشم للتراث، و"الإيضاح في أسرار النكاح" للشيرازي – بتحقيقنا ط دار الكتب العلمية – بيروت.

والإصلاح والقيام بجميع ما أوجب الله لها مع الإشهاد بذلك.

الثامن: في الإحسان بالنفقات الواجبات، إحسان كل نفقة واجبة للأقارب والزوجات والرقيق بتعجيلها في أول النهار، من غير إسراف ولا إقتار، وأن تكون من أفضل النفقات غير متكدرة بمنٍ و لا أذى، ولا مأخوذة بجهة شبهة ولا بسبب مختلف فيه، وبأن تؤدى كل نفقة اختلف الناس في وجوبها ناويًا بها النفقة ثم التبرع.

التاسع: في الإحسان بالكسي والمساكن، وذلك بأن يكسي كل واحد من هؤلاء ويسكن فيما يليق بأمثاله، بحيث لا يزري به بسبب ذلك.

فصل في الإحسان إلى الرقيق

وذلك بالتأديب بآداب الشرع: واجبها، ومندوبها، وإعفاف ذكورهم بالإنكاح، وإعفاف إناثهم بالوطء أو التزويج، والصفح عن الذنوب، والإغضاء عن العيوب، والرفق بهم في استخدامهم؛ فإنهم إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم، وبأن تأذن لهم في الطاعات كالحج والعمرة، والجماعات والجهاد، وعيادة المرضى وتشييع الأموات، ولا يفرق بينهم وبين أولادهم، ولا يضار بأولادهم في رضاع ولا غيره، وأن يساوي بين الإماء في الوطء /وغيره، مميزًا للأماثل (ق ٤٤-أ)
عن الأراذل، متبعًا في ذلك كله المعروف في كل ذلك، تمام الإحسان بالإعتاق والإرفاق بعد الإعتاق فمن أدب جارية فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها ثم أعتقها وتزوجها آتاه الله أجره مرتين.

[فصل] [١] في إحسان الرقيق إلى المالك

وذلك بأن يخدمه بكل ما يقدر عليه مما يلزمه أو يندبه إليه، بطيب نفس وطلاقة وجه، فنعما للعبد أن يحسن عبادة ربه وطاعة سيده إذ يؤتى أجره مرتين.

---

(١)ما بين [ ] بياض في الأصل، وهي لازمة متابعة لما نهج المصنف في عنونته.

فصل في الإحسان إلى الدواب المملوكة

وذلك بالقيام بعلفها أو رعيها بقدر ما تحتاج إليه، وبالرفق في تحليبها ومسيرها، فلا يكلفها من ذلك ما لا تقدر عليه، وبأن لا يحلب من ألبانها إلا ما فضل من أولادها، وأن يهنأ جربانها، ويداوي مرضها، فإن ذبحها فليحسن ذبحها، بأن يحد شفرته ويسرع حذته مع إضجاعها برفق، وأن لا يتعرض لها بعد ذبحها حتى تبرد، وإن كان بعضها يؤذي بعضًا بنطح أو غيره فليفرق بينها وبين ما يؤذيها، ففي كل كبدٍ رطبة أجر، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ولتؤدى الحقوق حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، فإن رأى من حمَّل الدابة أكثر مما تطيق، فليأمره بالتخفيف عنها فإن أبى فليطرحه بيده، فمن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، وقال ﷺ: «ليحنكه» فوجده في عباء يهنأ بعيرًا له، فحنك أخاه وسماه عبدالله [١].

مباشرة الإحسان إلى الدواب لطف وإحسان وبر، وتواضع وتبذل في دق الإحسان وجله.

فصل في الإحسان بالضحايا

وذلك بإخراج أكثر لحومها وجلودها، والتصدق بجلالها، وإيثار الأحوج فالأحوج بها، وأن يختار للضحية أفضل الأنعام وأحسنها وأسمنها.

فصل في الإحسان بالحضانة

وذلك بحسن التربية واللطف، والرفق والحنو ودفع المضار، وتحسين الحسن للصغير وتقبيح القبيح، وتعليم الآداب وتلقين الكتاب، وتعليم الخط والعلم إن كان متأهلا لذلك، أو صناعة/ تليق بأمثاله والأمر بالصوم والصلاة، والنهي عن كل خلق ذميم (ق ٤٤-ب) وعمل غير مستقيم، واجتناب الضرب إن أدى بالقول والتهديد، والضرب الذي لا يصلح إلا به إلا أن لا يصلح إلا بالضرب الشديد، فيجتنب التخفيف والتشديد.

---

(١) رواه مسلم (٢١٤٤) عن أنس بنحوه.

فصل الإحسان في الحنث في الأيمان

من حلف على ترك إحسان أو فعل عدوان فحنثه بر وإحسان، ومن حفظ مسلمًا في دم أو مال أو فرج بيمين كاذبة أو صادقة يدفع بها ظالمًا؛ فحلفه إحسان، ومتى علم المدعى عليه أن المدعي يحلف يمين الرد كاذبًا فحلفه وتركه للنكول إحسان، ومن تكلم بكلام فيه إصلاح فلم يوثق به إلا بيمينه فحلفه إحسان ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس:٥٣] ، ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن:٧].

فصل في الإحسان بالكفارات

وذلك بالمبادرة إلى إخراجها عقيب وجوبها من أنفس الرقاب وأفضل الأموال، وأن يقدم بها الأحوج فالأحوج؛ بريئة من الشبهات، خالصة من الاختلاف، وذلك يَطَّردُ في كفارات الأيمان والظهار والصيام والإحرام.

فصل في الإحسان المتعلق بالقصاص

إحسان الجاني تسليم نفسه ليقتص منه، ودفع أجر المقتص وتعجيل كفارة القتل، وإحسان المقتص بالعفو عن الدية والقصاص، أو عن القصاص إلى الدية، فيطالب بها بالمعروف، ويؤدي الجاني الدية إليه بإحسان، والعفو عن كل قصاص مختلف فيه آكد وأفضل، وإحسان الإقصاص أن يقع بضرب العنق بأحد آلة، وأسرع ضربة من رجل ما هر بضرب الأعناق، وكذلك قصاص الأطراف يعتبر فيها المهارة وسرعة القطع وحدة الآلة؛ لأن الله كتب الإحسان على كل شيء، فليحسن القتلة ما استطاع، وليجتنب المثلة وإن كان الجاني قد بالغ ومثل، فمن عفى وأصلح فأجره على الله.

فصل في الإحسان بالعقوبات الشرعية

عقوبات الشرع كلها تأديب وإحسان، فضرب الصبيان حيث يشرع إحسان إليهم، وكذلك الجلد في الحدود والضرب في التعزيرات كما أن قطع الأيدي المتآكلة/ (ق ٤٥-أ)
وسقي الأدوية [المريرة][١] إحسان؛ لما يتضمنه من الإصلاح، وكذلك عقوبات الشرع

---

(١)ما بين [ ] غير واضح، ولعل ما أثبته هو الصواب.

كلها إصلاح، وقد كتب على هذه العقوبات الإحسان فلا يجلد أحد في حرٍ شديد ولا بـــرد شديد، وليضرب بسوط بين سوطين، بضرب بين ضربين في زمان بين زمانين، واستتابة المرتّد وإمهاله إحسانًا، وردهم إلى الطاعة بقتال، وإنذار أهل البغي قبل قتالهم وإزالة علتهم قبل محاربتهم إحسان، وردهم إلى الطاعة بالقتال إحسان، وإخلاء الطريق مـــن القُطّاع ونفيهم وتطلبهم، ودفع الصوال عن الحرام والأموال والأنفس إحسان، وكذلك التدريج في كل ما يراعى فيه التدريج إحسان، وإطعام المضطرين بعوضٍ وبغير عوضٍ إحسان والاقتصار في التعزير على عشرة أسواطٍ إحسان، فإن لم يكن مثل ذلك رادعًا؛ فليحبس حبسًا يكون مثله رادعًا زاجرًا مضمومًا إلى الضرب بالسياط.

فصل في إحسان الخلفاء ونوابهم

علـــى الأئمـــة بذل النصح والجهد للمسلمين في جلب المصالح ودفع المضار، من حفـــظ الـــبلاد ودفـــع الفساد، ودرء العناد وإصلاح العباد، وتجنيد الأجناد وتبديد الأضـــداد، ونصب القضاة والولاة وستر العراة، وتحريض الغزاة وتكثير الولاة، وإطعام الجـــوعان وإرواء الظمـــآن، وإرشاد الحيران وإغاثة اللهفان، وحفظ ما يجب حفظه ورفـــض ما يجب رفضه، وتعجيل ما يجب تعجيله، وتأخير ما يجب تأخره، وتنمية ما يجـــب تنميته، وملازمة الإنصاف ومجانبة الإسراف، ومحاذرة الإخلاف، وأخذ الأموال بحقهـــا وصـــرفها إلى مســـتحقيها، وتقديم أهم المصالح فأهمها، ودفع أعظم المفاسد فأعظمها، وتفقد أحوال الولاة والقضاة بالعيون الثقات من حملة الأخبار.

وقـــد قـــال ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا ثم لم يجهد لهم وينصح، فالجنة عليه حرام»(١).

فصل في الإحسان بإعانة الأئمة والولاة

إعانـــة الخلفاء على تصرفاتهم، والولاة على أعمالهم، والقضاء والنواب على تنفيذ أحكامهم إحسان لابد منه / ولا محيص عنه. (ق ٤٥-ب)

(١)رواه مسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار بنحوه.

فصل في الإحسان بالجهاد

وذلك بإعداد الجيش والكراع، والسلاح وجميع آلات القتال، وبالمبالغة في نكاية العدو، وبالقتل والأسر والأخذ والحصر، والثبوت في الصفوف كالبنيان المرصوص، إلى غير ذلك من مكائد القتال، كضرب الأعناق، وضرب كل بنان، فإن ذلك كله مع ما فيه من إعزاز الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ومحو الكفر ومحق أهله، حفظ لدماء المسلمين وأموالهم وحرمهم وأطفالهم، مع ما يحصل فيه من مال الفيء والغنيمة، والأخماس والعشور والجِزَى والخراج، وإرقاق النساء والأطفال.

وفيه إحسان إلى الكفار بتقديم الإنذار، والدعاء إلى الإسلام، وإجارتهم ليسمعوا كلام الله، والمن عليهم، والفداء والصلح، وغير ذلك من أسباب الإرفاق.

فصل في الإحسان بحفظ الحقوق بالكتابة والشهود وتحصيلها

كتابة الشروط وتحمل الشهادة، وكتابتها وأداؤها، وسماعها والحكم بها، والجرح والتعديل وترتيب أصحاب المسائل وجرح الشهود إحسان إلى المشهود له وعليه والتسوية بين الخصوم وإعانة الحكام على تنفيذ الأحكام، وكفالة الأيتام، والاحتياط لأموالهم وتأديبهم وتعليمهم، والنظر في المُحَسِّنين، وغير ذلك من التصرفات المتضمنة لإنصاف المظلومين من الظالمين، وتوفير الحقوق على المستحقين، والنظر في حقوق الغُيَّب والعاجزين إحسان إلى الظالم بتخليصه من عهدة ظلمه، وإلى المظلوم باستيفاء حقه، وإلى العاجز والغائب بحفظ حقوقهما، وإيجار أملاكهما، وبيع ما شرع فساده أو يخشى هلاكه، وغير ذلك مما يقوم به الحكام وولاة أمور الإسلام.

فصل في الإحسان بأنواع العتق

بتخير العتق وتعليقه، والتدبير والكتابة، والرفق في نجومهما وتطويل آجال النجوم والإبراء منها، والإنظار بها عند العجز بها إلى غير ذلك من إرفاق/ المكاتب، إحسان بعضه أفضل من بعض، وفي الاستيلاء نظر من جهة أنه تابع لقضاء الوطر (فإن الوطء (ق ٤٦-أ)

ضرب من الإحسان ولذلك قال ﷺ: «في بضع أحدكم صدقة»[١]، وأي إحسان أتم من الإعفاف، والتسبب إلى حفظ الفروج وإلى غض الأبصار، وولادة من يوحد الله ويعبده ويشكره، ويحمده ويتباهى به الأنبياء[٢].

فهذه أنواع من جملة الإحسان المذكور في كتب الفقه، ذكرها ليستدل بها على ما ورائها من ضروب الإحسان خفيه وظاهره، ودقه وجله.

ومن لاحظ أن الإحسان عبارة عن جلب المنافع ودفع المضار وفق دقه وجله، جعلنا الله من أهل الإحسان في الدنيا والآخرة.

وأفضل الإحسان ما كان نفعًا في الأديان، وأفضله ما يرجع إلى تعريف العقائد وتفهيم المعارف، ثم ما يتعلق بأحكام الشرع مما أوجبه وندبه إليه، وكرهه وحرمه، وأباحه وأطلقه.

فصل في الإحسان العام

وذلك بالعدل وغيره مما دق وجل، وكثر وقل، فلو طلبت قتل النملة والنحلة لوجدته في قوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨] ، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥] ، فإن الفساد إخراج الشيء عما ينبغي أن يكون عليه، ولو طلبت سقي الكلب لوجدته في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] ، ولو طلبت قتل الحية والعقرب لوجدته في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] ، فإن قتلهما إحسان إلى الناس بما يندفع به من شرهما مقدم على فساد بنيتهما لرجحانه عليه، فإن المصالح [إن رجحت ألغت المفاسد][٣] وإن رجحت المفاسد ألغت المصالح، ولذلك قال الله تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩] ، فلذلك حُرِّما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١)ما بين [ ] حُرِّف في المخطوط إلى (بعض) وهو خطأ ظاهر لما في نص الحديث صراحة.
(٢)رواه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر مرفوعًا.
(٣)ما بين [ ] سقط من المخطوط، وصوّب من توافق السياق.

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠] ، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] ، المائدة:١٣] ، ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] ، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء:٤٠] ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت:٤٦، الجاثية:١٥] ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧] ، وقال ﷺ: كل معروف صدقة ولو أن/ تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك»[1]، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد (ق ٤٦-ب) فبكلمة طيبة»[2]، وقال: لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[3]، وقال ﷺ: لو أهدي إلي ذراع لقبلت، ولو دعيت إلى كُراع لأجبت»[4]، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء:٤٧] .



(١)رواه الإمام أحمد (٣/٣٤٤ ، ٣٦٠) والترمذي (١٩٧٠) والبخاري في الأدب المفرد، وقال أبو عيسى حديث حسن.

(٢)رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٠١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢٥٦٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الباب التاسع
في الإحسان بإسقاط الحقوق

وفيه فصول:

فصل في الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: لَاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤] ، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]،وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠]،وقال: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء:١٢٨]، وقال: ﴿فَمَنْ خَافَ من مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٨٢]،وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]،أي أصلح ما بينه وبين خصمه، وقال عليه السلام: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرًا أو ينمي خيرًا»[1]، فأجاز الكذب للإصلاح.

الإصلاح يجري في كل ما يقع التنازع فيه، وهو إحسان إلى المظلوم بدفع الظلم عنه، وإلى الظالم بدفع مأثم الظلم.

فصل في العفو عن القصاص

قال الله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾[المائدة:٤٥]، وقال: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]،وقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:٤٩] ، وقال : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢].

---

(١)رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) عن أم كلثوم بنت عقبة مرفوعًا.

من أفضل الصدقات العفو عن القصاص، لأنه تصدق بالحياة، أو ببعض الأعضاء والصفات، وتشرف الصدقات بشرف المتصدق به، وأي شيء أشرف من الحياة بعد سلامة الأديان.

فصل في غفران الإساءة والصبر عليها

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠]،وقال: ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ [الانعام:٣٤]، / وقال: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ (ق ٤٧-أ) أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

الصبر على الإساءة وغفرانها صفة للرحمن، وفيه توقع رجوع المسيء عن ذنبه.

فصل في الإبراء والصداق

قال الله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا﴾[النساء:٩٢]، وقال: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧].

الإبراء من ذلك صدقة بالخلاص من مغرم الدين في الدنيا والآخرة، فإن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف، ويُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين.

فصل في إبراء المعسر وإنظاره

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٠]، أي الصدقة بالإبراء خير من الإنظار، وقال ﷺ: «من يسر على معسر يسر الله عليه»[١]، و «من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»[٢].

فصل في العفو عن جفوة المسيء والمستحق والإحسان إليه

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]، و «أغلظ

---

(١)رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٣٠٠٦) عن أبي اليسر مرفوعًا.

لرسول الله ﷺ رجل له عليه حق، فهمَّ به أصحابه فقال: إن لصاحب الحق مقالا، ألا اشتروا له سنّا فأعطوه إياه، قالوا: لا نجد إلا سنّا خيرًا من سنه فقال: اشتروه فأعطوه إياه[١]، فإن من خيركم أحسنكم قضاء».

العفو عن المسيء والإحسان إليه تخلق بصفات الخلاق، ومن أكمل البر أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك.

فصل في وضع الجوائح

«أمر رسول الله ﷺ بوضع الجوائح»[٢]، و«أصيب رجل في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال ﷺ: تصدقوا عليه. فتصدق الناس فلم يبلغ ذلك فقال ﷺ للغرماء: خذوا ما وجدتم، ليس لكم /إلا ذلك»[٣]. (ق ٤٧-ب)

فصل في صلح الحطيطة

قال ﷺ: «من سره أن ينجيه الله من كربة يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»[٤]، و «سمع صوت خصوم بالباب يستوضع أحدهما صاحبه ويسترفقه في شيء فيقول: والله لا أفعل. فخرج رسول الله ﷺ فقال: أين المتألي على الله ألا يفعل المعروف؟ قال: أنا يا رسول الله فله أي ذلك أحب»[٥]، و «أمر رسول الله ﷺ كعب ابن مالك أن يضع شطر دينه فأجابه، فقال لخصمه: قم فاقضه»[٦].

فصل في إحسان ضرب الخدم والنساء

قالت عائشة: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن

---

(١)رواه البخاري (٢٣٠٥)، ومسلم (١٦٠١) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (١٥٥٤) عن جابر مرفوعًا.
(٣) رواه مسلم (١٥٥٦) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
(٤) رواه مسلم (١٥٦٣) عن أبي قتادة مرفوعًا.
(٥) رواه البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (١٥٥٧) عن عائشة مرفوعًا.
(٦) رواه البخاري (٤٥٧)، ومسلم (١٥٥٨) عن كعب بن مالك مرفوعًا.

يجاهد في سبيل الله»[١].

ترك ضرب هؤلاء توفير للرحمة والرأفة، فإن من يعتاد ضرب الناس تقل رحمته وتبعد رأفته.

فصل في مجانبة الانتقام

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]،وما نيل من رسول الله ﷺ شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله»[٢].

ترك الانتقام تخلق بالعفو الذي أُمرنا بالتخلق به، لما فيه من الإحسان إلى المسيء.

فصل في الإغضاء عن الخادم

قال أنس: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، وما قال لشيء: لم فعلت كذا، أو هلا فعلت كذا، ولا عاب عليَّ شيئًا قط»[٣].

ستر العيوب والإغضاء عن الذنوب خلق من أوصاف الرحمن.

فصل في فك الرقاب

قال الله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧]،وقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[البلد:١٢،١٣].

فك الرقاب من أفضل القربات لأنه يُعتق بكل عضوٍ من المعتَق عضوًا من المعتِق من النار حتى فرجه بفرجه[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢)رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٨) عن عائشة مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٣٠٩).

(٤)رواه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩) عن أبي هريرة.

الباب العاشر

في الإحسان ببذل الأموال

وفيه فصول:

/ فصل في إباحة الصداق وهبته (ق ٤٨-ب)

قال الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[النساء:٤].

هبة الصداق وغيره من الهبات والصلات إحسان بما يحفظ الأبدان ويقيم الأديان، فإن بالمال تصلح الدنيا والآخرة.

فصل في إكرام الضيفان

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليكرم ضيفه»[1].

إكرام الضيفان إحسان بإقامة الأبدان، وشرفها بشرف الضيفان، فضيافة الأنبياء والرسل أفضل الضيافات؛ لأن بقاء أبدانهم أفضل وأنفع من بقاء سائر الأبدان، وكذلك ضيافة العلماء والصلحاء وأهل المناقب والإيمان، وإكرام الضيفان بالبشر ونحوه من تعجيل القرى وجودة الطعام من باب إحسان الإحسان، وانصراف الضيفان عقيب الأكل من باب اجتناب الأذى.

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٩،٦٠١٨)، ومسلم (٤٧ ، ٤٨) عن أبي هريرة، وأبي شُريح الخزاعي مرفوعًا.

فصل في تعجيل القرى وجودته

قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦]،وقال: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[هود:٦٩].

فصل في تقاصي الضيفان بالأكل

قال الله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات:٢٧].

في تقاصي الأكل بسط للضيف وإزالة لحشمته.

فصل في عيب الطعام

«ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، فإن كرهه تركه»[١]، وقال في الضب: «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»[٢].

عيب الطعام من أفعال اللئام؛ لما فيه من تنفير الناس من أكله وعيافتهم له، وإن كان طعام ضيافة فهو أقبح؛ لما فيه من عيافة الضيف وإيذاء رب الطعام، فإن كان الطعام ضارًا فذكر أضراره يصح في حق من يظهر تضرره به.

فصل في انصراف الضيف عقيب الأكل

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[الاحزاب:٥٣].

إن علم الضيف أن المضيف يؤثر جلوسه فليجلس، وإن علم أنه يؤثر انصرافه، أو شك في ذلك فلينصرف؛ لئلا يؤذيه، فللناس أعذار.

فصل في الإيثار

«أتى رسولَ الله ﷺ/ رجل، فقال: إني مجهود، فأرسل إلى نسائه فقالت كل واحدة (ق ٤٨-ب)
منهن: لا، والذي بعثك بالحق نبيًا ما عندي إلا ماء. فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه

---

(١)رواه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٥٣٩١)، ومسلم (١٩٤٦) عن خالد بن الوليد مرفوعًا.

الله. فقام أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق إلى رحله، فقال لامرأته هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، فقعدوا وأكل الضيف، فلما غدا على النبي ﷺ قال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»، فترل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩][١] قدما ضيفهما على أولادهما لشدة ضرورته وفاقته فإنه شكا جهده، وإطفاء السراج من إتمام الإحسان؛ لأنه لو بقي لا يشبع الضيف من الانفراد بالأكل، فهكذا يكون البر والإحسان.

لو صح منك الهوى أُرشدت للحيل

فصل في الإنصاف في الأكل

نهى رسول الله ﷺ «أن يقرن الرجل بين تمرتين حتى يستأذن أصحابه»[٢]، «وأخذ رسول الله ﷺ بيد جابر فدخل بعض حجر نسائه، ثم أذن لجابر ثم قال: هل من غداء؟ فأتي بثلاث قرص فوضع بين يديه قرصًا ونصفًا وبين يدي جابر قرصًا ونصفًا»[٣].

التسوية في الأكل عدل وإنصاف لا يخالفه إلا أراذل الناس، وكذلك نهى عن القران عند قلة الطعام.

فصل في الإفضال على الإخوان

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧]، وقال ﷺ: «كل معروف صدقة»[٤].

---

(١)رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٤٥٥)، ومسلم (٢٠٤٥) عن ابن عمر.

(٣)رواه مسلم (٢٠٥٢) عن جابر مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٦٠٢١) عن جابر، ورواه مسلم (١٠٠٥) عن حُذيفة مرفوعًا.

فصل في الإحسان إلى الجار

قال الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء:٣٦]، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»[١].

وقال ﷺ : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه»[٢].

الإحسان إلى الجار معلل بقرب الدار، فالقريب النسيب أولى من الأجنبي لقربه.

فصل في التصدق بأفضل الأموال

/ قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢]، (ق ٤٩-أ) وسئل ﷺ: «أي الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها»[٣].

وفي التصدق بأفضل الأموال إجلال لله، فإن التقرب بنفائس الأموال توقير واحترام.

فصل في الإنفاق في جميع الأحوال

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران:١٣٣،١٣٤]،وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٢٤٧].

لا يخفى ما في النفقة في السراء والضراء من الرغبة في الخير، وأنه لا يشغل عنها شاغل ولا يمنع منها مانع.

---

(١)رواه البخاري (٦٠١٨ ، ٦٠١٩)، ومسلم (٤٧ ، ٤٨) عن أبي هريرة وعن أبي شريح الخزاعي مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري: (٦٠١٤ ، ٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤ ، ٢٦٢٥) عن عائشة وعن عبدالله بن عمر مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٨٤) عن أبي ذر مرفوعًا.

فصل في الحث على الصدقة

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[آل عمران:١٠٤]،وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة:٣٣،٣٤]، وقال: ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[الفجر:١٧،١٨]، «وخطب ﷺ يوم عيد فوعظ وذكر، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: تصدقن؛ فإن أكثركن حطب جهنم»[١].

الحث على الصدقة سبب إليها، وفضله مأخوذ من فضلها.

فصل في توقع الخَلَف من الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ:٣٩]،وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[٢].

من توقع أن يخلف عليه، فنفقته سهل عليه بذلها، سواء وقع إخلافها عاجلا أو آجلا.

فصل في الإطعام في المجاعة

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ [الإنسان:٨]،وقال: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[البلد:١٤-١٦].

الإطعام في المجاعة أتم إحسانًا من الإطعام في الرخاء؛ لأن فضل الإطعام بقدر الاحتياج، فإطعام المضطر أفضل من إطعام من مَسَّه الجوع، وإطعام من مَسَّه الجوع أفضل ممن ليس كذلك، ولذلك غفر الله لمن سقى كلبًا يلهث ويأكل/ الثرى من العطش. (ق ٤٩-ب)

---

(١)رواه مسلم (٨٨٥) عن جابر مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في تقديم الأهل والأقارب بالنفقات والصدقات

قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله»[١] وقال ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»[٢]، وقال ﷺ: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول فبين يديك وعن [يمينك وعن شمالك]»[٣]، ولما نزل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]،قال أبو طلحة: إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو أثرها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت. فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح. وأمره أن يجعلها في الأقربين فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»[٤]، وأخبرته ميمونة أنها أعتقت وليدة لها فقال: «لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»[٥]، وقال ﷺ: «إذا أنفق المسلم على أهله نفقة - هو يحتسبها - كانت له صدقة»[٦].

الصدقة على الأقارب صدقة وصلة، ومراتب الصلة كمراتب الموصول، فَبِرُّ أقرب الأقارب أفضل الصلات، ثم الأقرب فالأقرب، وكذلك أمر البداية بالوالدين، ثم الأدنى فالأدنى[٧].

---

(١)رواه مسلم (٩٩٤) عن ثوبان مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٩٩٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٩٩٧) عن جابر مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨) عن أنس مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩) عن ميمونة مرفوعًا.
(٦)رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢) عن أبي مسعود البدري مرفوعًا.
(٧)**فائدة**: أورد الشيخ علوان أحاديث وفوائد نصها: قال ﷺ : "الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم قربان".
=

فصل في تقديم من يخشى فتنته

قال ﷺ: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه»(١)، وإنما قدمه لأنه يحفظ بذلك دينه، وحفظ الأديان أهم من حفظ ما عداها.

فصل في تقديم المتعفف

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ..﴾ [البقرة:٢٧٣]،الآية، وقال ﷺ: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقم واللقمتان / (ق ٥٠-أ) والتمرة والتمرتان. قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن له فيُتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئًا»(٢).

قدم المستعفف على غيره، لأن حاجته غير مندفعة في أغلب الأوقات بسبب تعففه، وقلة من يفطن لضرورته وفاقته.

فصل في إطعام المشهور السائل والمستور الخامل

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

= قلت: ورواه الترمذي (٦٥٨)، وأحمد في "مسنده" (٤/٢١٤) وهو حديث صحيح عن سلمان بن عامر.

ولما أراد أبو طلحة يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى: (حَتَّى تُنفقُوا ممَّا تُحبُّونَ) [آل عمران: ٩٢] فقال: يا رسول الله ضعه في سبيل الله والفقراء والمساكين، فقال ﷺ : "وجب أجرك فاقسمه في أقاربك".

قلت: رواه البخاري (٦/٤٦)، ومسلم (٩٩٨) عن أنس مرفوعًا، وقال ﷺ : "أفضل الصدقة على ذي الرحم".

وهو في معنى قوله ﷺ : "أفضل الصدقة أن تصل من قطعك، وتُعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك" نقله ذلك كله في الإحياء.

وانظر: نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار (ص ١٥١ ، ١٥٣) بتحقيقنا لأول مرة – ط دار الكتب العلمية – بيروت.

(١)رواه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (١٤٧٦)، ومسلم (١٠٣٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣]،وقال: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج:٣٦]،ويقول الله: استطعمك عبدي فلم تطعمه ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي»[١].

إطعام الخامل أولى من إطعام السائل؛ إذ لا يجد الخامل ما يدفع به حاجته ويسد فاقته، وكلما اشتدت فاقته كان دفعها أولى وأفضل؛ ولذلك كان الإطعام في المجاعة أفضل منه من غيرها؛ لمسيس الحاجات وشدة الفاقات.

فصل في إطعام المستطعم وسقي المستسقي

قال ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: [يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟][٢]، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ قال: يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني! قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[٣].

لما كان الإحسان إلى العبيد احترامًا وتعظيمًا للسادات في مطرد العبادات قال الله - عز وجل -: مرضت فلم تعدني، استطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني» - أي: لم تعطيني وتخدمني بالإحسان إلى عبدي، فإن الإحسان إلى العبيد إجلال واحترام لساداتهم، وفيه بيان لمنزلة المؤمن من ربه، فإنه جعل الإحسان إليه مُنَزَّلا منزلة الإحسان إليه أن لو تصور بمعنى إنك تعاملني بمعاملة من عاد مريضًا وأطعم مستطعمًا وسقى مستسقيًا، وهذا صحيح فإن الله - تعالى - استطعم بعض /عباده لبعض، (ق ٥٠-ب)
واستسقى بعضهم لبعض، وأمر بعضهم بعيادة بعض.

---

(١)رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)ما بين [ ] سقط من المخطوط، وأُثبت من صحيح مسلم.

(٣)رواه مسلم (٢٥٦٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

وقوله: «لوجدتني عنده» في الترغيب في ذلك، يعني: لكنت فيمن عاد عبدًا [عنده][١] مولاه يعوده، فوقعت العيادة لهما جميعًا، أو أطعم عبدًا أو سقاه بحضرة مولاه.

فصل في بذل الفضل

قال ﷺ: «ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»[٢]، وسمع رجلا صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فصبت السحابة ماءها في حَرَّة فاستوعبته شرجة، فتتبعه فإذا رجل يحول الماء منها في حديقة بمسحاته، فسأله عن اسمه، فأخبره بالاسم الذي سمعه في السحاب بعد [ما][٣] أن أخبره بما سمع فقال: إني أتصدق بثلث ما تخرج، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثًا»[٤] وقال ﷺ: «قال الله: ابن آدم، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك»[٥]، وقال: إن الله قال لي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك»[٦].

بذل الفضل خير من إمساكه؛ لما في البذل من سد الخلات وفراغ الباذل من التعلق بالمال؛ ليتفرغ لعبادة ذي الجلال، واليد العليا خير من اليد السفلى؛ لأنها مقربة إلى الله - تعالى - بما بذلت، سالمة من ذل السؤال، والسفلى بخلاف ذلك.

فصل في إرصاد الفضل لقضاء الدين

قال ﷺ: «ما أحب أن أحدًا ذاك عندي ذهب أمسي عندي منه دينار إلا دينار

---

(١)في المخطوط [عند] بدون الهاء، والصواب ما أُثبت - لما في نصِّ الحديث - كما تقدّم.
(٢)رواه مسلم (١٠٣٦) عن أبي أمامة مرفوعًا.
(٣)ما بين [ ] زيادة لتمام السياق.
(٤)رواه مسلم (٢٩٨٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار مرفوعًا.

أرصده لدين))[١].

إدخال المال لقضاء الدين، إحسان إلى الغريم بإعداد حقه.

فضل في مواساة الإخوان

قال ﷺ: ((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعامهم وطعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب، ثم اقتسموا في ثوب[٢] واحد بالسواء؛ فهم مني وأنا منهم))[٣].

فصل في مواساة الأهل

((كان لرسول الله ﷺ جار فارسي طيب المرق، فدعا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: وهذه – لعائشة – فقال: لا، قال رسول الله ﷺ: لا، ثم عاد يدعوه فقال رسول الله ﷺ: وهذه؟ قال: نعم. فقاما / يتدافعان حتى أتيا منزله))[٤]. (ق ٥١-أ)

المواساة في الشدة والرخاء وتسوية الصاحب بالنفس من أفضل أبواب المروءات، وحسن العشرة وجميل الصحبة؛ إذ لم يؤثر نفسه على صاحبه ولم يقدمها عليه، ولا سيما في حق الأقارب والزوجات.

فصل في مواساة الأمراء رعاياهم

((كتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن فرقد بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد، إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا من كد أمك، فأشبع الناس في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير)).

إشباعهم مما شبع منه أميرهم مواساة في مال الله الذي لا يختص به الأمير دون

---

(١)رواه البخاري (٢٣٨٨)، ومسلم (٩٤ ، ٩٩١) ورواه البخاري أيضًا (٢٣٨٩) عن أبي ذر وعن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)هكذا في المخطوط والذي في الصحيحين [إناء].

(٣)رواه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠) عن أبي موسى مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (٢٠٣٧) عن أنس مرفوعًا.

المأمور، وهي عدل في الإنفاق، ونهي عن التنعم؛ لئلا تسكن النفس إليه وتعتاده فتعلق به ويشغلها عن العبادة، ونهى عن زي الكفرة؛ لأن العدو لا يتشبه بعدوه، لأن الغالب في زيهم مخالفة لزي الإسلام، ولأنهم إن تزيوا بزيِّهم لم يتميزوا في الحرب، فيقتل بعضهم بعضًا عند التحام القتال، وإن كانوا [أهل](١) ذمة تعذر إجراء الصغار عليهم في حق من لا يعرفهم.

فصل في هدايا الجيران

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك»(٢)، وقال: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»(٣).

لا يخفى ما في إرفاق الجيران من الإحسان.

فصل في إطعام الطعام وإفشاء السلام

سئل رسول الله ﷺ: «أي الإسلام خير؟ فقال: أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٤).

إطعام الطعام إحسان بحفظ بنية الإنسان وإعانته على الطاعة، وإفشاء السلام سبب الود المكمل للإيمان لقوله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام»(٥).

فصل في سقي الكلاب

«رأت بغي من بغايا بني إسرائيل كلبًا يطيف بركِيَّة قد كاد يقتله العطش، فنزعت

(١)ما بين [ ] سقط من الأصل وهو لازم للسياق.
(٢)رواه مسلم (٢٦٢٥) عن أبي ذر مرفوعًا.
(٣)سبق تخريجه.
(٤)رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩) عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.
(٥)رواه مسلم (٥٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

موقها فاستقت به فسقته /فغفر لها به»[١]، «و اشتد عطش رجل بطريق فــترل بئــرًا، (ق ٥١-ب) فشرب منها ثم رقي، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا من العطش مثل الذي كان بلغني، فترل في البئر فملأ خفه ثم أمسك بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، فقالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجــرًا؟ فقال ﷺ: في كل كبدٍ رطبة أجر»[٢].

دفع أشد الحاجات أفضل من دفع أخفها، فدفع العطش الشديد أفضل من دفــع الخفيف، فإن استوى العَطَشَانِ نظرت إلى العَطْشَانَ، فدفع عطش الإنسان أفضل مــن دفع عطش الحيوان، ودفع عطش الأنبياء أفضل من دفع عطش العلمـــاء والأوليـــاء، وكذلك برتب المدفع تترتب درجات المدفوع عنه، وكذلك يرتب كل إحسان بترتب درجات المحسن إليه عند استواء الحاجات.

فصل في إطعام من يباشر الطعام من الرقيق

قال ﷺ: «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامًا، ثم جاء به وقد تولى حــره ودخانــه فليقعده معه فليأكل فإن [كان][٣] الطعام مشفوهًا قليلاً فليضع في يـــده منـــه أُكلـــة أو أُكلتين»[٤].

لما تعلقت شهوته بالطعام لمباشرته له، تأكد الأمر بإطعامه؛ لئلا تعلق نفســـه بـــه بخلاف من لم يباشره.

فصل في الصدقة على العصاة

«تصدق رجل على زانية، فأصبح الناس يتحدثون بذلك فقال: الحمد لله علـــى زانية، ثم وضع الصدقة في يد غني، فأصبح الناس يتحدثون بذلك فقال: اللـــهم لـــك الحمد على زانية وغني. ثم وضعها في يد سارق فأصبح الناس يتحدثون بذلك فقـــال:

---

(١)رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (١٧٣) ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)ما بين [ ] سقط من المخطوط وأُثبت من صحيح مسلم.
(٤)رواه البخاري (٥٤٦٠)، ومسلم (١٦٦٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

اللهم لك الحمد على زانية وغني وسارق. فأوتي[١] فقيل: أما صدقتك فقد قبلت، وأما الــزانية، فلعلها تستعف عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما آتاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته»[٢].

الغـــرض من الصدقات تحصيل مصلحة المتصدق عليه، فإذا كانت الصدقة وسيلة إلى الكف عن الزنا وعن حده وعن السرقة وحدها، وكانت حاثة للغني على التصدق، والوســائل تشرف بشرف / المقاصد، فأكرم بالتوسل إلى المنع من الزنا والسرقة وبما يجب عليه من التصدق والإحسان. (ق ٥٢-أ)

فصل في المنائح

قال ﷺ: «من منح منحة غدت بصدقة وراحت بصدقة صبوحها وغبوقها»[٣]، وقال: «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة (تغدو بعشاءٍ وتروح بعشاء) إن أجرها لعظيم»[٤].

عظيم أجرها لاستمرارها ودوامها غبوقًا وصبوحًا، ولو وقع الغبوق والصبوح في كل يوم، لم يكن كذلك لتأذي الآخذ بالخجل والحياء عند كل أخذٍ.

فصل في إظهار الإنفاق مع الإخلاص

قـــال الله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ [ابراهيم:٣١]،وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٢٧٤]،وقال: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾[البقرة:٢٧١].

فصل في إخفاء الصدقات

قـــال الله تعـــالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١]،

---

(١)يعني في منامه كما في "الفتح" للحافظ (٣/٣٤١).

(٢)رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٠٢٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (١٠١٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

وقال ﷺ: «ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[١].

إخفاء الصدقات خير من إظهارها في حق من لا يأمن الرياء، وفي حق من يأمن الرياء، ولكن لو أظهر طاعة اقتدي به فالإظهار أفضل؛ لأنه يدرك فضيلة الطاعة وفضيلة التوسل إلى الاقتداء به، ولا سيما حيث يكثر المقتدون.

فصل في إحسان الخازن فيما يدفعه

قال ﷺ: «إن الخازن الأمين الذي ينفذ ما أمر به، فيعطيه كاملا موفرًا طيبة به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر له به أحد المتصدقين»[٢].

جعل الشرع الخازن أحد المتصدقين بحسن مساعدته على إيصال البر، ولا يقتضي ذلك مساواته للباذل في قدر الأجر؛ لأن كونه متصدقًا لا يدل على ذلك.

فصل في التصدق في عنفوان الشباب

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠]،مما أخذتموه، وقال ﷺ: «خير الصدقة أن تتصدق، وأنت شحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء»[٣].

الصدقة في / الشباب والصحة أفضل، لشدة تعلق الغرض بالمال، بخلاف (ق ٥٢-ب) المفارق للدنيا فإنه كمن جاد بمال غيره، فلذلك لم تكن الوصايا في رتبة ذلك، مع ما فيه من المسارعة.

فصل في الاكتساب لاصطناع المعروف

«كان أهل بئر [مَعُونة] يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، ويضعون

---

(١)رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الماء في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء»[(١)].

الاكتساب للصدقة أشرف من الصدقة بالمال العتيد الذي لم يتعب من كسبه؛ لأن تحصيله أشق، وإذا نوى باكتسابه أن يتصدق به كان مثابًا على اكتسابه وتصدقه؛ لأن اكتسابه وسيلة إلى التصدق به.

فصل في أخذ المال بحقه وصرفه إلى مستحقه

قال ﷺ: «إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع»[(٢)].

مدح رسول الله ﷺ المال في حق من صرفه في جهات القربات؛ لأنه صار وسيلة إلى القرب من الله، ولأن الصدقات تكفر الخطيئات وترفع الدرجات، فمدح المال بـ «نعم» الحاوية للمدح العام لما ذكرته، وما جاء من ذم الدنيا ومتاعها وزينتها وزخرفها فإنما جاء؛ لأنه شاغل عن طاعة الله، أوله عن ذكر الله وشكره، حامل على الطغيان في أغلب الأحيان، [كذلك][(٣)] غلب ذم الدنيا ومتاعها لغلبة أدائها إلى ذلك، وندر مدحها لندرة من يصرفها في مصارفها، وقد جعل الله إنفاق ذلك قربة إليه، ومزلفًا لديه فقال: ﴿أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:٩٩]،وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾[البقرة:٢٧٢].

فصل في اجتناب الشبهات في الصدقات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَنْفقُوا ممَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [البقرة:١٧٢]،وقال: ﴿أَنْفقُوا من طَيِّبَات مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:٢٧٦]،وقال: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩]،وقال: ﴿وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل:٢٠]،وقال ﷺ:

---

(١)رواه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (٦٧٧) عن أنس مرفوعًا.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)في الأصل (فذلك).

«دع ما يريبك إلى مالا يريبك»[١]، وقال: «فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه»[٢].

فصل في التصدق بالأقوال والأعمال / والأموال (ق ٥٣-أ)

قال ﷺ: «كل معروف صدقة»[٣]؛ وقال: «على كل مسلم صدقة. قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه ويتصدق. قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير. قيل: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر، فإنها صدقة»[٤]، وقال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع الشمس قال: يعدل بين الاثنين، ويعين الرجل على دابته فيحمله عليها، ويرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[٥].

الصدقة كلها معونة وإرفاق، فلا فرق بين المنافع والأعيان وفضائلها تتقرر بشرف المبذول والمبذول له، وتتشرف بسد الخلة التي تسدها، فإطعام المضطر أفضل من إطعام المحتاج؛ لأن فيه حفظ الروح.

فصل في المبادرة إلى الوصية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الانبياء:٩٠]،وقال ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[٦].

فصل في الاقتصاد في الوصية لأجل الورثة

قال ﷺ لسعد: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢)تقدم تخريجه "أيضًا".

(٣)رواه البخاري عن جابر، ومسلم عن حذيفة.

(٤)رواه البخاري (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧) عن ابن عمر مرفوعًا.

على الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى اللقمة تضعها في فيّ امرأتك»[١].

الاقتصاد في الوصية إحسان إلى الورثة بإعانتهم، ودفع تعرضهم لسؤال الناس، فإذا أنفق نفقة يبتغي بها وجه الله حتى ما تأكله الزوجة فإن الله يثيبه عليه؛ لأن نفقة الزوجة إحسان واجب، فإذا قصد به وجه الله فلن يتقرب إليه المتقربون بمثل أداء ما افترض عليهم.

فصل في التصدق بما خلص من الشبه

قال ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – إلا أخذها الرحمن بيده، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»[٢]، وقال ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[٣]، وقال:/ «فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[٤]. (ق ٥٣-ب)

لا يتقرب إلى الله بمعاصيه، والمشتبه قد يكون حرامًا في نفس الأمر، فلا يقع الموقع ويبقى في ذمة آخذه، إذا كان سبب الاشتباه حق آدمي فيقع في شغل ذمة الآخذ منه مع أنه لم يحصل على طائل، وتركه استبراء للدين من هذه الجهة، وأما الاستبراء للعرض فلأن الألسن تأخذ آكل الشبهات وآخذها.

فصل في شفقة الضيف على رب الطعام

«خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر من بيوتهم من الجوع فأتوا بيت أبي الهيثم بن التيهان فقالت امرأته: مرحبًا وأهلا، فسألها رسول الله ﷺ عن أبي الهيثم؟ فقالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، فجاء فرآهم فقال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا

---

(١)رواه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)تقدم تخريجه.

مني. فجاءهم بعذق فيه بسر ورطب وتمر فقال: كلوا من هذه وأخذ المدية فقال رسول الله ﷺ: إياك والحلوب، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة والعذق، وشربوا فلما شبعوا ورووا قال ﷺ: والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة [أخرجكم] من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[١].

فصل في جهد المقل

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩]،وقال ﷺ: «تصدق رجل من ديناره، ومن درهمه، من ثوبه، من صاع بر، من صاع تمر، حتى قال: ولو بشق تمرة»[٢] وقال: «[لأن][٣] يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه، ذلك بأن اليد العليا أفضل من اليد السفلى»[٤].



(١)رواه مسلم (٢٠٣٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبدالله مرفوعًا.
(٣)في المخطوط حرف تحريفًا واضحًا إلى (أخركم)، والصواب ما أُثبت.
(٤) رواه البخاري (١٤٧٠ ، ١٤٧١)، ومسلم (١٠٤٢) عن أبي هريرة وعن الزبير بن العوام مرفوعًا.

الباب الحادي عشر

في الإحسان بالأخلاق والأعمال

وفيه فصول:

فصل في الإحسان بطلب الولاية

قال الله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ [يوسف:٥٥]،وقال: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾[ص:٣٥].

إحسان الولايات/ بإصلاح المولى عليه ودفع الشر عنه؛ وإغاثة اللهفان ونصرة المظلوم، وغير ذلك مما يتعاطاه الولاة من أحكام الشرع، ولذلك كان المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن. (ق ٥٤-أ)

فصل في الإحسان في الولاية

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخيه هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]،وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]،وقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء:٣٤، الأنعام: ١٥٢].

الوالي مأجور على كل خير يجره إلى المولى عليه، وعلى دفع كل خير يلحقه أو يتوقع لحاقه به.

فصل في لين القول للمولى عليه

قال الله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]،

وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[الكهف:٨٨].

في لين الكلام جبر القلوب وتطييب النفوس.

فصل في طاعة الإمام العادل

قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وقال ﷺ لأبي هريرة: «عليك الطاعة في عسرك وفي يسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»[١]، وقال لأبي ذر: «اسمع وأطع وإن كان عبدًا مجدع الأطراف»[٢]، وقال: «إن أُمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له، وأطيعوا له»[٣]، وقال عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان» وروي: «على أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[٤].

من دعاك إلى مولاك فأجبه سواء كان الداعي صغيرًا أو كبيرًا، لأنك إنما تجيب مولاك.

فصل في طاعة الإمام الجائر فيما يأمر به من الحق

قال ﷺ: «ستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: [فوا ببيعة][٥] الأول فالأول وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٦]، وقال: إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول/ الله، كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: (ق ٥٤-ب)

---

(١)رواه مسلم (١٨٣٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (١٨٣٧).

(٣)رواه مسلم (١٨٣٨) عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٧١٩٩ ، ٧٢٠٠)، ومسلم (١٧٠٩).

(٥)في الأصل (فبايعوه) والمثبت من رواية البخاري ومسلم.

(٦)رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

تؤدون الحق الذي عليكم، تسألون الله الذي لكم»[1]، وقال لحذيفة: «سيكون بعدي أئمة لا يهدون بهداي، ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس فقال حذيفة: كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[2]، وقال سلمة بن يزيد الجعفي: «يا نبي الله، أرأيت، إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعونا حقنا؟ قال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليكم ما حملتم، وعليهم ما حملوا»[3].

إذا أمرك الإمام الجائر بأمر مما تجب الطاعة فيه فأجبه، فإنك بذلك مطيع لمولاك دون من دعاك؛ إذ لا حكم إلا لله ولا أمر إلا له، فإن دعاك إلى مخالفة مولاك، فإن لم يكرهك على ذلك فلا سمع ولاطاعة، وإن أكرهك على ذلك كالزنا والقتل واللواط فلا سمع ولا طاعة، وإن كان مما يباح بالإكراه؛ فلا بأس بإجابته إلى ما دعاك إليه إذا كرهت أعماله، وعجزت عن إنكارها، فأنت مأجور على كراهتها، فإنك كرهتها إجلالا لله تعالى وتعظيمًا لأمره.

فصل في كفالة الأيتام

قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ [النساء:٣٦]،وقال: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ [النساء:١٢٧]،وقال ﷺ: أنا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة كهاتين»[4].

كفالة الأولاد والأيتام واللقطاء إحسان إليهم بحفظ أبدانهم وتعليم مراشدهم في الدين.

(١)رواه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣) عن أنس مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (١٨٤٧).
(٣)رواه مسلم (١٨٤٦) عن وائل بن حجر مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٦٠٠٥) عن سهل بن سعد، ورواه مسلم (٢٩٨٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في صلة الأرحام

قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء:٣٦]،وقال: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء:٢٦]وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ [النساء:١]، وقال ﷺ: من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[١]، وقال الله للرحم: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى»[٢] [٣].

(١)رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) عن أنس مرفوعًا، ورواه البخاري أيضًا (٥٩٨٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري ٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)**فائدة:** قال الإمام الشيخ الهمام المعروف بسيدي علوان الحموي: "اعلم أنه إذا كان صلة الرحم يدخل بها السرور على الأموات مع إنه لا جدوى لهم بذلك إلا الفرح بالتأليف وعدم المشاقة فالذي يحصل للميت به النفع أولى وأولى في إدخال السرور عليه، ومما يحصل للميت به النفع: القرآن والدعاء والصدقة، فأما القرآن ففيه خلاف مشهور وكلام منتشر.

وممن تكلّم فأجاد فيه كمال الدين الدميري فقال: اشتهر عن الشافعي ومالك: أن قراءة القرآن لا تصل إلى الميت، وعن أبي حنيفة وأحمد أنها تصل وهو وجه عندنا حكاه في الأذكار وشرح مسلم في باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، واختار ابن أبي عصرون في الانتصار، وصاحب الذخائر، وابن أبي الدّم، وابن الصلاح، والمحبّ الطبري، وعليه عمل الناس سلفًا وخلفًا، وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، ونصّ الشافعي: على أنه يُقرأ عند القبور ما تيسر من القرآن ويدعوا لهم عقبها.

فقال الأصحاب: لكون الدعاء عقب القراءة أقرب إلى الإجابة ويكون الميت كالحاضر ترجى لهم الرحمة والبركة، وأما ثواب القراءة فللقارئ، ولو أنه سأل الله تعالى أن يفعل ذلك الثواب الذي حصل له للميت كما جرت به عادة القراء.

فقال الشيخ يعني السبكي: عندي أنه لا يمنع وهو كسائر الدعاء، وإنما يحمل منع الشافعيّ والمالكية على ما إذا نوى القارئ بقراءته أن يكون ثوابها للميت بغير دعاء، وهذا الذي اختاره عبد الكريم الشالوسي بالشين المعجمة في أوله كما قاله ابن السمعاني لا كما قاله المصنف يعني النووي في تهذيبه أنه بالمهملتين.

وشذّ ابن عبد السلام في بعض فتاويه فقال: لا يجوز ذلك لأنه تصرّف في الثواب من غير إذن من الشرع فيه.

وحكى القرطبي عنه في التذكرة: أنه رئي بعد وفاته في النوم فسئل عن ذلك؟ فقال: كنت أقول ذلك في الدنيا والآن بان لي أن ثواب القرآن يصل للميت. =

فصل في الإحسان إلى آل رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥،والمائدة:١٣]، وقال ﷺ: «أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أهلِ بيتي»[1]، وقال أبو بكر رضي الله / عنه: ارقبوا محمدًا في أهل بيته. وقال: لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي. (ق ٥٥-أ)

تفاوت مراتب البر بتفاوت مراتب المبرور، فليس بر الرسول ﷺ كبر أحد من الناس، والإحسان إلى آله [برٌ له][2] ﷺ فكأن كل ما يصل إليهم واصل إليه، ولهذا قيل: «فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»[3] فجعل الصلاة عليهم صلاة عليه، لأنه إنما سئل عن الصلاة عليه، فدل على أن الإحسان إليهم واصل إليه، وهذا معروف بين الناس. إن إكرام أهل الإنسان لأجله إكرام له.

فصل في الإحسان إلى الأرامل والمساكين

قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين [كالمجاهد في سبيل الله – وأحسبه

= وقال ابن الصلاح والشيخ محب الدين الطبري: ينبغي أن يقول إذا أراد ذلك: اللهم أوصل ثواب ما قرأته لفلان.

وقال السبكي: والذي دلّ عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قُصد به نفع الميت نفعه، إذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعته، وأقرّ النبيُّ ﷺ ذلك بقوله: "وما يدريك أنها رقية" وإذا نفعت الحمى بالقصد كان نفع الميت.

وفي فتاوى القفال: إذا أوصى أن يختم القرآن على قبره لا يلزم فإن قال: إذا مت فاستأجروا من مالي من يختم القرآن على رأس قبري أو قال: أعطي رجلا يقرأ، فإن ذلك يلزم وقد تقدّم في الإجازة طرف من هذا.

وانظر: نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار (ص١٥٩ ، ١٦١) بتحقيقنا لأول مرة ط دار الكتب العلمية – بيروت.

(١)رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم مرفوعًا.

(٢)حُرفت في الأصل إلى (بركة).

(٣)رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة، ورواه مسلم (٤٠٥) عن أبي مسعود الأنصاري مرفوعًا.

قال — وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر]»[١] [٢].

لعجزها وتعذر الكسب عليها فكانت حاجتها أمس، إذ لا يقدران على دفعها.

فصل في الإحسان إلى الأسرى

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد:٤]، وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الانسان:٨]، وقال ﷺ: «أطلقوا ثمامة»[٣].

للإحسان إلى الأسير جبرًا لمصابه — [لقلة] من يلتفت إليه — عند الله مزية بضرورته وعظم مصيبته، وفيه تأليفه على الإسلام.

فصل في الإحسان إلى الكفار

قال الله تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:٨]،وقال: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]. وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الانسان:٨]، وقال ﷺ: «وكل معروف صدقة»[٤] «وفي كل كبد رطبة أجر»[٥]، وقالت أسماء: «يا رسول الله، إن أمي جاءتني راغبة أفأصلها؟ فقال ﷺ: صلي أمك»[٦].

بر الكفار الذين لايحاربون إحسان إليهم، وتأليف لهم على الإسلام.

---

(١)ما بين [ ] سقط من المخطوط، وما أُثبت من الصحيحين.

(٢)رواه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٤٦٢)، ومسلم (١٧٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)تقدم تخريجه.

(٥)رواه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣) عن أسماء مرفوعًا.

فصل في الإحسان في رد السائل

(ق ٥٥-ب) «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا»[1]، و «ما سئل عن الإسلام شيئًا / إلا أعطاه، وسأله رجل أن يعطيه غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: أي قوم، أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاءً، ما يخاف الفقر»[2].

قول المسئول: «لا» كسر للسائل مضموم إلى ذل السؤال، فينبغي لمن رد أن يرد ردًا جميلا، ومعنى أنها ما قال لا، أي: لم يقل: لا، منعًا للعطاء، وإنما يقول لا، اعتذارٌ من الفقد لقوله تعالى: ﴿لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:٩٢].

وفرق بين قوله «لاأعطيكم» ،وبين قوله: «لاأجد ما أعطيكم»، وكذلك فرق بين قوله «لاأحملكم »،وبين قوله: «لاأجد ما أحملكم عليه».

فصل في المعاونة على البر والتقوى

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]،وقال الطَّيْلاً: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[3].

مراتب المعونة على الخيرات مأخوذة من رتب تلك الخيرات، فالمعاونة على أفضل الخيور أفضل المعاونات.

فصل في إسراع القفول إلى الأهل

قال الطَّيْلاً: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمه منه فليسرع الرجعة إلى أهله»[4].

إسراع القفول إلى الأهل إحسان بتجميع الشمل، وإرفاق الأهل.

---

(١)رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١) عن جابر مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٣١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في المناضلة عن أعراض الأبرار

قال الله تعالى: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢]، وقال: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾[النور:١٧،١٦].

تكذيب الطاعن على أهل التقوى إهانة للفجار، وفطام لهم عن التعرض للأخيار.

فصل في التفسح في المجالس

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة:١١]،وقال ﷺ: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا و توسعوا»[١].

التفسح في المجالس إكرام لأهل الإسلام، شرفه بشرف ذلك المجلس.

فصل في الرفق

(ق ٥٦-أ) قال ﷺ / : «إن الله يحب الرفق، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف، ومالا يعطي على سواه»[٢]، «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه»[٣]، «من يحرم الرفق يحرم الخير»[٤].

لا يخفى ما في الرفق من البر والخير.

فصل في الرفق في طلب الحقوق ودفعها

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨]،وقال: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:٢٥]، وقال:

---

(١)رواه البخاري (٦٢٦٩، ٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٥٩٣) عن عائشة مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٥٩٤) عن عائشة مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (٢٥٩٢) عن جرير بن عبدالله مرفوعًا.

﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣]،وقال ﷺ: رحم الله رجلا سمحًا إذا قضى وإذا اقتضى»[1].

الرفق في الطلب والدفع من الإحسان المطلوب شرعًا وعقلا، لما فيه من البر وتأليف القلوب.

فصل في إيفاء الحقوق كاملة أو زائدة

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[الاسراء:٣٥]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[الانعام:١٥٢]، ﴿وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩]، وقال ﷺ: زن وأرجح»[2]، فإن خيركم أحسنكم قضاء»[3].

إن الله لا يظلم مثقال ذرة، الزيادة على الواجب خروج عن الحق بيقين، وتفضل بالزيادة.

فصل في حفظ الأمانات وأدائها

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[المؤمنون:٨،والمعارج:٣٢]، وقال: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[البقرة:٢٨٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنَ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ﴾[النساء:٥٨].

حفظ الأمانات وردها من أحسن أنواع الإحسان، والمبالغة في حفظها بما يزيد على حفظ مثلها من باب إحسان الإحسان، فأدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك.

فصل في الوفاء بالعقود

وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[النحل:٩١]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٢٣٠٥)، ومسلم (١٦٠١) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه مسلم (١٦٠٠) عن أبي رافع مرفوعًا.

الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[الاسراء:٣٤]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقرة:٤٠]، وقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:١٠].

الوفاء بالعهد تحصل لمصلحة ذلك العقد والعهد، وبعدٌ من التدليس بالغرر.

فصل في إحسان الصحبة والمفارقة

قال الله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[الطلاق:٢] /، (ق ٥٦-ب) وقال: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]،وقال: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾[المزمل:١٠]، وقال إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾[مريم:٤٧]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥]،وقال ﷺ: إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[1].

في حسن المصاحبة والمفارقة حفظ للوداد، وبعد من البغضاء والعداوة؛ إذ جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

فصل في الإحسان بالعدل العام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل:٩٠]،وقال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء:١٣٥]،وقال: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[الانعام:١٥٢]، وقال: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

العدل إحسان تعدى نفعه إلى كل من يتعلق به من ظالم ومظلوم، وعائن ومعيون ، وباذل ومبذول له.

فصل في العدل في الحكم والولاية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[النساء:٥٨]، وقال ﷺ: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل

---

(١)رواه مسلم (١٩٥٥) عن شداد بن أوس مرفوعًا.

إلا ظله، إمام عادل...»[١] الحديث.

والعدل والقسط بر وإحسان يتعدى نفعه إلى الاثنين فصاعدًا، وهو تخلق بأوصاف الرحمن، ولذلك كان المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وهم الذين يعدلون في أهليهم وما ولوا.

فصل في الإحسان في الإملاء والكتابة والأقوال

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[البقرة:٢٨٢]، وقال: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾[البقرة:٢٨٢]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[الانعام:١٥٢].

فصل في الإحسان بالعدل في الإصلاح وفي الأولاد

قال الله تعالى: ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾[الحجرات:٩]، وقال ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»[٢].

العدل في إصلاح ذات البين إحسان إلى الطائفتين، والعدل بين الأولاد إحسان إليهم بالعطاء، وبأن لا يقع بينهم العداوة والبغضاء، وبأن يكونوا في بره سواء.

فصل في إحسان مظان الجور

(ق ٥٧-أ) قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣] .

إحسان مظان الجور خلاص من التغرير بالأديان ومن ظلم من يجار عليه، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢)رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

فصل في مكافأة الإحسان بمثله أو أفضل

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[القصص:٢٥]، وقال: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾[هود:٦٩]، قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء:٨٦]، واستقرض رسول الله ﷺ بكرًا ورد زيادة، وقال ﷺ: «خيركم أحسنكم قضاء»[١].

المكافأة سبب إلى تآلف القلوب ودفع المنن.

فصل في الإحسان بالغرس

قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه صدقة، وما سرق منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة»[٢]، وروي: «لا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»[٣].

لما تسبب الغارس إلى ذلك، كان له أجره إلى يوم القيامة، أما في حياته فلأنه ملكه، وأما بعد موته فلأن الأكل يقع من ملك وارثه، ولكنه لما تسبب إليه، جعل له أجر المسبب.

فصل في نفع العباد بكل البلاد

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ﴾[مريم:٣١]، أي: نافعًا لعباده أينما حللت.

النفع نفعان؛ نفع في الأديان، ونفع في الأبدان والبركة كثرة الخير وزيادته، فأثنى الله على عيسى بكونه جعله نافعًا للعباد أينما كان وحيث كان.

لله قوم، إذا حلوا بمنزلة حل الندى، ويسير الجود إن ساروا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٥٥٢)، ورواه البخاري (٢٣٢٠) عن جابر، ومسلم (١٥٥٣) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٣) رواه مسلم (١٥٥٢/١٠) عن جابر مرفوعًا.

فصل في ستر العيوب

قال ﷺ: «من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[١]، وقال: «لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[٢].

فصل في الإحسان بالإنقاذ من الأسباب المهلكة

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة:٣٢]، وقال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب / الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[٣]. (ق ٥٧-ب)

دفع الشر إحسان، فضله على قدر ذلك الشر، فدفع الكفر من أعلى مراتب الدفع، ودفع القتل بعده، ثم تترتب فضائل الدفع بمراتب المدفوع في سوئه وقبحه.

فصل في إماطة الأذى عن طريق المسلمين

قال ﷺ: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»[٤].

إماطة الأذى إحسان عام إلى كل من يمر بالطريق، ويعم ما يتأذى المارة به من الشوك والأحجار والجيف والأقذار.

فصل في نفع المسلمين بقتل المؤذيات

قال ﷺ : «خمس [فواسق][٥] يقتلن في الحل والحرم: الحية، والعقرب، والحدأة،

---

(١)رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠ ، ٢٦٩٩) عن ابن عمر، وعن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٥٩٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٤) رواه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥) حُرف ما بين [ ] في الأصل إلى (فوارس) وهو تحريف ظاهر، والصحيح ما أُثبت كما في رواية الحديث.

والفأرة، والكلب العقور»[1]، وأمر بقتل الحيات[2] والأوزاغ وسمى[3] الوزغ [فويسقًا][4] وقال: من قتل وزغًا في أول ضربة كتبت له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالث دون ذلك»[5].

فصل في الاحتياط لدماء المسلمين

قال ﷺ: «إذا مر أحدكم في [مسجدنا][6] أو سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه، أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء»[7].

يشرف الاحتياط بشرف المحتاط له، فالاحتياط للدماء أفضل من الاحتياط للأموال، والاحتياط للأرواح أفضل من الاحتياط للأعضاء، والاحتياط لنفائس الأموال أفضل من الاحتياط لخسيسها، فإذا كان لليتيم أو للرعية أموال لا يمكن حفظ جميعها، حفظنا أنفسها فأنفسها، ولو نيل بضياع خسيسها فأخسها.

فصل في التبذل في قضاء حوائج المسلمين

«أتت رسولَ الله ﷺ امرأةٌ في عقلها شيء فقالت: إن لي إليك حاجة. فقال: يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا بها في بعض الطرق حتى قضت حاجتها»[8].

---

(١) رواه البخاري (١٨٢٦ ، ١٨٢٨ ، ١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨ ، ١١٩٩) عن ابن عمر، وعن حفصة، وعن عائشة أيضًا مرفوعًا.

(٢) رواه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (٢٢٣٣) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري (٣٣٠٧)، ومسلم (٢٢٣٧ ، ٢٢٣٨) عن أم شريك، وعن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٤) ما بين [ ] حُرّف في الأصل إلى (فسوقًا) والصواب ما أثبت. رواه مسلم (٢٢٣٨) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٥) رواه مسلم (٢٢٣٨) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٦) في الأصل [مسجد] والصواب ما أثبت لمناسبة السياق، وكذلك من رواية الحديث في مسلم.

(٧) رواه البخاري (٤٥٢)، ومسلم (٢٦١٥) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

(٨) رواه مسلم (٣٣٢٦) عن أنس مرفوعًا.

لا يخفى ما في هذا من التواضع واللطف والإحسان.

فصل في إكرام الفقراء الصالحين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
(ق ٥٨-أ) عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الانعام:٥٤].

يكرم الناس على قدر أوصافهم، فإذا كان أكرمنا عند الله أتقانا، فينبغي أن يكون أتقانا أكرم خلق الله علينا وأحبهم إلينا؛ لمعاملته معاملة الله إياه، وتختلف مراتب إكرام المتقين باختلاف مراتبهم في تفاوتهم؛ فإنا أمرنا أن نترل الناس منازلهم.

فصل في إكرام نساء الصالحين وصبيانهم

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[الكهف:٨٢]، فأحسن إليهما الخضر بصلاح أبيهما، وكذلك قيل: «يا رسول الله ﷺ، كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[١]، فجعل الصلاة عليهم صلاة عليه لوصول برها إليه، و«رأى ﷺ نساءً وصبيانًا مقبلين من عرسٍ فقام ممثلا، فقال: اللهم إنهم أحب الناس إليَّ، اللهم إنهم من أحب الناس [إليَّ][٢] يعني: الأنصار»[٣].

إكرام المتعلقين بالإنسان إكرام لذلك الإنسان، وإكرام نساء الصالحين إكرام للصالحين، وقد ذكر هذا المعنى في العيادة والاستطعام.

فصل في تقديم الفقراء الصالحين

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾

[عبس:٨، ٩، ١٠].

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)رواه البخاري (٣٧٨٥)، ومسلم (٢٥٠٨) عن أنس مرفوعًا.

فصل في زيارة المرأة الصالحة من غير خلوة محرمة

قال أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما – بعد وفاة رسول الله ﷺ: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها»[١].

كل من زاره الرسول ﷺ فالرسول منعم عليه ومحسن إليه، وأما زيارة غيره فتكون لما ينال الزائر من بركة المزور، وقد تكون إحسانا إلى المزور.

فصل في الإعراض عن إجابة الجاهل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾[الفرقان:٦٣]، وقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[القصص:٥٥].

إجابة الجاهل تؤدي إلى أن يزيد من جهله ولغوه، فالحزم تركها.

فصل في الدفع بأحسن الأقوال والأعمال

قال /الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (ق ٥٨-ب) [الإسراء:٥٣]، وقال: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٤].

الدفع بأحسن الأقوال والأعمال، سبب موجب لحصول الائتلاف والاتفاق المقتضي للتعاون على مصالح الدنيا والدين.

فصل في الإحسان إلى المسيء

قال الله تعالى: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾[يوسف:٩٢]، وقال يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[يوسف:٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[النور:٢٢]، نزلت في أبي بكر – رضي الله عنه – لما حلف أنه لا ينفق على مسطح؛ لقذفه عائشة – رضي الله عنها –، وكانت عائشة تكره أن يُسب عندها حسان، وتقول: إنه قال:

---

(١)رواه مسلم (٢٤٥٤) عن أنس مرفوعًا.

فإن أبي ووالده وعرضي   لعرض محمدٍ منكم وقاء

وقال رجل: «يا رسول الله: إن لي قربة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: إن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك»(١).

من الإحسان إلى المسيء شرف الاتصاف بصفات الخالق؛ إذ يجعلون له الصحابة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم، وفيه فطامٌ للمسيء عن إساءته، وتعريف له بقبح ظلمه.

فصل في خدمة الرجل أهله

قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[طه:١٠]، وكان ﷺ «في بيته في مهنة أهله»(٢) أي: في خدمتهم، ومن ذلك قوله: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾[يوسف:٦٥].

خدمة الرجل أهله إحسان وصلة وتواضع، وما [هذا](٣) من أخلاق الجبارين المتكبرين، وعلى الحقيقة سيد القوم خادمهم؛ لأنه فاز بالمناقب الدينية وأفادهم أعراضًا دنيوية، وكان ابن عمر إذا سافر مع جماعة شرط أن لا يخدمهم غيره، وأن تكون نفقتهم من عنده، ومن عمل صالحًا فلأنفسهم [يمهدون](٤).

فصل في خدمة المرأة زوجها فيما لا يلزمها

«كان الزبير فقيرًا/، وكانت زوجته أسماء بنت أبي بكر تسوس فرسه وتعلفه، وتنقل النوى من الأرض وتكفيه مؤونته، وتدق النوى لناضحه، وتسقي الماء وتخرز غربه، وتعجن وتنقي النوى من الأرض التي اقتطعها رسول الله ﷺ للزبير على رأسها من ثلثي فرسخ، فلقيها رسول الله ﷺ والنوى على رأسها في نفر من أصحابه فدعاها (ق ٥٩-أ)

---

(١)رواه مسلم (٢٥٥٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٦٧٦) عن عائشة مرفوعًا.

(٣)ما بين [ ] غير واضح في الأصل، ولعل ما أُثبت هو الصواب.

(٤)ما بين [ ] في الأصل (يشهدون) وهو تحريف ظاهر.

وقال: إِخْ إِخْ فاستحيت، وعرفت غيرة الزبير فأخبرته بذلك فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه حتى أرسل إليها أبو بكر بخادم فكفاها مؤونة الفرس، قالت: فكأنما أعتقني»[(١)].

فضيلة الخدمة على قدر فضيلة ما فيه الخدمة.

فصل في معاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[النساء:٩]، وقال ﷺ: «فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»[(٢)].

انظر إلى كل ما تحب أن تعامل به من الأقوال والأخلاق والأعمال فعاملهم بمثله، وهذا ميزان لمن جُبل على خلقٍ كريم، فإن أخلاقه الكريمة تعرفه ما يحسن فيأتيه إلى الناس، وما يقبح فيقبحه في حقهم، فيعاملهم بإتيان ما يحبون واجتناب ما يكرهون.

فصل في معاملة المستحيي بمقتضى الحياء

«استأذن أبو بكر - رضي الله عنه -، ثم عمر - رضي الله عنهما - على رسول الله ﷺ وهو مضطجع في بيت عائشة كاشفًا عن فخذيه — أو عن ساقيه — فأذن لكل واحد منهما فتحدثا، وهو على تلك الحال فاستأذن عثمان - رضي الله عنه -، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقال: ألا أستحيي ممن تستحي منه ملائكة السماء»[(٣)].

ويروى أنه قال: «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك

---

(١)رواه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢) عن أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (١٨٤٤) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٤٠١) عن عائشة مرفوعًا.

الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته»[١].

فصل في التبسم عند اللقاء وتيسير الحجاب

(ق ٥٩-ب) قال جرير: /«ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي»[٢].

أما التبسم فمن محاسن الأخلاق، وأما منع الحجاب فإكرام وتأليف وإحسان.

[فصل][٣] في تنزيل المسلم منزلة الأخ

قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى ههنا – وأشار إلى صدره – ثلاث مرات»[٤].

إنما جعل التقوى في الصدر؛ لأن الأفعال الظاهرة لا تكون تقوى إلا بحسن الضمائر والإخلاص، فالقلب منبع كل تقوى؛ إذ لا تتقى النار بشيء من الأعمال الظاهرة إلا بإخلاصه بالقلب.

الغرض من تنزيل المسلم منزلة الأخ؛ أن يعامل بما يعامل به الأخ أخاه من المقاصد، والمساعد والبر والإحسان، وفعل كل ما يفعله الإخوان.

فصل في المؤاخاة في الله

«آخى رسول الله ﷺ بين أبي [عبيدة][٥] بن الجراح وبين أبي طلحة»[٦].

ومعنى مؤاخاة المسلم أي: ينزله مع أخيه أخوة الإيمان منزلة أخوة النسب، جمع

(١)رواه مسلم (٢٤٠٢) عن عائشة وعثمان مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٣٨٢٢)، ومسلم (٢٤٧٥).
(٣)بياض في الأصل، والصواب إثباتها متابعة لما سبق، وما يَتقدّم.
(٤)رواه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٥)في الأصل (عبيدالله) وهو خطأ ظاهر.
(٦)رواه مسلم (٢٥٢٨) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

بين الأخوتين، وإلا فالمؤمنون كلهم إخوة.

فصل في إحسان صحبة الأقارب

قال رجل لرسول الله ﷺ: «من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك [قال ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال] ثم (أبوك)»[١]، ويروى: «أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أبوك ثم أدناك أدناك»[٢].

بدء الإحسان إلى الأم إكمال إحسانها مع وهنها وضعفها؛ فإنها حملت وأرضعت وربت وسهرت، وباشرت أقذاره وأوضاره وغير ذلك، ثم ثنى بالأب لكونه سببًا في إيجاده، وأنه بضعة منه، ثم الأقرب فالأقرب لما في ذلك من صلة الأرحام، والبداءة بالأفضل فالأفضل.

فصل في الوفاء بالوعد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[مريم:٥٤].

فصل في كفارة ظلم العبد

«ضرب أبو مسعود غلامًا له فجعل يقول: أعوذ بالله، فجعل يضربه وعوذ برسول الله فترك، فقال رسول الله ﷺ: الله أقدر عليك منك عليه، فسقط السوط من يده لهيبة رسول الله ﷺ وقال: هو حر / لوجه الله، فقال: أما إنك لو لم تفعل لمستك النار أو (ق ٦٠-أ)
لفحتك النار»[٣].

من أساء إلى رقيقه بالضرب فليحسن إليه بالعتق، فإن الحسنات يذهبن السيئات، ويرفعن الدرجات.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٥٤٨/٢).
(٣)رواه مسلم (١٦٥٩) عن أبي مسعود الأنصاري مرفوعًا.

فصل في الصدقة عن الأبوين الميتين

قال رجل: «يا رسول الله، إن أبي مات وترك مالا، ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم»[١] وقال آخر «إن أمي افتلتت [نفسها] ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم»[٢].

وروي: «فلي أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم»[٣]، وأمر سعد بن عبادة بقضاء نذر كان على أمه[٤].

إذا كانت النفقة على الأبوين في حياتهما برًا، فالتصدق عنهما بعد موتهما أولى أن يكون برًا، فإن الثواب الحاصل لهما من الصدقة خير وأبقى من الرفق الذي حصل لهما بالنفقة.

فصل في صلة صديق الأب

قال ﷺ: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي»[٥]، وقد «كان ﷺ يهش لصدائق خديجة ويحسن إليهن ويكرمهن»[٦].

الإحسان إلى صديق الأب كالنيابة عن الأب في الإحسان إلى الأصدقاء.

فصل في إكرام الصالح بعد موته

«وضع ﷺ جليبيبًا على ساعديه وهو قتيل، ليس له إلا ساعداه»[٧].

---

(١)رواه مسلم (١٦٣٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (١٠٠٤) عن عائشة مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٠٠٤/١٢) عن عائشة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢٧٦١)، ومسلم (١٦٣٨) عن ابن عباس مرفوعًا.

(٥)رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٦)رواه البخاري (٣٨١٨ ، ٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٥ ، ٢٤٣٧) عن عائشة مرفوعًا.

(٧)رواه مسلم (٢٤٧٢) عن أبي برزة مرفوعًا.

فصل في العيادة

«إذا عاد المسلم أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع»[١].

«يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟»[٢].

فصل في معالجة المرضى بالدواء والكي والرقى وإرسال الأطباء

قال ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله»[٣]، و«احتجم ﷺ واستعط»[٤]، و «بعث إلى أُبي طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه»[٥]، و«لما رُمي سعد في أكحله حسمه رسول الله/ ﷺ بيده بمشقص ثم ورمت، فحسمه الثانية»[٦]، (ق ٦٠-ب) و«لدغت رجلا عقرب فقال رجل: يا رسول الله أرقي؟ فقال: من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»[٧]، وقال: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[٨].

معالجة المرضى إحسان بدفع الأذى، ومراتب الدفع في الفضل على قدر المدفوع، فدفع أعظم الشرور هو أفضل الدفوع، فدفع الأمراض السليمة في الغالب، ولإن استوى المرضان في السلامة والعطب والطول والعرض كان دفع أشدهما أفضل من دفع أخفهما.

فصل في ملاطفة المرضى والصبيان

«خرج رسول الله ﷺ من صلاة الظهر فمر بصبيان فجعل يمسح خدي أحدهما

---

(١)رواه مسلم (٢٥٦٨) عن ثوبان مرفوعًا.
(٢)تقدم تخريجه.
(٣)رواه مسلم (٢٢٠٤) عن جابر مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٥٦٩١)، ومسلم (١٢٠٢) عن ابن عباس مرفوعًا.
(٥)رواه مسلم (٢٢٠٧) عن جابر مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (٢٢٠٨) عن جابر مرفوعًا.
(٧)رواه مسلم (٢١٩٩) عن جابر مرفوعًا.
(٨)رواه مسلم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا.

واحدًا واحدًا»[١]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف اللطف الذي كنت أعرفه من رسول الله ﷺ حين أشتكي؛ إنما يدخل رسول الله ﷺ فيقول: كيف تيكم»[٢].

فصل في إحسان الأكفان والدفن نهارًا

«خطب رسول الله ﷺ فذكر رجلا من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل، ودفن ليلا فزجر النبي ﷺ أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك، وقال: إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه»[٣].

إحسان الأكفان إكرام الميت، والدفن نهارًا إحسان إليه بكثرة الشافعين فيه المصلين عليه.

فصل في الإحسان إلى البنات

قال ﷺ: «من بلي من البنات بشيء فصبر عليهن وأحسن إليهن كن له سترًا من النار»[٤]، وقال: «من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو – وضم أصابعه»[٥].

لما كان الحمقى ينفرون من البنات ويكرهونهن، عظم الله ثواب من خرج عن عادة الناس في ذلك بالصبر عليهن والإحسان إليهن.

فصل في الرغبة إلى الأكفاء إحسانًا على النساء

قال الله تعالى حكاية عن شعيب: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى

(ق ٦١-أ)

(١)رواه مسلم (٢٣٢٩) عن جابر بن سمرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٣)رواه مسلم (٩٤٣) عن جابر مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩) عن عائشة مرفوعًا.
(٥)رواه مسلم (٢٦٣١) عن أنس مرفوعًا.

أن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[القصص:٢٧]، وقد عرض عمر بن/ الخطاب - رضي الله عنه - ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان - رضي الله عنهما -.

المبادرة إلى إنكاح الأكفاء والرغبة فيهم مسارعة إلى إحصان المرأة ودفع العار عنها بالتزويج بالكفؤ، مع أن البعل الصالح يدعوها إلى كل خير ويزعها عن كل شر.

فصل في شفقة المرأة على الأولاد وأموال الأزواج

قال ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولدٍ في صغرٍ، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده»(١).

شفقة المرأة على مال زوجها أداء للأمانة فيه، وحنوها على طفلها حامل على اللطف به والإحسان إليه بحسن التغذية والتربية.

فصل في تحنيك الأطفال وتسميتهم

«كان ﷺ يؤتى بالصبيان فَيُبَرِّكُ عليهم ويحنكهم»(٢)، و«حول اسم ابن أبي أسيد إلى المنذر»(٣)، و«سمى ابن الزبير عبدالله»(٤)، و«حنك ابن أبي موسى وسماه إبراهيم»(٥).

وذلك برٌّ بهم وبآبائهم، وإحسان إليهم وإلى آبائهم.

فصل في حمل الصبيان وإردافهم

«حمل رسول الله ﷺ الحسن على عاتقه وقال: اللهم إني أحبه، فأحبه»، و«أردف

---

(١)رواه البخاري (٥٠٨٢)، ومسلم (٢٥٢٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢١٤٧) عن عائشة مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٦١٩١)، ومسلم (٢١٤٩) عن سهل بن سعد مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (٢١٤٦) عن أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥) عن أبي موسى مرفوعًا.

البغلة حتى أدخلهم حجرة النبي ﷺ»[١].

وقال عبدالله بن جعفر: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر يلقى بصبيان أهله، فقدم من سفر [فسُبق بي] إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة»[٢].

وقال عبدالله بن جعفر لابن الزبير: «أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس فحملنا وتركك»[٣]، و«[حمل] أمامة بنت أبي العاص في الصلاة»[٤].

هذا برٌّ وتواضع ولطف بهم، وحث للناس على التواضع، وأما تقبيلهم وإعناقهم فرأفة بهم وود لهم، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

فصل / في تقبيل الصبيان (ق ٦١-ب)

«قبل رسول الله ﷺ الحسن فرآه الأقرع بن حابس فقال: إن لي عشرًا من الولد، ما قبلت واحدًا منهم! فقال ﷺ: إنه من لا يَرحم لا يُرحم»[٥].

فصل في مداعبة الصبيان

قال أنس: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له: أبو [عمير] فكان رسول الله ﷺ إذا جاءه فرآه قال: يا أبا عمير ما فعل [النغير]»[٦].

مداعبة الصبيان بسط لهم، وتطيب قلوبهم، وترويح عن نفوسهم.

---

(١)رواه مسلم (٢٤٢٣) عن سلمة بن الأكوع مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٤٢٨).

(٣)رواه البخاري (٣٠٨٢)، ومسلم (٢٤٢٧).

(٤)متفق عليه، أبو قتادة الأنصاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).

(٥)تقدم تخريجه.

(٦)رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠) وقد حرف (عمير) إلى (عمر) في الأصل، والنغير إلى (البعير).

فصل في التسليم على الصبيان

«مر رسول الله ﷺ بصبيان فسلم عليهم»[١]، وذلك لطف، وجبر، وإكرام.

فصل في الشفقة على الأولاد من العين

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾[يوسف:٦٧].

العين سبب مؤذ، والنهي عن الدخول من باب واحد أخذ للحذار مع التوكل، ولذلك قال: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ...﴾ إلى قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف:٦٧].

قال في حسن الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]، وقال ﷺ: خياركم أحاسنكم أخلاقًا»[٢]، و«كان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا»[٣]، وقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٤]، وقالت عائشة: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»[٥] أي: العمل بآداب القرآن.

حسن الخلق موجب للود الموجب لزيادة الإيمان لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»[٦].

فصل في إلانة القول والفعل في مظانهما

قال الله تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾[طه:٤٤]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ

---

(١)رواه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨) عن أنس بن مالك مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧) عن البراء بن عازب مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (٣٥٥٢) عن النواس بن سمعان مرفوعًا.
(٥)رواه مسلم (٧٤٦) عن عائشة مرفوعًا.
(٦)تقدم تخريجه.

لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقال ﷺ: «المؤمنون هينون لينون»(١)، وقال: «المؤمن كالجمل الآنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ»(٢).

للين مواطن لا يليق بها غيره، وللغلظ مواطن لا يناسبها سواه، فمن استعمل أحد الأمرين في موضع الآخر فقد أخطأ، وقد ألان موسى القول لفرعون في ابتداء رسالته بقوله: /﴿هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾[النازعات:١٨]، فلما أصر - مع علمه بصدقه - قال له موسى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الاسراء:١٠٢]، وفيه تأليف القلوب، وتطييب النفوس، موجب للاتفاق على مصالح الدارين. (ق ٦٢-أ)

فصل في الغيرة على الحرم

قال ﷺ: «ليس من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش»(٣).

«إن الله تعالى يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه»(٤)، وقال في سعد: «يغار وأنا أغير منه، والله أغير مني»(٥).

الغيرة على الحرم إحسان بالصون عن الفواحش الموجبة لعار الدنيا ونار الآخرة، والغيرة ضربان؛ أحدهما: باطن جبلي، والثاني: ظاهر، وهو تحريز الحرم ومنعهن من أسباب الفواحش كالتبرج وغيره.

فصل في تحمل مشاق الإحسان

«كان ﷺ إذا صلى الغداة، جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده»(٦).

---

(١)تقدم تخريجه.
(٢)رواه أحمد في المسند (٤/١٢٦)، وابن ماجة (٤٣) عن العرباض مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠) عن ابن مسعود مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩) عن المغيرة بن شعبة مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (٢٣٢٤) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

تحمل المشاق الفانية لمصلحة عاجلة وآجلة، هو الحزم اللائق بالأنبياء والأولياء والأبدال.

فصل في الإحسان بالحنث في الأيمان

قال ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليكفر عن يمينه، وليأت الذي هو خير»[(١)]، وقال: «من حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى»[(٢)]، وقال: «لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يؤدي كفارته التي فرض الله»[(٣)]، وقال ﷺ: «وإني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»[(٤)].

مراتب الحنث في الفضل على قدر مراتب ما يحنث فيه من الفضل، مع إحسانه بالكفارة المالية، فإن حلف لا يعتق فأعتق، وكفر بالعتق فأكرم به من حنث.

فصل في الإحسان إلى الغزاة

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢]، وقال ﷺ: «من جهز غازيًا أو خلفه في أهله بخير فقد غزا»[(٥)]، و«بعث إلى بني لحيان من كل رجلين رجلا، وقال: / أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج»[(٦)]. (ق ٦٢-ب)

فصل في أنواع البر

قالت خديجة لرسول الله ﷺ: «والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[(٧)].

---

(١)رواه مسلم (١٦٥٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (١٦٥١) عن عدي بن حاتم مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٦٦٢٥)، ومسلم (١٦٥٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥) عن زيد بن خالد الجهني مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (١٨٩٦) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
(٧)رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في أنواع الإحسان

«أمر رسول الله ﷺ بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار القسم – أو المقسم – ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام»(١).

عيادة المريض خير له؛ تخفف من مرضه وتنعش قواه، ولا سيما إذا عاده الأكابر، وتشييع الجنائز إكرام للميت، وخير للأحياء من أقاربه، وإبرار المقسم إشغاف بما أقسم عليه؛ لأنه أقسم لتأكده عنده وشدة تعلقه به، وفيه تخليصه من الكفارة وإجابة الداعي خير وإحسان، ولا يخفى ما في نصر المظلوم وإفشاء السلام.

فصل في نصرة المظلوم

قال الله تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[الحجرات:٩]، و «أمر رسول الله ﷺ بنصرة المظلوم»(٢) وقال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»(٣).

نصرة المظلوم بدفع الظلم عنه، ونصرة الظالم بخلاصه من عهدة الظلم.

فصل في الإحسان بولاية المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥].

فصل في قضاء حوائج المسلمين وإعانتهم

قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»(٤)، وقال: «من كان في

---

(١)رواه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦) عن البراء بن عازب مرفوعًا.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)رواه البخاري (٢٤٤٣) عن أنس بن مالك، ورواه مسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

حاجة أخيه كان الله في حاجته»[١]، «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٢].

هذا أمر بصيغة الإخبار معناه: ليترلن المؤمن نفسه في السد من أخيه في النوائب بمترلة البنيان الذي يدعم بعضه بعضًا، فلا يتماسك بعضه إلا ببعض، وفيه أمر بالمساعدة والمعاضدة من الطرفين.

فصل في الزيارة في الله والتحاب فيه

قال ﷺ: / «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»[٣]، «وزار رجل أخاه في الله في قرية، فأرسل الله ملكًا على مدرجته، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تَرُبُّها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[٤]. (ق ٦٣-أ)

فالتحاب بسبب جلال الله أفضل التحاب؛ لأن سببها أفضل الأسباب، وقوله: «كما أحببته في»، يعني: بسببه، فإن «في» تكون للسببية، كقوله ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾[النور:١٤]، أي: بسبب ما أفضتم فيه.



---

(١)رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٢٥٦٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (٢٥٦٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الباب الثاني عشر

في الإحسان بالأقوال

وفيه فصول:

فصل في التواصي بالخيرات

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢]، وقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٦]، وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:٢،٣].

التواصي بالخيرات وسيلة إلى فعلها، وفضلها مأخوذ من فضل المتوسل إليه، فالوصية بالإسلام أفضل الوصايا، والوصية بالصبر تختلف باختلاف مراتب الصبر، والوصية بالرحمة تختلف باختلاف مراتب الرحمة، وتختلف مراتب الرحمة باختلاف مراتب المرحوم، من عظم الفاقة وشدة الضرورة وغيرهما.

فصل في الدعاء إلى الخيرات والنهي عن المنكرات

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران:١٠٤].

فصل في إظهار الغضب في الإنكار

«سمع بعض الصحابة يهوديًا يقول: والذي اصطفى موسى على البشر. فلطمه،

فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فغضب حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله»[١].

إظهار الغضب إحسان إلى المُنْكَر عليه؛ لما في ذلك من ردعه عن المنكر وزجره عنه، مع أن / الغضب أنفة؛ لانتهاك حرمة الربوبية إجلالا وتعظيمًا لله. (ق ٦٣-ب)

فصل في السب في الإنكار وفي مواجهة المعاند والمصر بما يكره

قال عليه السلام لأبي ذر – وقد سب رجلا وعيره بأمه -: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[٢]، قال ذلك مرتين، وقال في خطبته: «أو كلما نفرنا في سبيل الله خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة»[٣]، وقال موسى: ﴿وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[طه:٦١]، وقال العلماء لمن عظم الدنيا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[القصص:٨٠]، ﴿وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾[الاحقاف:١٧]، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[الانبياء:٦٧]، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[الشعراء:١٦٦]، ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الاسراء:١٠٢]، وقال ﷺ في الذين قالوا: حبط عمل عامر-:«كذبوا»[٤]، وقال لغلام حاطب – لما قال: ليدخلن النار -: «كذبت»[٥].

وهذه التغليظات كلها تعزيرات زواجر وروادع من المخالفات، وقد قال أبو بكر – رضي الله عنه -لسهيل بن عمرو بحضرة رسول الله ﷺ: «امصص بظر اللات»[٦] وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١]، ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[الزمر:٦٤]، وقال لوط: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الاعراف:٨١].

أخذ الأنبياء في أول الأمر باللين واللطف كما أمروا، فلما رأوا من قومهم

---

(١)رواه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) عن أبي ذر مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٦٩٢) عن جابر بن سمرة، ورواه مسلم أيضًا (١٦٩٤) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٦) عن سلمة بن الأكوع مرفوعًا.

(٥)رواه مسلم (٢١٩٥ عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم مرفوعًا.

الإصرار، أغلظوا عليهم الإنكار، وقد قال تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:٧٣،التحريم:٩]، وقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة:١٢٣]، وقال لنساء الرسول: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾[الأحزاب:٣٢]، ولكل مقام مقال يليق به على ما يراه الآمر والناهي مصلحة.

في الزواجر إعزاز الدين والاستخفاف بالمخالفين.

سب رسول الله ﷺ أبا ذر بما فيه من أخلاق الجاهلية؛ ليأنف منها ويترجر عنها.

وشبه المعترض لنساء المسلمين بالتيس؛ احتقارًا له وغضبًا وزجرًا له، وحرصًا على صيانة حرم المسلمين.

وكذلك التقبيح بالويل إنما يكون للزجر، والزجر عن الكفر نفع للمزجور عنه.

وأما تكذيب من تفوه بما لا يعلم، والتصريح بذلك فتعزيز وردع لمن تكلم بما لا يعرف.

وأما قول أبي بكر/ لسهيل بن عمرو: «امصص بظر اللات» فاحتقار منه لسهيل واللات، كما قال إبراهيم ؏: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾[الأنبياء:٦٧]. (ق ٦٤-أ)

والعاقل يعرف مظان الغضب لله فيغضب فيها، ويعرف مظان التلطف فيتلطف فيها، ألا ترى أن موسى ؏ تلطف في أول الأمر بفرعون بقوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾[النازعات:١٨]، ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:١٠٤]، وغير ذلك من القول اللين الذي أمر به، فلما أصر وأظهر العناد مع تيقنه صدق موسى لقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤]، ثم قال لموسى: ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾[الإسراء:١٠١]، فأجابه بما يقتضيه الحال في الجواب فقال: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاَءِ﴾، - هذه الآيات - ﴿إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الإسراء:١٠٢]، أي: مهلكًا، وقال ؏ لابن صياد: «اخسأ فلن تعدو قدرك»[(١)]، وقال لهرقل: «أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك

---

(١)رواه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) عن ابن عمر، ورواه مسلم (٢٩٢٤) عن ابن مسعود مرفوعًا.

مرتين» بدأ بالترغيب وختم بقوله: «فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين»[١]، وقال سليمان: ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل:٣١]، فلما لم تجبه بلقيس، وغالطته بالهدية قال: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[النمل:٣٧].

وكذلك جميع الرسل إذا استقرئ أمرهم في بدء الإرسال وجدت فيه الرفق واللين والشفقة على قومهم، فإذا اضطروا وعاندوا أغلظوا لهم حينئذ، لما ركَّب الله تعالى في رسله من العقول الوافرة والأحلام الكاملة ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:١٢٤]، بخلاف العيي الذي يلين في مواطن الإغلاظ ويغلظ في مظان اللين، معتقدًا أنه مقتدٍ بالرسل في غلظهم ولينهم، فنعوذ بالله من الجهل بمظان خطابه، ومن تحريف كلامه وتتريله على غير مراده.

فصل في إظهار الكراهية في الإنكار

«رأى رسول الله ﷺ نمطًا على باب عائشة فعرفت الكراهية في وجهه، فجذبه حتى هتكه أو قطعه» ، مبالغة في زجر عائشة وردعها، فما أحسن الغضب والزجر وإبداء الكراهية في مظانها، فإن ذلك كله إحسان إلى المُنْكَر عليه ومبالغة في إقامة شرائع الإسلام، وحفظ حقوق الله تعالى، فإن الله خلق الغضب لدفع الضيم، فما أحسن/ استعماله في دفع انتهاك حرمات الله، وقالت عائشة - رضي الله عنها -: (ق ٦٤-ب) «سترت سهوة بقرام فيه تماثيل فلما رآه هتكه، وتلون وجهه»[٢].

فصل في الإنكار على الأكابر

قال موسى في إنكاره على الخضر: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[الكهف:٧٤]، وقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧١].

---

(١)رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٦١٠٩)، ومسلم (٢١٠٧).

فصل في الإنكار بناءً على الظن

قال الله تعالى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[الكهف:٧٤]، وقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾[الكهف:٧١].

فصل في تكذيب من قال بالجهل

قال سلمة بن الأكوع لرسول الله ﷺ: «إن ناسًا من الصحابة قد قالوا: حبط عمل عامر: فقال رسول الله ﷺ: «كذبوا إن له لأجرين»[١]، وقال لغلام حاطب - لما قال: ليدخلن حاطب النار -: كذبت»[٢]. التصريح بتكذيب من تفوه بما لا يعلم زجرًا له عن أمثال ذلك، فهو ضرب من الاستصلاح.

فصل في قول الحق على الضعيف والقوي

والفقير والغني والقريب والأجنبي

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾[النساء:١٣٥].

فصل في النصح في الدين وغيره

قال الله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[الاعراف:٦٢]، وقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[الاعراف:٦٨]، وقال: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[الاعراف:٧٩]، وقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[الذاريات:٥٤]، وقال ﷺ: «إن الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٣]، قال جرير: «بايعت رسول الله ﷺ

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري.

على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[(١)].

النصح إعانة على ما فيه النصح، فالنصح في الأديان أفضل من كل نصح، وتترتب فضائل النصح على فضائل متعلقة، فالنصح بالإيمان في أعلى مراتب النصح في الأديان، والنصح هو الإشارة بما هو الأصلح الأنفع للمستشير.

فصل في المسارعة إلى النصح في الدماء

قال الله تعالى/: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[القصص:٢٠]. (ق ٦٥-أ)

وكذلك المسارعة في أمر ديني يخاف فوته، وقد تجب المسارعة، كالمسارعة في النهوض إلى القتال، وكما لو رأينا من يقتل مسلمًا لو تبطأ عليه لقتله، فالمسارعة إلى تخليصه منه واجبة؛ إذ ليست الأناة محمودة في كل شيء، بل لها مواطن تحمد فيها ومواطن تذم فيها، وكذلك المسارعة واللين والغلظة وغيرهما، نسأل الله أن يوفقنا للعمل بطاعته في مواقعها ومظانها، وأن يجعلنا ممن فهم عنه أمره ونهيه، وأجابه إلى ما دعاه إليه وحثه عليه.

فصل في الوعظ والتذكير

قال الله تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾[النساء:٦٣]، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥]، وقال: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى﴾[الانعام:٦٩]، أي: ولكن عليهم ذكرى، والذكرى هي الوعظ.

الوعظ: زجر عن كل قبيح، وحث على كل حسن.

فصل في إحسان الوعظ والتعهد به

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل:١٢٥]،

---

(١)رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

و«كان ﷺ يتعهد أصحابه بالموعظة ويتخولهم بها مخافة السآمة عليهم»(١).

الموعظة الحسنة أدعى إلى قبول الحق على الله.

فصل في الإنذار الخاص والعام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[المدثر:١،٢]، وقال: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾[ابراهيم:٤٤]، وقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، وقال: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢]، وقال ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا»(٢).

يتضاعف أجر المنذر بتعدد المنذَرين لتضاعف نفعه ولذلك أرسل نبينا ﷺ إلى العالمين أجمعين؛ ليكون أجره على الإبلاغ أكمل من أجر سائر المرسلين؛ ولذلك تمنن عليه رب العالمين بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾[الفرقان:٥١]، فإنه لو فعل ذلك لما جعل لنبينا ﷺ إلا أجر إنذار أهل قريته.

فصل في بشارة / الطائعين (ق ٦٥-ب)

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[البقرة:٢٥]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:٢]، وقال ﷺ لمعاذ وأبي موسى لما بعثه إلى اليمن: «بشرا ولا تنفرا»(٣).

بشارة الطائعين حث لهم على الطاعة؛ فإنهم يعملون إلى ما بشروا من الأجر العظيم والنعيم المقيم.

---

(١)رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١) عن ابن مسعود مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٣٥٢٧)، ومسلم (٢٠٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) عن أبي موسى مرفوعًا.

فصل في الجدل لإظهار الحق

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦]، وقال: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[هود:٣٢]، وقال: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

إحسان الجدل إحسان إلى المجادل بإرشاده إلى الحق وإبطال شبهه، وشرفه بشرف المجادل عنه؛ فالجدل لإظهار الإيمان أفضل المجادلات.

فصل في الخصام لإظهار الحق

قال الله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[الحج:١٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[النمل:٤٥].

الخصام لإظهار الحق أكرم به من خصام، يثبت به الحق ويندحض به الباطل، وهو إحسان إلى المخاصم بإنقاذه من النار.

فصل في الرفق في تعليم الجاهل

«شمت معاوية بن الحكم عاطسًا في صلاته فرماه أصحاب النبي ﷺ بأبصارهم، وضربوا بأيديهم على أفخاذهم فسكت وقال: واثكل أمياه، ما لكم تنظرون إليّ؟ فلما صلى رسول الله ﷺ قال: فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني – قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتقديس وقراءة القرآن»[1].

الرفق بالجاهل يؤلفه ويحثه على التعلم والعمل، والعنف ينفره عن التعلم والعمل.

فصل في تأديب الأهل بآداب الشرع

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ﴾[مريم:٥٥]، وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه:١٣٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

---

(١)رواه مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم مرفوعًا.

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[التحريم:٦].

وإنما يقيهم النار بأمرهم بالتقوى وحثهم على الطاعة.

وقال ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر»[١].

(ق ٦٦-أ) تأديب الأهل/ إنعام عليهم، وإحسان إليهم، وفضيلة الدعاء إلى الآداب مأخوذة من فضل ذلك الأدب، فأفضل التأديبات التأديب فأفضل القربات وأشرف الطاعات، وكذلك الأفضل فالأفضل والأمثل فالأمثل، وإذا تعلم الصبي ما ينبغي أن يتعلمه من غير زجر فلا يزجر، وإن لم يتعلم إلا بالزجر زُجر، فإن لم ينجح فيه الزجر، ضُرب ضربًا يحتمله مثله، ويغلب منه السلامة، وإن لم يترجر إلا بالضرب المبرح حرم المبرح؛ لأدائه إلى قتله، و لم يجز غير المبرح؛ لأنه إنما جاز؛ لكونه وسيلة إلى الإصلاح، وإن لم يحصل الإصلاح حرم؛ لأنه إضرار غير مفيد.

فصل في الدلالة على الخير

قال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[٢]، وقال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[٣].

الدلالة على الخير إعانة عليه ووسيلة إليه، شرفها مأخوذ من شرف المدلول عليه، فالدلالة على أفضل العبادات هي أفضل الدلالات، وكذلك الدلالة على الأفضل فالأفضل، فالدلالة على الإيمان أفضل الدلالات.

فصل في الشفاعات

قال الله تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[النساء:٨٥]،

---

(١)رواه أبو داود (٤٩٤ ، ٤٩٦)، والترمذي (٤٠٧)، والحاكم (١/١٩٧)، (١/٢٠١)، والدارقطني (١، ٢، ٣) عن ابن عمرو، وعن سبرة الجهني وقال أبو عيسى حديث صحيح، وقال الحاكم حديث صحيح.

(٢)رواه مسلم (١٨٩٣) عن ابن مسعود الأنصاري مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٧٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

وقال ﷺ: «اشفعوا وتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء»(١).

الشفاعة الحسنة وسيلة إلى الخير، وشرفها في الوسائل مستفاد من شرف مقصودها في المقاصد.

فصل في تقديم العذر فيما يعامل به الناس

قال ﷺ: «ليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل»(٢).

تقديم العذر إحسان إلى الناس، ليكونوا على بصيرة مما يعملون، فلا يهملون إلا ما يوجب الإهمال.

فصل في إظهار العذر

قال الله تعالى حكاية عن هارون: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[الأعراف:١٥٠]، وقال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[الكهف:٧٦].

فصل في الاعتذار من التقصير

قال الله تعالى: ﴿لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣] .

الاعتذار من التقصير/ فيه تطييب لقلب من قصر في حقه. (ق ٦٦-ب)

فصل في إجمال العتب

قال الله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[يوسف:٨٩]، وقال: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ [التحريم:٩].

---

(١)رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧) عن أبي موسى مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠) عن ابن مسعود مرفوعًا.

أعرض عليه السلام عن بعض ما أفشت به من سره تكرمًا، فإن الكريم لا يستقصي، وعذر يوسف إخوته بجهالتهم جهل اكتساب.

فصل في البشارة بالأمن وتسكين الخائف

قال شعيب لموسى عليه: ﴿لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:٢٥]، وقال: ﴿قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[هود:٧]، ولما ركب ﷺ فرس أبي طلحة ثم رجع قال: لن تراعوا»[1].

بشارة الخائف وتطمينه ضرب من الإحسان.

فصل في السلام على الحاضرين والغائبين

قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[النمل:٥٩]، وقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾[الانعام:٥٤]، وقال: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور:٢٧]، وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[النور:٦١]، وقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:٧٩]، وقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الصافات:١٠٩]، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

التسليم دعاء بالسلامة من الشرور والآثام، وهي من أفضل ما يرام.

فصل في الترحيب في اللقاء

«لما أسري برسول الله ﷺ قال له آدم وإبراهيم: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، وقال له موسى وعيسى وإدريس: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح»[2].

---

(١)رواه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) عن أنس مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر مرفوعًا، ورواه البخاري أيضًا (٣٥٠)، ومسلم (١٦٤) عن مالك بن صعصعة مرفوعًا.

وقال لفاطمة: «مرحبًا يا ابنتي»(١)، وقال لأم هانئ: «مرحبًا يا أم هانئ»(٢)، وقال لوفد عبد القيس: «مرحبًا بالوفد»(٣).

الترحيب إكرامٌ وبرٌّ وإحسان وبسط.

فصل في الرفق في رد السائل

قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة:٢٦٣]، وقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ [الاسراء:٢٨]، / وقال: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾[الضحى:١٠]. (ق ٦٧-أ)

السائل منكسر بالفقر وذل السؤال، فإذا ضممت إلى ذلك سوء الرد تضاعف كسره، فإن لم تحسن إليه بالبذل، فلا أقل من حسن الرد.

فصل في الأدب في طلب الصحبة

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦].

الأدب فيما يطلب من الأكابر من صحبة وغيرها توقير لهم واحترام، وقد أُمرنا بتوقير الأكابر في الأسنان، فما الظن بتوقير الأكابر في الأديان؟

فصل في الاستثناء في غير الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقولَنَّ لشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ [الكهف:٢٣،٢٤]، وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات:١٠٢]، وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا﴾[الكهف:٦٩]، وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص:٢٧].

---

(١)رواه البخاري (٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠) عن عائشة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) عن أم هانئ مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧) عن ابن عباس مرفوعًا.

وقال: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[الكهف:٣٩]، وقال ﷺ: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»(١).

الاستثناء في غير الدعاء توحيد وتفويض إلى الله، وبراءة من الحول والقوة.

فصل في الاسترجاع

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٥،١٥٦].

قولهم ذلك اعتراف بذل العبودية وبقهر الربوبية، لقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: ملكه، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي إلى حكمه وتصرفه راجعون.

فصل في إجابة داعي الحاكم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[النور:٥١].

من حسن الطواعية قول المدعو سمعت وأطعت.

فصل في إظهار الجلد للكفار

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لاَ ضَيْرَ﴾[الشعراء:٥٠]، وقال: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[طه:٧٢]، وقال: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾[هود:٥٤،٥٥]، وقال: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً

---

(١)رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه البخاري أيضًا (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨) عن أنس مرفوعًا..

ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ﴾[يونس:٧١] / ، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنْظِرُونِ﴾[الاعراف:١٩٥]. (ق ٦٧-ب)

إظهار الجلد نوع من الجهاد ومراغمة الأعداء.

فصل في إظهار عداوة الكفار

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٤].

فصل في مجاهدة الكفار بالتبري

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[الزخرف:٢٦]، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الانعام:٧٨]، وقال: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ [الممتحنة:٤].

فصل في الغلظ على المنافقين والكفار

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:٧٣، والتحريم:٩]، وقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:١٢٣].

فصل في احتقار الكفار

قال نوح: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾[هود:٣٨]، قال ذلك وهو يصنع السفينة، وذلك في آخر عمره، ونفاد من أمره ويأس من قومه، وقال إبراهيم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾[الانبياء:٦٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾[الفرقان:٧٧]، وقال ﷺ لابن صياد: «اخسأ فلن تعدو قدرك»[1]، وقال لبني

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) عن ابن عمر، ورواه مسلم (٢٩٢٤) عن ابن مسعود مرفوعًا.

قريظة: «يا إخوان القردة والخنازير»[١] وقال أبوبكر - رضي الله عنه - لعروة بن مسعود الثقفي: «امصص بظر اللات»[٢].

احتقار الكفار والاستهانة بهم والسخرية إذا ظهر منهم العناد والإصرار، فحينئذ يحق بهم ما يستوجبون من الشتم والإزراء والذم والاحتقار.

فصل في مداراة الكفار عند الخوف

قال الله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[آل عمران:٢٨]، وقال: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦].

فصل في الإحسان بالكذب للمصلحة والإصلاح

قال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيقول خيرًا، وينمي خيرًا»[٣]، وأرخص في كذب كل واحد من الزوجين لصاحبه[٤] فيما يتعلق بالإصلاح بينهما، ولو حقن الإنسان بكذبه دم نبي أو ولي أو مسلم أو ماله أو حلف على ذلك، فحلف كاذبًا لكان محسنًا / ، ولا بأس بشيء من ذلك، ويجب الكذب فيما فيه عصمة مسلم (ق ٦٨-أ) أو عصمة ماله، لا من جهة كونه كذبًا؛ بل من جهة كونه عاصمًا فيترتب أجر العصمة على كونه عاصمًا، ويزول وزر الكذب؛ لأنه صار وسيلة إلى العاصم، وقد يثاب عليه إن جعلنا لجميع المقاصد أحكام الوسائل.

فصل في الغيبة للمصلحة

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ

---

(١) رواه الحاكم (٣/٣٤-٣٥)، والبيهقي (٨/٤-١٠) عن عائشة، وقال الحاكم: حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤)تقدم تخريجه أيضًا.

فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[يوسف:٥]، وقال ﷺ في رجل استأذن عليه: «بئس ابن العشيرة — أو رجل العشيرة — فلما دخل أكرمه ﷺ، فسألته عائشة عن ذلك، فقال: إن من شر الناس من حذره الناس، وخافوا اتقاء فحشه»[١].

ذكر ذلك تحذيرًا منه، كما ذكر ذلك يعقوب؛ تحذيرًا ليوسف من كيد إخوته، وكذلك قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس — لما استشارته في نكاح معاوية وأبي الجهم — فقال: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فإنه ضراب للنساء»[٢]، حذرها من تضررها بفقر معاوية، وضرب أبي الجهم.

فصل في النميمة للصلح

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[القصص:٢٠]، ونم ابن مسعود إلى رسول الله ﷺ بقول من قال: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله[٣]، ونم إليه زيد بن أرقم بقول عبدالله بن أُبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل[٤]، فلم ينكر على واحد منهما؛ لما في ذلك من نصح رسول الله ﷺ وتعريفه بأعدائه ليحذرهم.

فصل في مدح من لا تخشى فتنته

قال ﷺ بحضرة أبي بكر: «إن أَمَنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام، وقال: لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»[٥]، وقال بحضرته: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذب، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله»[٦]، / وقال لأبي عبيدة: «هذا (ق ٦٨-ب)

---

(١)رواه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) عن عائشة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٣١٥٠).

(٤)رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٥)رواه البخاري (٤٦٦ ، ٤٦٧)، ومسلم (٢٣٨٢) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٣٦٦١) عن أبي الدرداء مرفوعًا.

أمين هذه الأمة»[(١)]، وقال لأهل اليمن: «لأبعثن إليكم أمينًا حق أمين»[(٢)]، وقال لعمر: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك»[(٣)]، وقال في علي: «لأعطين الراية غدًا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»[(٤)].

مدح من لا يفتن إحسان وتسكين لنفس المؤمن بحثِّه على الإكثار من الخير الذي مُدح عليه، فإنه ﷺ قال: «أنتم شهداء الله في الأرض»[(٥)]، فإذا سمع الرجل مدحه ممن يعتبر مدحه، سكنت نفسه إلى وعد الله واطمأن قلبه بقول رسول الله ﷺ، ولا سيما مدح رسول الله ﷺ لعمر وأبي عبيدة وعلي وأبي بكر - رضي الله عنهم -.

فصل في بسط العذر

قال الله تعالى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[الكهف:٧٦].

بسط الأعذار من شيم الأبرار، وهو بر وإحسان.

فصل في المدح بالظن

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[القصص:٢٦].

---

(١)رواه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠) عن حذيفة مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦ ، ٢٣٩٧) عن سعد بن أبي وقاص، وعن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) رواه البخاري (٢٩٤٢ ، ٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٦ ، ٢٤٠٧) عن سهل بن سعد، وعن سلمة بن الأكوع أيضًا مرفوعًا، ورواه مسلم (٢٤٠٤ ، ٢٤٠٥) عن سعد بن أبي وقاص، وعن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

فصل في الاعتراف بالإساءة

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[يوسف:٩١]، وقال: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[يوسف:٩٧].

في الاعتراف بالإساءة تسكين لغضب المظلوم وتقريب للعفو.

فصل في إحسان الكلام

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:٨٣]، وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الاسراء:٥٣]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[الاسراء:٢٣]، وقال: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾[طه:٤٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[الاحزاب:٧٠]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾[البقرة:١٠٤]، نهاهم الله عنها لما فيها من الإيهام، وقال ﷺ: «تصدقوا ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»[١]، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢].

إحسان الكلام سبب للتحاب والتآلف وزوال الأحقاد، ومجاملة للعدو/ حتى يصير كأنه ولي حميم. (ق ٦٩-أ)

فصل في الإحسان بالفتيا

نفع الفتيا عام لكل سائل عن حكم سري متعلق بدين أو دنيا، والتصدي لذلك هَمٌّ بهذا النوع من الإحسان، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وتتفاوت فضائل الفتيا بتفاوت فضائل المستفتى عنه؛ لأنها وسيلة إليه لدلالتها عليه، ومن دعا إلى هدى كان له مثل أجر عامله.

فصل في استفتاء العلماء

قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[النحل:٤٣،وسورة الانبياء:٧]، وقال:

---

(١)رواه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٠٣٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)تقدم تخريجه.

﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾[يونس:٩٤]، وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾[الزخرف:٤٥].

السؤال عن العلم الشرعي شرف وزين، وسؤال ما زاد على الكفاف الدنيوي سرف وشر.

فصل في الصدق

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]، وقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[الاحزاب:٢٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة:١١٩]، وقال ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عن الله صديقًا»[١].



(١)رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) عن ابن مسعود مرفوعًا.

الباب الثالث عشر
في الإحسان بالدعاء القاصر والمتعدي

وفيه فصول:

يشرف الدعاء بشرف المدعو به، فأفضل الدعوات ما كـــان مطلوبهـــا أفضـــل الطلبات.

فصل في الدعاء بالإسلام والهدى

قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، وقـــال إبـــراهيم: ﴿رَبَّنَـــا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[البقرة:١٢٨]، وقال ﷺ: «اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك»[(١)]، اللهم اهدني فيمن هديت»[(٢)].

فصل في الدعاء بالموت على الإسلام واللحاق بأهل الصلاح

قال الله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف:١٠١]، وقال: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الاعراف:١٢٦]، وقال: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣].

فصل في الدعاء بالثبوت على الإسلام

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨]، وكـــان / ﷺ (ق ٦٩-ب)

---

(١)رواه مسلم (٧٧٠) عن عائشة مرفوعًا.

(٢)رواه الإمام أحمد (١/١٩٩-٢٠٠)، وأبو داود (١٤٢٥ ، ١٤٢٦)، والنســائي (٣/٢٠٨)، وابن ماجة (١١٧٨)، والحاكم (٣/١٧٢)، والترمذي (٤٦٤)، والبيهقـــي (٢/٢٠٩-٢١٠) عن الحسن بن علي - رضي الله عنه - وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

يقول: يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك»[1].

فصل في الدعاء بالإجارة من النار

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾[الفرقان:٦٥]، وقال: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة:٢٠١،وآل عمران:١٦].

فصل في الدعاء بالإمامة في الدين

قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤]، وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[الشعراء:٨٤]، أي: ثناء حسنًا؛ ليُقتدى بي.

فصل في الدعاء بالملك للعدل والإحسان

قال الله تعالى حكاية عن سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾[ص:٣٥].

فصل في الدعاء بالقبول

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧].

فصل في الدعاء بالتوبة وتعريف الشعائر

قال الله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾[البقرة:١٢٨].

---

(١)رواه الإمام أحمد (١٨٢/٤)، وابن ماجة (١٩٩)، وابن أبي عاصم (٢٣٠)، وصححه ابن حبان (٢٤١٩)، والحاكم (٢٨٩/٢، ٣٢١/٤) عن النواس بن سمعان مرفوعًا، ورواه الإمام أحمد (٩١/٦) (٢٩٤/٦، ٣٠٢، ٣١٥)، وابن أبي عاصم (١٠٤/١ ٢٣٢، ٢٣٣)، والترمذي (٣٥٢٢) عن عائشة وعن أم سلمة مرفوعًا، ورواه أيضًا الإمام أحمد (١١٢/٣، ٢٥٧)، والترمذي (٢١٤٠)، وابن أبي عاصم (٢٢٥)، وابن ماجة (٣٨٣٤) عن أنس الترمذي حديث صحيح حسن.

فصل في الدعاء بصلاح الدارين

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّـــارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، وقال موسى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ﴾ [الاعراف:١٥٦].

فصل في الدعاء بالمغفرة والرحمة

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾[الاعراف:١٥١]، قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص:١٦]، وقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِــرْ لَنَـــا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾[آل عمران:١٤٧]، وقال: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً﴾[آل عمران:٨].

فصل في الدعاء بالصبر

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الاعراف:١٢٦]، وقـــال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾[البقرة:٢٥٠].

فصل في الدعاء بالثبوت في القتال

قال الله تعال: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمـــران:١٤٧]، وقال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [البقرة:٢٥٠].

فصل في الدعاء بالنصر على الأعداء

قال الله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٨٦]، وقـــال: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[العنكبوت:٣٠]، وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُـــوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر:١٠].

فصل في إخفاء الدعاء والتضرع فيه إلى الله تعالى

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الاعراف:٥٥].

فصل في التعريض بالدعاء

قال الله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٣]، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص:٢٤]، وقال: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبيـــاء:٨٧]، وقال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

فصل في الدعاء بالولد الصالح

قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[مريم:٥،٦].

فصل في الدعاء بقبول الدعاء

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[ابراهيم:٤٠].

فصل في الدعاء بولاية المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر:١٠].

فصل في الدعاء بالنجاة من الظلمة

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصـــص:٣١]، وقال: ﴿وَنَجِّنَـــا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[يونس:٨٦].

فصل في الدعاء بثواب الآخرة وصرف خزيها

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَـــى رُسُـــلِكَ وَلاَ تُخْزِنَـــا يَـــوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران:١٩٤].

فصل في الدعاء بالعفو والتكفير

قال الله تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾[آل عمران:١٩٣]، وقـــال: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا﴾[البقرة:٢٨٦].

فصل في الدعاء بالرزق

قال الله تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[المائدة:١١٤]، وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْـــدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾[العنكبوت:١٧].

فصل في الدعاء بوقاية الكفر

قال الله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[ابراهيم:٣٥].

فصل

في الدعاء بأن لا يفتتن بك أحد

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[يونس:٨٥].

فصل في الدعاء بوقاية الجهل والمعصية

قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة:٦٧]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾[يوسف:٧٩]، وقال عليه السلام: «أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل عليَّ».

فصل في الدعاء بوقاية شر كل ذي شر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق:١،٢].

فصل في الوقاية من شر الوسوسة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِن شَرِّ الْوَسْـــوَاسِ﴾[الناس:١-٤].

فصل في الاستعاذة عند القراءة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨]، أمر بذلك؛ لئلا يحرف عليهم الشيطان معاني القرآن.

فصل في الاستعاذة عند الغضب

(ق ٧٠-أ) قال الله تعالى: / ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الاعراف:٢٠٠]، وقال ﷺ في رجل غضب حتى احمرت عيناه وانتفخت أوداجه: إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[1].

وذلك دفع لنزغ الشيطان بالالتجاء إلى الرحمن.

فصل في الاستعاذة من همزات الشياطين وحضورهم

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمن:٩٧،٩٨].

فصل في الدعاء بالخلاص من عذاب الظلمة

قال الله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[المؤمنون:٩٣،٩٤]، وقال: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١١٨].

فصل في الدعاء رغبة ورهبة

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الانبياء:٩٠].

أمر الداعي بالرغبة والرهبة ليكون على خوف ورجاء إظهارًا لذل العبودية.

فصل في الدعاء بأنواع الشكر

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾[الاحقاف:١٥].

من أفضل ما دعي به الشكر على النعم والعمل الصالح.

---

(١)رواه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠) عن سليمان بن صرد مرفوعًا.

فصل في الدعاء بالسقيا

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾[البقرة:٦٠]، واستسقى رسول الله ﷺ واستحصى.

فصل في الدعاء بفراق الفجرة

قال الله تعالى: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[المائدة:٢٥]، فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأن جليس السوء كصاحب الكير.

فصل في الاستعاذة من الظلمة

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[الدخان:٢٠]. وقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[غافر:٢٧].

طلب الخيور كلها والاستعاذة من الشرور بأسرها، مسبب عن معرفة أن الخير كله بيد الله، والله على كل شيء قدير.

فصل في الاستعاذة من طلب ما يجهل

قال الله تعالى حكاية عن نوح: ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود:٤٧].

فصل في الدعاء بالحكم

قال الله تعالى:/ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[الشعراء:٨٣]. (ق ٧١-أ)

فصل في الدعاء بالجنة

قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[الشعراء:٨٥]، وقال ﷺ: «أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل»(١).

---

(١)رواه الإمام أحمد (٦/١٣٣، ١٤٦، ١٤٧)، والبخاري (٦٣٩)، وابن ماجة (٣٧٦٤)، والحاكم (١/٥٢١) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في الدعاء بشرح الصدور وتيسير الأمر

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[طه:٢٥،٢٦].

فصل في الدعاء بكشف الضر

قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢].

فصل في الدعاء بصرف ما لا يطاق

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[البقرة:٢٨٦].

فصل في الدعاء بالعافية

قال ﷺ: «اللهم إني أسألك العافية»[١].

فصل في الدعاء بالغنى عن الناس

قال عليه السلام: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[٢].

فصل في الاستعاذة من الشرور

استعاذ عليه السلام «من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يُستجاب لها»[٣]، «ومن سوء القضاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، وجهد البلاء»[٤]، «ومن الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وضلع الدين، وغلبة الرجال»[٥]، «ومن زوال النعمة، وتحول العافية، وفجأة النقمة، وجميع

---

(١)حديث صحيح (٢٧١٢).

(٢)رواه مسلم (٢٧٢١) عن ابن مسعود مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٦٣٦٩) عن أنس مرفوعًا.

السخط»[1]، «ومن شر ما عمل وشر ما لم يعمل»[2]، «ومن فتنة الدنيا، وعذاب القبر، وفتنة الصدر، وشتات الأمر، وأرذل العمر، والفقر، ومن شر كل ذي شـــر، ومـــن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير»[3]، «ومن الجوع؛ فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة؛ فإنها بئست البطانة»[4]، «ومن شر الصنيع بقوله: أعوذ بك مـــن شـــر مـــا صنعت»[5]، والخيور المدعو بها كثيرة.

ويجوز الدعاء بكل واجب ومندوب ومباح، ولا يجوز بمحظور، وفي المكروه نظر، ولا يُدعا بخوارق العادات.

فصل في الدعاء للأبوين

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الاســـراء:٢٤]، وقـــال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[نوح:٢٨].

(ق ٧١-ب) الدعاء إحسان للمدعو له، وبشرفه تشرف الدعوة، / فالدعاء بالطاعة والعرفـــان والمحبة والإيمان أفضل من كل دعاء.

فصل في الدعاء للأولاد والأزواج

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُـــرَّةَ أَعْـــيُنٍ﴾[الفرقـــان:٧٤]، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي من لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران:٣٨]، وقال: ﴿وَاجْعَلْـــهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم:٦]، وقال: ﴿إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

---

(١)رواه مسلم (٢٧٣٩) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٧١٦) عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعًا.

(٣)رواه الإمام أحمد (٤١٩/٣)، وابن عبد البر (٤١٥/٣-٤١٦)، وأبو نعيم (٤٦٣٦، ٤٧٣٧) عن عبد الرحمن بن خنبش.

(٤)رواه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (٢٦٣/٨)، وابن ماجة (٣٣٥٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٦٣٠٦) عن شداد بن أوس مرفوعًا.

فصل في الدعاء للإخوة والذرية

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِـــكَ﴾[الاعــراف:١٥١]، وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْـــدُدْ بِـــهِ أَزْرِي﴾[طــه:٢٩-٣٠]، وقال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾[الشعراء:١٣]، وقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[البقرة:١٢٩]، وقال: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِـــدَةً مِّـــنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْـــكُرُونَ﴾[ابــراهيم:٣٧]، وقـــال: ﴿وَأَصْلِحْ لِـــي فِـــي ذُرِّيَّتِـــي﴾[الاحقـــاف:١٠]، وقـــال: ﴿رَبِّ هَـــبْ لِـــي مِـــنَ الصَّالِحِينَ﴾[الصافات:١٠٠].

فصل في الدعاء للسلف

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[الحشر:١٠]، قالت: عائشة: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم.

الاستغفار للأموات إحسان إليهم، إذ لا يمكن الإحسان إلى الميت إلا بصـــدقةٍ أو بدعاءٍ أو نشر علمٍ.

فصل في الدعاء للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُـــؤْمِنِينَ يَـــوْمَ يَقُـــومُ الْحِسَـــابُ﴾[ابراهيم:٤٠]، وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِـــيَ مُؤْمِنًـــا وَلِلْمُـــؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:٢٨]، وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩]، وقال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَـــا وَأَنـــتَ خَيْـــرُ الْغَـــافِرِينَ﴾[الاعــراف:١٥٥]، وقال: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِـــنَ الْقَـــوْمِ الْكَـــافِرِينَ﴾[يونس:٨٦، ٨٥]، وقال: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُـــؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١١٨]، وقال: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا..﴾[البقـــرة:٢٨٦ الآية]،وقال: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨]، وقال: ﴿فَـــاغْفِرْ لَنَـــا ذُنُوبَنَـــا وَكَفِّـــرْ

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْـرَارِ﴾ [آل عمـران:١٩٣]، وقـال: ﴿اهْـدِنَا الصِّـرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

فصل في الدعاء للمسيء

قال الله تعالى: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُـمْ﴾[يوسـف:٩٢]، قـال: / ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[يوسف:٩٨]، و«حكى ﷺ أن نبيًا شجه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(١). (ق ٧٢-أ)

فصل في الدعاء للميت قبل الدفن

«دعا رسول الله ﷺ لأبي سلمة لما دخل عليه وهو ميت فقال: اللهم ارفع درجته في عليين، واخلفه في عقبه الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين»(٢).

فصل في الدعاء للميت بعد الدفن

أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار للميت عقيب الدفن وأن يدعى له بالتثبيت(٣).

فصل في الدعاء في زيارة الميت

لما زار النبي ﷺ البقيع قال: «اللهم اغفر لأهل البقيع بقيع الغرقد»(٤)، وقال عليه السلام: «أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، نسأل الله لنا ولكم العافية»(٥).

فصل في الدعاء للكفرة بالهداية

قال عليه السلام: «اللهم اهد دوسًا وائت بهم»(٦)، «وإذا عطس الكتابي دعا له بالهداية

---

(١)رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) عن عبدالله بن مسعود مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٩٢٠) عن أم سلمة مرفوعًا.

(٣)رواه أبو داود (٣٢٢١)، والبزار (٤٤٥)، وعبدالله بن أحمد (١/٦٣/٦٤)، والحاكم (١/٣٧٠) عن عثمان بن عفان، وقال أبو عيسى حديث صحيح.

(٤)رواه مسلم (٩٧٤) عن عائشة مرفوعًا.

(٥)رواه مسلم (٩٧٥)، والنسائي (٤/٩٤) عن بريدة مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤)، عن أبي هريرة مرفوعًا.

فقال: يهديكم الله» [١]، وقال بعض الأنبياء: «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون» [٢].

فصل في الدعاء للمضيف

دعا ﷺ لقوم أكل عندهم فقال: «اللهم بارك لهم فيما رزقهم، واغفر لهم وارحمهم» [٣].

فصل في الدعاء للعاطس

إذا حمد العاطس ربه فالسنة أن يقال: «يرحمكم الله»، ويقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم» [٤].

فصل في الدعاء للمريض

«أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي، شفاء لا يغادر سقمًا» [٥].

فصل في الدعاء للغائب

«إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل» [٦].



(١) رواه الإمام أحمد (٤/٤٠٠، ٤١١)، والبخاري (٩٤٠)، وأبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩)، والنسائي (١٠٠٦١) عن أبي موسى الأشعري، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) عن عبدالله بن مسعود مرفوعًا.
(٣) رواه مسلم (٢٠٤٢) عن عبدالله بن بسر مرفوعًا.
(٤) رواه البخاري (٦٢٢٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٥) رواه البخاري (٥٧٤٣، ٥٧٤٤)، ومسلم (٢١٩١) عن عائشة مرفوعًا، ورواه البخاري أيضًا (٥٧٤٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا.
(٦) رواه مسلم (٢٧٣٢، ٢٧٣٣) عن أبي الدرداء مرفوعًا.

الباب الرابع عشر
في المناهي في الظاهر

وهي فعلية قولية قاصرة ومتعدية، وفيه فصول:-

فصل في الإساءة القاصرة

وهي أنواع: **الأول: التعرض لأذية الله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُـؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[الاحـزاب:٥٧] / ، وقال: سبني ابن آدم وما ينبغي له أن (ق ٧٢-ب) يسبني، وكذبني وما ينبغي أن يكذبني»[(١)].

الثاني: تخريب المساجد: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَـعَ مَسَـاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[البقرة:١١٤].

الثالث: التهاون بالصلاة: قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون:٤،٣]، وقال: ﴿أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾[مريم:٥٩].

الرابع: سوء الاستماع: قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[الانبياء:٣،٢].

الخامس: تقليد الجاهل: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[لقمان:٢١]، وقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَـى آثَـارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٢]، وقال: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة:١٠٤]، وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ [الانعام:١١٦] .

السادس: الجلوس في الطرقات: قال ﷺ: «إياكم والجلوس بالطرقات، قالوا: يا

---

(١)رواه البخاري (٣١٩٣، ٤٤٨٢) عن أبي هريرة، وعن ابن عباس أيضًا مرفوعًا.

رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم، فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١]، وروي: «حُسْن الكلام»[٢].

نهى عن الجلوس في الطرقات؛ لكثرة ما يشاهد فيها من المنكرات، ولأن الجلوس في الطرقات مُلهٍ عن الطاعات والمهمات.

السابع: مجالسة أهل الشر: مثل جليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة»[٣].

الثامن: الصور والكلاب في البيت: قال عليه السلام: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة»[٤]، ويروى: «ولا تماثيل»[٥].

التاسع: التصوير: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة»[٦].

العاشر: القزع: «نهى ﷺ عن القزع»[٧]، وهو: أن يحلق بعض رأس الصبي، ويترك بعض.

الحادي عشر: استصحاب الجرس والكلب: قال عليه السلام: «لا تقرب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس»[٨]، وقال/: «الجرس مزامير الشيطان»[٩]. (ق ٧٣-أ)

---

(١)رواه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢١٦١) عن أبي طلحة الأنصاري مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) عن أبي موسى مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٣٢٢٥، ٣٢٢٧)، ومسلم (٢١٠٦) عن أبي طلحة الأنصاري، وعن ابن عمر مرفوعًا، ورواه مسلم (٢١٠٥، ٢١١٢).
(٥)تقدم تخريجه.
(٦)رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠) عن ابن عباس مرفوعًا.
(٧)رواه البخاري (٥٩٢١)، ومسلم (٢١٢٠) عن ابن عمر مرفوعًا.
(٨)رواه مسلم (٢١١٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٩)رواه مسلم (٢١١٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الثاني عشر: اللعب بالنرد: «من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»[١].

الثالث عشر: بيع الخمر: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الخمر والتجارة فيها، وعن بيع الميتة والخنزير والأصنام»[٢].

الرابع عشر: كسب الحجام: قال عليه السلام: «شر الكسب كسب الحجام»[٣]، وقال: كسب الحجام خبيث»[٤].

الخبث يعبر به عن الكراهية كما يعبر به عن التحريم، والمراد بذلك في كسب الحجام كراهة أن يختار الحر الاكتساب به، ولو كان المراد بالخبث التحريم لما أعطى رسول الله ﷺ أجرة الحجام[٥]، وهذا كما وصف الثوم والبصل[٦] ولم يرد خبث التحريم.

الخامس عشر: رد الريحان: قال عليه السلام: «من عرض عليه الريحان فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل طيب الريح»[٧].

السادس عشر: البناء على القبور والجلوس عليها: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه»[٨]، وقال: لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر»[٩]، وقال: لا تصلوا إلى القبور»[١٠].

---

(١)رواه مسلم (٢٢٦٠) عن بريدة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٥٦٨/٤٠) عن رافع بن خديج مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (١٥٦٨/٤١) عن رافع بن خديج مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٥٦٩١)، ومسلم (١٢٠٢) عن ابن عباس مرفوعًا.

(٦)رواه مسلم (٥٦٥) عن أبي سعيد مرفوعًا.

(٧)رواه مسلم (٢٢٥٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٨)رواه مسلم (٩٧٠) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٩)رواه مسلم (٩٧١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(١٠)رواه مسلم (٩٧٢) عن أبي مرثد الغنوي مرفوعًا.

الموت حال كسر وتواضع، والبناء على القبور وتجصيصها منافٍ لذلك وتضييع للمال، والجلوس عليها احتقار لمن دفن فيها.

السابع عشر: الوصال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، وقال: فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون»(١).

الثامن عشر: قتل الرجل نفسه: قال الله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[النساء:٢٩]، وقال ﷺ: «من قتل نفسه بشيء عذب به»(٢).

التاسع عشر: التختم بالذهب: نهى رسول الله ﷺ: عن حلقة الذهب»(٣)، «ورأى في يد رجل خاتمًا من ذهب فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل: خذ خاتمك فانتفع به. فقال: لا، والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ»(٤).

العشرون: الأكل في الذهب والفضة: قال ﷺ:/ «إن الذي يأكل أو يشرب في أواني الفضة والذهب، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»(٥). (ق ٧٣-ب)

الأكل فيها سرف وخيلاء، ووسيلة إلى كسر قلوب الفقراء.

الحادي والعشرون: التنعم ولبس الحرير: كتب عمر إلى عتبة بن فرقد بأذربيجان: «يا عتبة بن فرقد إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا من كد أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير، إلا هكذا ورفع لنا ﷺ أصبعيه السبابة وضمهما»(٦)، و«كان لرسول الله ﷺ جبة طيالسة كسراونية، لها لِبْنة ديباج،

---

(١)رواه البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١١٠) عن ثابت بن الضحاك مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٢٠٨٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (٢٠٩٠) عن عبدالله بن عباس مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥) عن أم سلمة مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (٢٠٦٩/١٢)، ورواه البخاري (٥٨٢٨).

وفرجاها مكفوفان بالديباج»[١]، و«خطب عمر بالجابية وقال: نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع»[٢].

اعتياد الترفه والتنعم حامل على طلب ذلك والشغل عن الأهم.

النوع الثاني والعشرون: الإكثار من الفرش: قال ﷺ: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان»[٣].

إكثار الفرش من عمل الشيطان في حق من لم تكثر ضيافته.

الثالث والعشرون: ستر الجدران: «رجع رسول الله ﷺ من غزاة، فرأى نمطًا على باب عائشة فعرفت الكراهية في وجهه، فجذبها حتى هتكه - أو قطعه - وقال: إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين»[٤].

الرابع والعشرون: القدوم على الطاعون والفرار منه: قال ﷺ: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[٥].

نهى عن الفرار من الطاعون؛ لأن الفرار منه لا يخلص منه، فإن الطاعون إذا ظهر ببعض الأجساد فقد تحكم في باقيها؛ لأن سببه عفونة /الهواء وهي عامة فلا ينفع الفرار (ق ٧٤-أ)
بعد استحكامه، فيصير الفرار عنه خليًا من الفائدة.

فصل في الإساءة القولية والفعلية

وهي أنواع:

الأول: كذب الملوك وزنا الشيوخ وكبر الفقراء: الملك الكذاب والعائل

---

(١)رواه مسلم (٢٠٦٩/١٠) عن أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٠٦٩/١٥) عن سويد بن غفلة مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٢٠٨٤) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (٢١٠٧) عن عائشة مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨) عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا.

المستكبر والشيخ الزاني ممن لا يقبلهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، إنما عظمت ذنوب هؤلاء لضعف دواعيهم إلى معاصيهم؛ فإن الملك لا يحيد إلى الكذب، الشيخ لا تغلبه شهوته على الزنا، والعائل الفقير ليس عنده أسباب الكبر والطغيان.

الثاني: أذية الرسول ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾[الاحزاب:٥٣]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:٦١].

النوع الثالث: تعنت الرسل: قال الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾[البقرة:١٠٨]، وقال: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[النساء:١٥٣].

الرابع: سوء الأدب على الرسول ﷺ: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِه﴾[الحجرات:١]، وقال: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات:٢]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾[الاحزاب:٥٣].

سوء الأدب على الرسول ﷺ يحبط الأعمال لاحتقار ما عظم الله، وأي حرمة أكمل من حرمة رسل الله.

الخامس: أذية أولياء الله: قال الله: «من آذى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة»(١).

السادس: أذية الوالدين: قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾[الاسراء:٢٣]، وقال ﷺ: «أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين»(٢).

السابع: أذية المؤمنين: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[الاحزاب:٥٨].

---

(١)رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) عن أبي بكرة مرفوعًا.

/ **الثامن: أذية اليتيم**: قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾[الضحى:٩]، وقال: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾[النساء:٦]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[النساء:١٠]. (ق ٧٤-ب)

التاسع: أذية المتصدق عليه: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾[البقرة:٢٦٤].

العاشر: أذية الجار: قال عليه السلام: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[1].

النوع الحادي عشر: في المنة بالدين: قال الله تعالى: ﴿لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ﴾[الحجرات:١٧].

مثل من يمن بطاعته كمثل عبدٍ أحسن إليه مولاه فَمَنَّ على مولاه بإحسان مولاه إليه.

الثاني عشر: في مضارة الزوجات: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[الطلاق:٦]، وقال: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾[البقرة:٢٣١].

الثالث عشر: في مضارة الوالدين بالولد: قال الله تعالى: ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾[البقرة:٢٣٣].

الرابع عشر: في مضارة الكاتب والشاهد: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾[البقرة:٢٨٢].

الخامس عشر: في عسف الولاة: قال ﷺ: «من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاش من [مؤمنها][2]، ولا يفي لذي عهدها، فليس مني ولست منه»[3].

فكفى الأمير العسوف براءة رسول الله ﷺ منه وبراءته من رسول الله.

---

(١)رواه مسلم (٤٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)وأصلها مؤمنة منها.

(٣)رواه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

السادس عشر: في غش الوالي: قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»(١).

السابع عشر: في تقصير الولاة: قال ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا ثم لم يجهد لهم وينصح، فالجنة عليه حرام»(٢).

كل من قصر فيما وجب عليه فهو خائن، ولما كان تقصير الولاة عامًا لرعاياهم، كان إثمهم على قدر تقصيرهم العام، ومن غش رعيته كان عليه إثم كل واحد ممن غشه - فيما غشه فيه من أنواع الحقوق -، فويل للظالم لم يفرق ظلمه على الناس، ويجمع الله عقابه /عليه، وويل لمن حكمه الله في بلاده، فأفسد في الأرض بعد (ق ٧٥-أ) إصلاحها، وويل لمن طغى في البلاد فأكثر فيها الفساد، وويل لمن حكمه الله في عباده بحكم، فغير حكمه، أو قسم لعباده بقسم، فغير قسمه، أو حدَّ لهم حدودًا فتعداها بأن نقص من عقوبات الشرع أو زاد عليها، أو قدم من أخره الله أو أخر من قدمه الله، أو أخذ الأموال بغير حقها، أو صرفها إلى غير مستحقها، أو قصر في إقامة شعائر الله، أو أهمل عقوبات الله، ومن أحسن إلى رعيته بما أمره الله به كان له ثواب إحسانه - إلى كل واحد منهم - بقدر ما أحسن إليه، ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون.

الثامن عشر: في إفساد الولاة وقطيعة الأرحام: قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد:٢٢]، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[النساء:١]، و«قال الله للرحم: أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك»(٣).

التاسع عشر: في تباغض الولاة ورعاياهم: قال ﷺ: «شر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه،

---

(١)رواه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار مرفوعًا.
(٣)تقدم تخريجه.

فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة»[١].

بغضة الرعية للوالي دليل على أن الله يبغضه، كما جاء في الحديث: إذا أبغض الله عبدًا، نادى جبريلَ: إني أبغض فلانًا فابغضه، فيبغضه جبريل، ثم أهل السماء، ثم أهل الأرض»[٢] ولا عبرة ببغضة الإمام الخائن لرعيته؛ لأن الواحد والجمع القليل لا عبرة ببغضهم؛ إذ لا يخلو أحد من مبغض، والحديث يقتضي أن يقع البغضة من أهل الأرض دون الآحاد، والعبرة في ذلك ببغضة المؤمنين الأبرار لا ببغضة الكافرين والفجار، وكذلك الحب، فما أكثر من يبغض رسول الله ﷺ من الكفرة، وما أكثر من يبغض أبا بكر وعمر وعثمان من الفجرة، وقد قال ﷺ لأصحابه: «أنتم شهداء الله في الأرض»[٣] وليس/ الفجرة أهلا لأن يكونوا شهداء الله. (ق ٧٥-ب)

النوع العشرون: في القتال للأغراض الفاسدة: وقال ﷺ «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبه أو ينصر عصبة، فقُتل فقتلته جاهلية»[٤].

الحادي والعشرون: في مفارقة المسلمين وتفريقهم: قال ﷺ: «من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس من أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»[٥]، وقال: «إنه سيكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة - وهي جميع - فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»[٦]، وقال: «من أتاكم - وأمركم جميع على رجل واحد - وأراد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»[٧].

الثاني والعشرون: في التعريض لدم المسلم وماله وعرضه: قال ﷺ: «كل

---

(١)رواه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) عن أنس بن مالك مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة مرفوعًا، ورواه مسلم (١٨٥٠) عن جندب بن عبدالله مرفوعًا.
(٥)رواه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) عن عبدالله بن عباس مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (٥٩) عن عرفجة مرفوعًا.
(٧)رواه مسلم (٦٠) عن عرفجة أيضًا مرفوعًا.

المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، عرضه»[1]، ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»[2].

الثالث والعشرون: في الغش وحمل السلاح على المسلمين: قال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[3].

الرابع والعشرون: في إيثار الدنيا على الدين: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[الاعراف:١٧٦]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[الاعلى:١٦]، وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[الانسان:٢٧]، ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة:٢٠،٢١].

إيثار الدنيا على الآخرة تعظيم لما حقر الله، وتحقير لما عظمه.

الخامس والعشرون: في التفاخر والتكاثر: قال الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[التكاثر:١]، وقال: ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ﴾[الحديد:٢٠].

السادس والعشرون: في تبديل الوصايا: قال الله تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾[البقرة:١٨١].

السابع والعشرون: في اللدد وكثرة الخصام: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[البقرة:٢٠٤]، وقال ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد / الخصم»[4]. (ق ٧٦-أ)

من كثر منه اللدد والخصام، فإنه يخاصم في كل حق وباطل، ولعل مخاصمته في الباطل أكثر.

الثامن والعشرون: في معصية أئمة العدل: قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد

---

(١)رواه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (١٧٣٩، ١٧٤١، ١٧٤٢)، ومسلم (١٦٧٩، ١٢١٨) عن أبي بكرة، وعن ابن عباس، وعن ابن عمر، وعن جابر بن عبدالله أيضًا مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٠١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) عن عائشة مرفوعًا.

أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»(١).

طاعة الأمير الآمر بالعدل طاعة لله؛ إذ لا حَكم إلا الله.

التاسع والعشرون: في معصية الجائر فيما يأمر به من الحق: قال ﷺ: «ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعته»(٢)، وقال: «ومن نزع يدًا من طاعته، لقي الله يوم القيامة لا حجة له»(٣).

النوع الثلاثون: في الطاعة في المعصية: قال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٤)، وقال: «لا طاعة في معصية الله، الطاعة في المعروف»(٥).

الحادي والثلاثون: في الإعانة على المعصية: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢]، وقال: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾[القصص:٨٦]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[القصص:١٧]، وقال: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾[الفرقان:٥٥].

الثاني والثلاثون: في التفريط في الطاعة: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾. وقال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[الزمر:٥٦]، وقال: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨].

لا تفريط أقبح من التفريط في الطاعات، فتكون الحسرة على ذلك أعظم الحسرات.

الثالث والثلاثون: في إهمال الأعمال اعتمادًا على الأنساب: قال ﷺ: «يا

---

(١)رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة.

(٢)رواه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٨٥١) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٢٧٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) عن علي مرفوعًا.

معشـــر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا»[1].

الـــرابع والثلاثون: كتمان الشهادة: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[البقرة:٢٨٣]، كتمان الشهادة تضييع للحقوق.

(ق ٧٦-ب) **/الخـــامس والثلاثون: في كتمان ما أنزل الله:** قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَـــتَمَ شَـــهَادَةً عِـــنْدَهُ مِنَ اللّهِ﴾[البقرة:١٤٠]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِـــتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾[آل عمران:١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى...﴾[البقرة:١٥٩. الآية] .

كتمان ذلك وسيلة إلى تضييع أحكام الله وما يتعلق بها من طاعته.

السادس والثلاثون: اللجج: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[المؤمنون:٧٥].

الســـابع والثلاثون: العمل بالظن المخالف للشرع: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[النساء:٩٤].

الثامن والثلاثون: التنطع: قال ﷺ: «هلك المتنطعون»[2].

التاســـع والثلاثون: إحداث السنن السيئة: قال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة ســـيئة، فعمـــل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»[3].

النوع الأربعون: نقض أيمان العهد: قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل:٩١].

---

(١)رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة.

(٢)رواه مسلم (٢٦٧٠) عن ابن مسعود مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبدالله مرفوعًا.

الحادي والأربعون: السحر: قال الله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾[البقرة:١٠٢]، وقد عدَّه ﷺ من الكبائر(١).

الثاني والأربعون: امتناع الكاتب من الكتابة، والشاهد من الشهادة: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ﴾[البقرة:٢٨٢]، ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾[البقرة:٢٨٢]، وقال: ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾[البقرة:٢٨٣].

الثالث والأربعون: قيل وقال: «نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات، ووأد البنات، وعقوق الأمهات»(٢).

الرابع والأربعون: التبرج وإظهار الزينة: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[الاحزاب:٣٣]، وقال: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾[النور:٣١] الآية.

التبرج وإظهار الزينة وسيلة إلى إفتان الفتيان/ وعصيان الديان. (ق ٧٧-أ)

الخامسة والأربعون: بخس الحقوق: قال الله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾[البقرة:٢٨٢]، وقال: ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[الاعراف:٨٥]، وقال: ﴿وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[الرحمن:٩]، وقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[المطففين:١]، وقال: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[الانبياء:٤٧].

السادس والأربعون: الشح والبخل: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:٩،التغابن:١٦]، وقال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾[محمد:٣٨]، وقال ﷺ: «وأي داء أدوى من البخل»(٣)، وقال: «إياكم والبخل والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(٤).

---

(١)رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة مرفوعًا.

(٣)تقدم تخريجه.

(٤)رواه مسلم (٢٥٧٨) عن جابر مرفوعًا.

والشح والبخل وسيلتان إلى منع الحقوق، وسفك الدماء، وقطع الأرحام.

السابع والأربعون: الجور واتباع الهوى في الحكم: قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا﴾[النساء:١٣٥]، وقال: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[ص:٢٦]، وقال: لنبينا ﷺ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[المائدة:٤٨].

الثامن والأربعون: كفر الإحسان: قال ﵇: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فسألته إحداهن عن ذلك؟ فقال ﵇: تكثرن اللعن وتكفرن العشير»[١].

التاسع والأربعون: السبب إلى شتم الأبوين: قال ﵇: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»[٢].

إذا كان السبب إلى شتم الأبوين من الكبائر فما الظن بسبهما؟ يجوز أن يكون قد جعل مجرد السبب إلى هذه الكبيرة كبيرة، ويجوز أن يكون قد جعله كبيرة؛ لما فيه من مباشرة سب الأجانب مع السبب إلى سب الأبوين.

النوع الخمسون: تكفير المسلم: قال ﵇: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»[٣].

فصل في الإساءة الفعلية

وهي أنواع:

---

(١)رواه مسلم (٧٩، ٨٠) عن ابن عمر، وعن أبي هريرة، ورواه البخاري (٣٠٤) عن أبي سعيد مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٦١٠٣، ٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) عن عبدالله بن عمر، وعن أبي هريرة مرفوعًا.

النوع الأول: هجر المسلم: قال ﷺ: «لا يحل لمسلم/ أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[١]. (ق ٧٧-ب)

الثاني: الإشارة بالسلاح: قال ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[٢].

الإشارة بالسلاح تغرير بالدماء ومخاطرة بها.

الثالث: كتابة الباطل وأخذ الأجرة عليها: قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[البقرة:٧٩]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة:٧٩].

كتابة الباطل ليعمل به حرام، وكتابته ليفهم فيرد عليه ويبطل توسل إلى إبطال الباطل.

النوع الرابع: إباق العبد: قال ﷺ: «أيما عبد أبق من مواليه، فقد كفر حتى يرجع إليهم»[٣].

الخامس: إيراد الممرض على المصح: قال ﷺ: «لا يرد ممرض على مصح»[٤].

السادس: تعريض مال المولى عليه للضياع: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[النساء:٥].

السابع: الدخول بغير إذن: قال الله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور:٢٧]، وقال: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[الاحزاب:٥٣].

الثامن: جلوس الضيف بعد الأكل: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ

---

(١)رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٦١٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٦٨) عن جرير بن عبدالله.

(٤)رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١) عن أبي هريرة.

ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾[الاحزاب:٥٣].

التاسع: إحصاء المال وإيعاؤه: قال ﷺ لأسماء: «أنفقي وانضحي، ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»[١].

النوع العاشر: الاحتكار وعنت الشريك والجار: «نهى ﷺ عن الاحتكار»[٢]، وأن يمنع الرجل جاره أن يغرز خشبة في جداره»[٣]، «ونهى عن بيع الشريك حتى [يؤذن][٤] شريكه»[٥].

الحادي عشر: المطل مع اليسار: قال ﷺ: «مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع»[٦].

الثاني عشر: الإخراج من الديار بغير حق: قال الله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[البقرة:٨٥].

الثالث عشر:/ تغيير المنار: قال ﷺ: «لعن الله من غير منار الأرض»[٧]. (ق ٧٨-أ)

الرابع عشر: غصب الحقير: قال ﷺ: «من غصب شبرًا من الأرض طوق من سبع أرضين»[٨]، «ومن اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم

---

(١)رواه البخاري (٢٥٩١)، ومسلم (١٠٢٩) عن أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (١٦٠٥) عن معمر بن عبدالله مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٢٤٦٣)، ومسلم (١٦٠٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)في الأصل: يؤدي.

(٥)رواه مسلم (١٦٠٨) عن جابر مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) عن أبي هريرة.

(٧)رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي مرفوعًا.

(٨)رواه البخاري (٢٤٥٢، ٢٤٥٣، ٢٤٥٤)، ومسلم (١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢) عن سعيد بن زيد، وعن عائشة وعن ابن عمر وعن أبي هريرة أيضًا مرفوعًا.

عليه الجنة. فقيل: يا رسول الله، وإن كان شيئًا يسيرًا؟ فقال: وإن قضيبًا من أراك»[(١)].

الخامس عشر: الخيانة: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الانفال:٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[الانفال:٥٨]، قال: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[النساء:١٠٧].

السادس عشر: التصدق بالمال الحرام: قال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»[(٢)].

السابع عشر: إخراج الرديء في الزكاة: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[البقرة:٢٦٧].

إخراج الرديء عما وجب بخس لحقوق للفقراء وسوء أدب على الرب، إذ يجعلون لله ما يكرهون، فإن أخرج الرديء في صدقة التطوع جاز لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧].

الثامن عشر: طرح الأذى في الطرقات: قال ﷺ: «اتقوا اللعانين. قيل: وما اللعانان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم»[(٣)].

التاسع عشر: الضحك من المؤمنين: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[المطففين:٢٩].

النوع العشرون: إظهار الكبر: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨].

الحادي والعشرون: طرد الفقراء: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الانعام:٥٢]، وقال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٤].

---

(١)رواه مسلم (١٣٧) عن أبي أمامة الحارثي مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٠٢٤) عن عبدالله بن عمر مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٢٦٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الثاني والعشرون: تقديم الغني الطالح على الفقير الصالح: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف:٢٨]، وقال: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[عبس: ٥، ٦]، ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[عبس:٨-١٠].

ما تصدى رسول الله ﷺ للأغنياء لأجل غناهم، بل رغبة وطمعًا في تأليفهم على الإسلام، والتقديم إنما هو بالأسباب المقربة من / الله، لا بالأسباب المبعدة منه، فمن قدم غنيا لغناه على فقيرٍ صالحٍ فقد احتقر ما عظم الله، وعظم ما احتقره الله. (ق ٧٨-ب)

الثالث والعشرون: زنا الجوارح: قال ؑ: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما السمع، واللسان زناه الكلام، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[(١)].

وصف هذه الأعضاء بالزنا؛ لأن أفعالها وسيلة إليه وسبب فيه، لأن السبب يقع عليه اسم المسبب تجوزًا.

الرابع والعشرون: الخلوة المحرمة: قال ؑ: «إياكم والدخول على النساء»[(٢)]، وقال: لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو رجلان»[(٣)].

الخامس والعشرون: النظر إلى العورات: قال ؑ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوبٍ واحدٍ، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[(٤)].

السادس والعشرون: اقتناء الكلاب: قال ؑ: «من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض نقص من أجره كل يوم قيراطان»[(٥)].

---

(١)رواه البخاري (٦٢٤٢)، مسلم (٢٦٥٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢) عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢١٧٣) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (٣٣٨) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٣٣٢٢، ٣٣٢٣، ٥٤٨٠)، ومسلم (١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦) عن أبي هريرة، وعن سفيان بن أبي زهير، وابن عمر أيضًا مرفوعًا.

اقتناء الكلاب محرم لما فيه من ترويع الضيف وابن السبيل.

السابع والعشرون: أذية الدواب: قال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلا»(١).

الثامن والعشرون: وسم وجوه الدواب: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه والوسم في الوجه»(٢)، و «رأى حمارًا قد وسم في وجهه فقال: لعن الله الذي وسمه»(٣).

النوع التاسع والعشرون: ضرب الوجه: قال ﷺ: «إذا ضرب أحدكم أخاه فلا يلطم الوجه»(٤).

النوع الثلاثون: صبر البهائم: «نهى رسول الله ﷺ عن صبر البهائم»(٥).

صبر البهائم: أن تربط وترمى بالسهام، وهو / حرام، لما فيه من تعذيبها وإفساد ماليتها. (ق ٧٩-أ)

الحادي والثلاثون: قتل النمل: قال ﷺ: «قرصت نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحِيَ إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح»(٦).

قتل النمل والنحل وغيرهما ظلم وإفساد، والله لا يحب الفساد.

فصل في الإساءة القولية

وهي أنواع:

---

(١)متفق عليه عن ابن عمر عند البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢)، ورواه مسلم (٢٢٤٣، ٢٠٢٣/٤، ٢٦١٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢١١٦) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢١١٧) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٥٥١٣، ٥٥١٤)، ومسلم (١٩٥٦، ١٩٥٨) عن أنس، وعن ابن عمر مرفوعًا، ورواه مسلم (١٩٥٩) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٣٠١٩)، ومسلم (٢٢٤١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

النوع الأول: سب المسلم: قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، ولعن المسلم كقتله»(١).

شبه لعن المسلم وقتاله بالكفر؛ تنفيرًا من لعنه وقتله.

الثاني: مشاحنة المسلم: قال ﷺ: «تعرض الأعمال على الله كل خميس واثنين، فيغفر الله في ذلك اليوم لكل مسلم لا يشرك بالله شيئًا إلا من كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أركوا هذين حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا»(٢).

شؤم المشاحنة مانع من غفر الذنوب.

الثالث: إفشاء الأسرار: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾[التحريم:٣].

الرابع: الرغبة عن الآباء والادعاء إلى غيرهم: قال ﷺ: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر»(٣)، «ومن ادعى إلى غير أبيه - وهو يعلم أنه غير أبيه - فالجنة حرام»(٤).

الخامس: الطعن في الأنساب: قال ﷺ: «اثنتان في أمتي – أو في الناس – هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»(٥).

السادس: المن وتنفيق السلع بالحلف: قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»(٦).

---

(١)رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) عن عبدالله بن مسعود مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٥٦٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٣٥٠٨، ٦٧٦٨)، ومسلم (٦١، ٦٢) عن أبي هريرة، وعن أبي ذر مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، ومسلم (٦٣) عن سعد بن أبي وقاص، وأبي بكرة مرفوعًا.
(٥)رواه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (١٠٦) عن أبي ذر مرفوعًا.

السابع: الهمز واللمز والنميمة وكثرة الحلف: قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:١]، وقال: ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١٠،١١] / ، وقال ﷺ: ((لا يدخل الجنة قتات))(١). (ق ٧٩-ب)

الثامن: الشفاعة فيما لا يجوز: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[النساء:٨٥]، وقال ﷺ لأسامة: ((أتشفع في حد من حدود الله))(٢).

التاسع: التناجي المؤذي: قال ﷺ: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه))(٣).

العاشر: التناجي بالمعاصي: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾[المجادلة:٩].

النوع الحادي عشر: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: قال الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء:٣٧،الحديد:٢٤].

الثاني عشر: السؤال عما يتوقع مساءته: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة:١٠١].

الثالث عشر: قول الزور: قال الله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج:٣٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[الفرقان:٧٢].

الرابع عشر: المجادلة عن الخائن: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥]، وقال: ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾[النساء:١٠٧].

الخامس عشر: استفتاء الجاهل: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾

---

(١)رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) عن حذيفة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤) عن ابن مسعود مرفوعًا.

أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢]، وقال ﷺ: «اتخذ الناس رءوسًا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[١].

استفتاء الجاهل سبب للجهل والضلال عن أحكام الله – عز وعلا –.

السادس عشر: الفتيا بغير علم: قال الله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩،الأعراف:٣٣] ، وقال ﷺ: «اتخذ الناس رءوسًا جهالا فسألوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٢].

السابع عشر: كثرة اللعن: قال ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة»[٣] / وقال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا»[٤]، وقيل له: «ادع على المشركين، فقال: إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة»[٥]. (ق ٨٠-أ)

الثامن عشر: السعي بالنميمة: قال ﷺ: «إن من شر الناس – عند الله – ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ»[٦].

النميمة إفساد بين الناس.

النوع التاسع عشر: بيع الماء والكلب: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الماء»[٧]، «وعن بيع فضل الماء ليمنع به الكلأ»[٨]،«وعن قتل الكلب»[٩]، «وعن

---

(١)رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)رواه مسلم (٢٥٩٨) عن أبي الدرداء مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (٢٥٩٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه مسلم (٢٥٩٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٧)رواه مسلم (١٥٦٥) عن جابر مرفوعًا.

(٨)رواه البخاري (٢٣٥٣)، ومسلم (١٥٦٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٩)رواه مسلم (١٥٧٢) عن جابر عبدالله مرفوعًا.

بيع الكلب»[(١)].

العشرون: كثرة الحلف في البيع: قال ﷺ: «إياكم وكثرة الحلف، فإنه ينفق ثم يمحق»[(٢)]، وقال: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للربح»[(٣)].

النوع الحادي والعشرون: شراء الصدقة والرجوع في الهبة اللازمة: قال ﷺ: «العائد في هبته كالعائد في قيئه»[(٤)]، و«حمل عمر على فرس عتيق في سبيل الله ثم وجده يُباع، فسأل رسول الله ﷺ عن شرائه فقال: لا تبتعه، ولا تعد في صدقتك، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه»[(٥)].

ما بذل لله، لا ينبغي أن تتبعه النفس بحال.

الثاني والعشرون: تعيير الزاني: قال ﷺ: «إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليحدها الحد ولا يُثرب عليها، ثم إن زنت فليحدها الحد ولا يثرب، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعرٍ»[(٦)].

لا يعير أحد من أرباب الذنوب، وكفى بعقوبات الشرع رادعة عن الذنب، واللوم للذنب لغير التائب على وجه النصح له لا بأس به، ولا يجوز لوم التائب.

الثالث والعشرون: مدح من يخشى فتنته: «مدح عند رسول الله ﷺ رجل فقال: لم مدحته؟ قطعت عنق صاحبك. قطعت عنق صاحبك — مرارًا — إذا كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا، إن كان

---

(١) رواه البخاري (٢٢٣٧، ٢٢٣٨)، ومسلم (١٥٦٧، ١٥٦٩) عن أبي مسعود الأنصاري، وعن أبي حذيفة، وعن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (١٠٦٧) عن أبي قتادة الأنصاري مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢٥٨٩)، ومسلم (١٦٢٢) عن ابن عباس مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (١٤٩٠) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٢١٥٢، ٢١٥٣)، ومسلم (١٧٠٣، ١٧٠٤) عن أبي هريرة، وعن زيد بن خالد مرفوعًا.

يعلم ذاك كذا وكذا»[١].

مدح من يخشى فتنته باعتماده على المدح.

الرابع والعشرون: وصف الشهداء بالموت: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ﴾[البقرة:١٥٤]، وصف الشهداء بالموت كذب، وفي النهي عنه ترغيب / في التعرض للشهادة. (ق ٨٠-ب)

النوع الخامس والعشرون: سب الحمى: «نهى رسول الله ﷺ عن سب الحمى؛ لأنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد»[٢]، لما كانت الحمى سببًا لتكفير الذنوب نهى عن سبها لما فيها من الفائدة، وعلى مساق هذا ينبغي أن لا يُسب شيء من المصائب الدنيوية؛ لأنها مكفرة للسيئات، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم.

السادس والعشرون: التألي على الله: قال ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر لفلان، وإن الله قال: من ذا الذي يتألى علي أني لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»[٣]، إنما أحبط عمله لإدلاله على ربه وتحكمه عليه، ودخوله بينه وبين عباده فيما لم يجعل إليه، من تألى على الله - وليس أهلا لذلك - فهو مدل على ربه بغير سبب، ومن تألى على الله مع قربه منه فلا بأس؛ فإن من عباده من لو أقسم على الله لأبره.

السابع والعشرون: تعليق الدعاء بالمشيئة: قال ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم إن شئت، ولكن يعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[٤]، إذا علق المدعو بمشيئة الله، فما دعاه بشيء مع كونه انتصب داعيًا فصار كاللاعب.

الثامن والعشرون: التسميع: قال ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به»[٥].

---

(١)رواه البخاري (٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠) عن أبي بكرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٥٧٥) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٦٢١) عن جندب بن عبدالله مرفوعًا.

(٤)تقدم تخريجه.

(٥)رواه البخاري (٦٤٩٩، ٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨، ٢٩٨٧) عن جندب بن عبدالله، وعن أبي تميمة، وعن ابن عباس مرفوعًا.

التسميع أن تعمل الطاعة مُخلَصة ثم تخبر بها؛ لحصول المنزلة عند الناس.

التاسع والعشرون: الفخر والخيلاء: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[النساء:٣٦]، وقال: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان:١٨].

النوع الثلاثون: الكلام بما لا يعرف قبحه من حسنه: قال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يدري ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[١].

ليس لأحدٍ أن يتكلم بكلمةٍ لا يعرف قبحها من حسنها.

الحادي والثلاثون: اعتقاد الرجل في نفسه: قال ﷺ: «إذ قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم»[٢]، من قال: هلك الناس مستثنيًا / نفسه من الهلاك فهو أهلكهم؛ (ق ٨١-أ) لإعجابه بنفسه واعتقاده أن لم يبق مثله.

الثاني والثلاثون: المبادرة بالحلف والشهادة: قال ﷺ: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعد قوم يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويحلفون ولا يُستحلفون، ويظهر فيهم السمن»[٣].

النوع الثالث والثلاثون: سب الصحابة: «كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال ﷺ: لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٤].

إذا قال ﷺ لخالد بن الوليد: «لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» فما الظن بمن يَسُبُّ الصحابة من القرون الخالفة؟

الرابع والثلاثون: تزكية النفس: قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾[النساء:٤٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ

---

(١)رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٦٢٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٢٦٥١، ٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٢، ٢٥٣٤، ٢٥٣٥) عن عمران بن حصين، وعن ابن مسعود، وعن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

﴿الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[المائدة:١٨].

الخامس والثلاثون: سب الدهر: قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»[١].

إنما سبوا الدهر؛ لأنهم نسبوا الأفعال إليه، فإذا سبوه لأنه فعل ما يسوءهم – وليس الفاعل لذلك إلا الله – فكأنهم سبوا الفاعل.

السادس والثلاثون: تسمية العنب الكرم: قال ﷺ: «لا يقولون أحدكم للعنب الكرم، فإن الكرم قلب المؤمن»[٢].

سمت العرب العنب الكرم؛ لأن الخمر توجب السخاء والكرم، فسموه بما تئول إليه مدحًا للخمر، وقد جعلها الله أم الخبائث، فمدح ما ذمه الله مخالفة وسوء أدب.

السابع والثلاثون: ما ينهى عنه من الأسماء: قال ﷺ: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»[٣]، وقال: «أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن»[٤]، «ونهى أن يسمى الرقيق بأفلح ورباح ويسار ونافع ونجيح»[٥] وقال: «إن أخنع[٦] الأسماء عند الله رجل (ق ٨١-ب)
تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله»[٧]، / وروي: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه؛ رجل كان يُسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله»[٨].

نهى ﷺ عن الجمع بين اسمه وكنيته توقيرًا له، ونهى عن الأسماء المذكورة خوف

---

(١)رواه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (١١٠، ٢١٢٠، ٣١١٤)، ومسلم (٢١٣١، ٢١٣٣، ٢١٣٤) عن أبي هريرة، وعن أنس بن مالك، وعن جابر بن عبدالله أيضًا مرفوعًا.
(٤)رواه مسلم (٢١٣٢) عن ابن عمر مرفوعًا.
(٥)رواه مسلم (٢١٣٦، ٢١٣٧) عن سَمُرة بن جندب مرفوعًا.
(٦)تقدم تخريجه.
(٧)رواه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٨)رواه مسلم (٢١/٢١٤٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

التشاؤم والتطير، بأن يقال: عندكم فلاح أو يسار؟ فيقال: لا. فيتطير المتطير بـذلك، فنهى عنه لكونه وسيلة إلى التطير، وكره التسمية بملك الأملاك؛ لما فيه من التكبر والتجبر والحمق والتعاظم، حتى تسمى من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا باسم لا يصلح إلا لرب الأرباب وملك الرقاب.

الثامن والثلاثون: نداء الرقيق بالعبد والأمة: قال ﷺ «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، ولا يقل العبد لسيده مولاي، فإن الله مولاكم»(١)، و«لا يقولن أحدكم اسقي ربك، أطعم ربك، ولا يقل أحدكم ربي، وليقل سيدي ومولاي»(٢).

نداء الرقيق بذلك تكبر وتعاظم، ونداؤهم بالرب والمولى تعظيم لا يليق بهم، ولا يُعظم أحد فوق قدره، ولا يُعظم أحد بالأسماء التي اختصت بالإله في العادة المطردة.

التاسع والثلاثون: القول البشع: قال ﷺ: «لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي»(٣).

الأربعون: قذف الرقيق: قال ﷺ: «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»(٤).

الحادي والأربعون: السجع بالباطل: «لما قضى رسول الله ﷺ على عاقلة الهذلية بغرة جنين، قال حمل بن النابغة: كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يُطل فقال ﷺ: إن هذا من إخوان الكهان»(٥)، من أجل سجعه لما تعجب في سجعه من الحق وأنكره واستبعده، جعله الرسول من إخوان الكهان؛ لأنهم يسجعون بالباطل في الأكثر.

---

(١)رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٢٤٩/١٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٦١٧٩، ٦١٨٠)، ومسلم (٢٢٥٠، ٢٢٥١) عن عائشة، وعن سهل بن حنيف مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٦٦٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(ق ٨٢-أ) **الــثاني والأربعون: الإلحاف في / المسألة والسؤال تكثرًا:** قال ﷺ: «من سأل الناس أموالهم تكثرًا فكأنما سأل جمرًا، فليستقل أو ليستكثر»[(١)]، وقال: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم»[(٢)]، وقال: «لا تلحوا في المســألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتخرج له مسألته مني شيئًا - وأنا كاره - فيبارك له فيما أعطيته»[(٣)]، و«بايع ﷺ جماعة من أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئًا . قــال عوف بن مالك : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه»[(٤)] وقال: «إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة؛ رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حــتى يصيب قوامًا من عيشٍ — أو سدادًا من عيشٍ — ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة. فحلت له المسألة حتى يصيب قــوامًا مــن عيش — أو قال: سدادًا من عيش — فما سواهن سحتًا يأكلها صاحبها سحتًا»[(٥)] من اعتاد السؤال زايل التوكل على الله، وتوكل على السؤال، والسائل مذل لنفســه بالســؤال، متعرض لأذية المسئول، فإن البخيل يكره بذل ما عنده، والسخي يخجل إذا سُئل ما ليس عنده، وقد يُسئل ما هو عنده مع حاجته إليه، وكل ما عز على الــناس بذله وعسر عليهم الجود به، فسؤاله أشد كراهة أو تحريمًا من سؤال المحقرات، وقــد يخف الشيء بحيث لا ينهى عن سؤاله، كالسؤال عن الطريق عن مترل الصديق، واســم الصــاحب والرفيق، وضابطه كل ما جرت العادة بسهولة بذله، و﴿استهان﴾ الطالب به، وسؤال ما تمس الحاجة إليه قد يجب، وكالسؤال عن أحكام الدين، وطلب المضطر الطعام، وقد يجوز عند مس الجوع، كما استطعم موسى والخضر عند الحاجة، ويَبْعُد في حق مثلهما كل البعد أن يسأل من غير حاجة ماسة.

---

(١)رواه مسلم (١٠٤١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (١٠٣٨) عن معاوية بن أبي سفيان مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (١٠٤٣) عن عوف بن مالك مرفوعًا .

(٥)رواه مسلم (١٠٤٤) عن قبيصة بن مخارق الهلالي مرفوعًا.

النوع الثالث والأربعون: الخيانة في المحقرات خاصة: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النساء:١٢٣]، وفي قوله:/ ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[الأنبياء:٤٩]، وفي قوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٨]، قال ﷺ: «من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطًا فما دونه كان غلولا يأتي به يوم القيامة»[١]، وقال: «من استعملنا على عمل فليأت بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى»[٢]. (ق ٨٢-ب)

الرابع والأربعون: سؤال المرأة طلاق ضرتها: قال ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفئ ما في صحفتها»[٣].

الخامس والأربعون: إضافة النعم إلى أسبابها دون المنعم بها: قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾[القصص:٧٨]، وقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾[الزمر:٤٩].

إضافة النعم إلى أسبابها جحدٌ لإنعام الله، وإضافة النعم إلى غيره ممن يعجز عنها، ولا بأس بإضافتها إلى الأسباب مع ملاحظة كونها أسبابًا، وأن المنعم بها هو الله وحده، فإننا قد أمرنا بشكر الأسباب أيضًا قال الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان:١٤].

السادس والأربعون: قول لو اعتمادًا على الأسباب: قال ﷺ: «فإن أعجزك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٤]، من قال لو اعتمادًا على الأسباب دون المسبب، فقد أشرك، ومن قال لو اعتمادًا على الله فقد وَحَّدَ، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران:١٥٤]، وقال: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾[الإسراء:١٠٠]، وقال ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت الهدي»[٥].

---

(١)رواه مسلم (١٨٣٣) عن عدي بن عميرة الكندي مرفوعًا.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)رواه البخاري (٢١٤٠)، ومسلم (١٤١٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (١٦٥)، ومسلم (١٢١٦) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

السابع والأربعون: منع فضل الماء والبيعة للدنيا وتنفيق السلع بالحلف الكاذب: قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلا [بسلعة بعد العصر][١] فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف»[٢].

النوع الثامن والأربعون: أنواع من الأذية والإضرار: قال الله تعالى: ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[الحجرات:١١]، ﴿وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾[الحجرات:١٢]، وقال / : ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحجرات:١٢]، ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ (ق ٨٣-أ) [الحجرات:١١] ، وقال ﷺ: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تناجشوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض »[٣]، «ولا يسم الرجل على سوم أخيه، ولا يخطب على خطبته»[٤].

اختلاف الجهال

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الاسراء:٣٦]، وقال: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا﴾[الانفال:٤٦]، ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾[آل عمران:١٠٥]. وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا»[٥].

فصل في الكذب

قال ﷺ: «إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا»[٦].

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢)رواه البخاري (٢٣٥٨)، ومسلم (١٠٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣، ٢٥٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٢١٤٠)، مسلم (١٤٠٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه البخاري (٥٠٦٠)، ومسلم (٢٦٦٧) عن جندب مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) عن ابن مسعود مرفوعًا.

فصل في الظلم

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[الفرقان:١٩]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢]، وقال ﷺ: «إياكم والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[١].

وقال: «إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[٢]، وقال ﷺ: «يقول الله: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرمًا بينكم، فلا تظالموا»[٣][٤].

فصل في الدعاء إلى الضلال

قال ﷺ: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيء»[٥].

فصل في الطيرة والتشاؤم

قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاثة: المرأة والفرس والدار»[٦].

---

(١)رواه الإمام أحمد (٣/٣٢٣)، ومسلم (٢٥٧٨) عن جابر بن عبدالله، ورواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر مرفوعًا.

(٤)روى البخاري في "صحيحه" (٩/٢٨)، وأحمد في "المسند" (٣/٩٩) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجل: يا رسول الله أنصره مظلومًا، أرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: تحجزه وتمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره".

وقال أبو حفص السمرقندي: "حُكي عن أبي ميسرة أنه قال: جاء منكر ونكير إلى رجل في قبره فقالوا: أما مررت برجل مظلوم فاستغاث فلم تغثه، فقال: إني رجل ضعيف عن مائة سوط فشفعا له فسومح بتسعة وتسعين سوطًا، وضرباه سوطًا واحدًا فامتلأ القبر عليه نارًا". النيل الحثيث في حكايات الأحاديث (ص١١٦) بتحقيقنا لأول مرة – ط دار الفجر – القاهرة.

(٥)رواه مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٦)رواه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٥) عن ابن عمر مرفوعًا.

نهى عن ذلك لما فيه من نسبة الآفات إلى أسبابها دون مسببها؛ ولا سبب للشؤم إلا في الثلاثة المذكورة.

فصل في طلب الولاية

قال ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسل، فإنك إن أُعطيتها عن مسألةٍ وكلت إليها، وأن أُعطيتها عن غير مسألةٍ أُعنت عليها»[1].

نهى عن طلب الولاية لما فيها من المخاطرة بالأديان، إذ لا يكاد أحد يسلم في ولايته، وهذا لمن لم يتعين عليه الولاية.

أنواع من النهي

«نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات ووأد البنات وعقوق /الأمهات»[2]. (ق ٨٣-أ)

نهى عن إضاعة المال، وهي: إتلافه في غير غرض صحيح يعتد به العقلاء، وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع، ونهى عن أن يكون الرجل مانعًا لماله إذا سُئل، سائلا للأموال الناسَ يقول: هات.

ووأد البنات: دفنهن أحياء.



---

(١)رواه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢) عن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا.

(٢)تقدم تخريجه.

الباب الخامس عشر

في المأمورات الظاهرة

وهي قولية وفعلية، قاصرة ومتعدية، وفيه فصول:

فصل في التقوى

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء:١٣١].

التقوى: فعل الواجبات وترك المحرمات، وهي وصية الله في الأولين والآخرين.

فصل في التمسك بالكتاب

قال الله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[الزخرف:٤٣]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[الاعراف:١٧٠]، وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الاعراف:٣].

فصل في الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود:١١٢]، وقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[الشورى:١٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الاحقاف:١٣].

فصل

في تقديم الزاد

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٣]، وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم

مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾[البقرة:١١٠]، وقال: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[الفجر:٢٤].

فصل في حفظ التكاليف

قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾[التوبة:١١٢]، وقال: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[ق:٣٢].

الاستقامة والتمسك بالكتاب وحفظ الحدود تعم ترك المنهيات وفعل المأمورات.

فصل في الاقتداء بأهل الحق

قال الله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام:٩٠]، وقال: ﴿اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[لقمان:١٥]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾[النحل:١٢٣]، وقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[الحج:٧٨]، وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الاحقاف:٣٥].

الاقتداء بأهل الحق عام في فعل الحسنات وترك السيئات.

فصل في إصلاح الأعمال وإحسانها

(ق ٨٤-أ) / قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[الكهف:٣٠]، وقال: ﴿وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٥٦]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت:٤٦، ق:١٣]، وقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤،الجاثية:١٥].

فصل في إجابة الله تعالى

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾[الشورى:٤٧]، قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[البقرة:١٨٦].

إجابة الله ورسوله عام في فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

فصل في إجابة الرسول

قال الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[الأنفال:٢٤]، وقال: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ

وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢].

فصل في متابعة رسول الله ﷺ

قال الله – عز وجل –: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الاعراف:١٥٨].

فصل في طاعة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النساء:٥٩]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:٥٤].

فصل في المسارعة إلى الخيرات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[الانبياء:٩٠]، وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آل عمران:١٣٣]، وقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[طه:٨٤]، وسئل ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة لأول وقتها»[1].

المسارعة إلى الخيرات عامة في جميع الطاعات، إلا ما ثبت استثناؤه.

فصل في المسابقة إلى الخيرات

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة:١٤٨،المائدة:٤٨]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الحديد:٢١]، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[فاطر:٣٢]، وقال: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[المؤمنون:٦١]، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[الواقعة:١٠].

فصل في فعل الخيرات

قال الله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج:٧٧]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧]، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

---

(١)رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) عن ابن مسعود مرفوعًا.

مُّحْضَرًا﴾[آل عمران: ٣٠].

فعل الخيرات شامل لأصناف الخيور القاصرة والمتعدية.

فصل في المسارعة إلى النصح في الأديان

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

(ق ٨٤-ب) إنما شرفت المسارعة إلى الطاعات، لأنها أحسن في الطواعية وامتثال الأمر/، ولما في المسارعة من أمن فوات الطاعات؛ فالمسارعة إلى أفضل الأعمال في أعلى رتب المسارعات، وكذلك ترتب المسارعات برتب فضائل الطاعات.

فصل في بذل الجهد في الطاعات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه﴾[آل عمران:١٠٢]، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِه﴾[الحج:٧٨]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

فصل في تحمل مشاق الطاعات

قال عليه السلام: «حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»[1].

ترك الشهوات لله، وتحمل المكاره لله، يوجب الثواب على قدر النصب والتعب في التحمل والترك.

فصل في المداومة على الطاعات

قال عليه السلام: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣) عن أبي هريرة، ورواه مسلم (٢٨٢٢) عن أنس ابن مالك مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في العمل بالأحسن

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف:١٤٥]، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[الزمر:١٧،١٨]، وقال: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[الزمر:٥٥]، وهذا عام لكل إحسان.

فصل في إحسان جميع الأعمال

قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، ويرح ذبيحته»[1].

كتب الإحسان في كل شيء حتى في قتل ما أمر بقتله، وذبح ما أمر بذبحه، ورجم ما أمر برجمه، فلا يجوز أن يرجم الزاني بحصا صغير إلى أن يموت لما في ذلك من تعذيبه، وأمر في ضرب الحدود بضرب بين ضربين، وسوط بين سوطين، في زمان بين زمانين.

فويل لقومٍ يتعدون حدود رب العالمين، وإذا بطشوا بطشوا جبارين، وقد نهت الشريعة عن ضرب الوجوه في العقوبات، وعن وسمها فيها إن احتجنا إلى السمات.

فصل في طاعة الرحمن على حسب الإمكان

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦]، وقال عليه السلام: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم»[2].

/ فصل في الاقتصاد في الأعمال (ق ٨٥-أ)

قال عليه السلام: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل»[3]، و«كان آل محمد إذا

---

(١)رواه مسلم (١٩٥٥) عن شداد بن أوس مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري: (٧٢٨٨)، ومسلم (٧٨٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة مرفوعًا.

عملوا عملا أثبتوه»[1]، وقال: ليصل أحدكم نشاطه، فإن كسل أو فتر فليقعد»[2]، وقال: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم»[3].

من تحمل مالا يطيق من الأعمال توصل إلى بغض الطاعات وملالها، ومن ملَّ طاعة مولاه عومل بمثل ذلك في الأجر والثواب.

فصل في الوفاء بعهد الله

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقرة:٤٠]، وقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:١٠].

الوفاء صدق، والصدق تخلق بصفة الخلاق، ومن كثر صدقه كتبه صديقًا.

فصل في الوفاء بعهود الناس

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[المؤمنون:٨،المعارج:٣٢]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[النحل:٩١].

فصل في الوفاء بالوعد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[مريم:٥٤].

فصل في الوفاء بالنذر

قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[الانسان:٧]، وقال: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[الحج:٢٩]، وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»[4].

---

(١)رواه مسلم (٧٨٢) عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٢١٢، ٢١٣)، ومسلم (٧٨٦) عن عائشة، وعن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٦٦٩٦) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في بيع الأموال والأنفس من ذي الجلال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾[الفتح:١٠]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾[التوبة:١١١].

بيع الأنفس والأموال من ذي الجلال أفضل التجارات، فيالها من صفقةٍ ما أربحها، ويا لها من مسعاة ما أنجحها.

فصل في سد ذرائع الشر

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ من دُون الله فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغَيْرِ علْمٍ﴾[الأنعام:١٠٨]، وقال: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بالْقَوْل فَيَطْمَعَ الَّذي في قَلْبه مَرَضٌ﴾[الأحزاب:٣٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبيُّ قُل لأَزْوَاجكَ وَبَنَاتكَ وَنسَاء الْمُؤْمنينَ يُدْنينَ عَلَيْهنَّ من جَلاَبيبهنَّ ذَلكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾[الأحزاب:٥٩].

/ فصل في حمد الله – عز وجل – (ق ٨٥-ب)

قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلَى عبَاده الَّذينَ اصْطَفَى﴾[النمل:٥٩]، وقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخذْ وَلَدًا﴾[الإسراء:١١١]، وقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[لقمان:٢٥].

فصل في التسبيح

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾[الإسراء:٩٣]، وقال: ﴿قُلْ هَذه سَبيلي أَدْعُو إلَى الله عَلَى بَصيرَة أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبْحَانَ الله﴾[يوسف:١٠٨]، وقال: ﴿فَسَبِّحْ باسْم رَبِّكَ الْعَظيم﴾[الواقعة:٧٤،٩٦،والحاقة:٥٢]، وقال: ﴿سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١] وقال: ﴿فَسَبِّحْ بحَمْد رَبِّكَ وَاسْتَغْفرْهُ إنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر:٣].

فصل في التهليل

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[التوبة:١٢٩]، وقال عليه السلام: «من

مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[1].

فصل في التكبير

قال الله تعالى: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[الحج:٣٧] وقال: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الاسراء:١١١].

فصل في تفويض الحول والقوة إلى الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [الكهف:٣٩]، وقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ﴾[هود:٨٨]، وقال: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾[النحل:٢٧]،وقال ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة»[2].

فصل في إكثار الذكر

قال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[الاحزاب:٤١]، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:١٥٢]، وقال ﷺ: «سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[3].

الذكر ذكران: ذكر الجنان، وذكر اللسان، وأفضلهما ذكر الجنان؛ لأنه المثمر للأحوال والمهابة والإجلال، وإذا بهر الجلال والجمال القلب خرس اللسان وصمت الجنان، و لم يبق إلا ملاحظة الديان، وقد أمرنا بذكر اللسان كما أمرنا بذكر الجنان.

فصل في شكر الله تعالى على كل حال

قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[البقرة:١٥٢]، وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾[سبأ:١٣]، وقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر:٧].

---

(١)رواه مسلم (٢٦) عن عثمان بن عفان مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري.

(٣)رواه مسلم (٢٦٧٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

يكون الشكر بالقلب واللسان وبجميع الطاعات؛ ولذلك قال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾[سبأ:١٣]، و «لما قام ﷺ حتى تورمت قدماه قيل له: أتكلف هذا وقد غفر لك/ ما تقدم من ذنبك؟ فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا»[١]، جعل الاجتهاد والنصب في قيام الليل من جملة الشكر[٢]. (ق ٨٦-أ)

---

(١)رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) عن المغيرة بن شعبة، ورواه البخاري أيضًا (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعًا.

(٢)قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: "اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين، وهو أيضًا ينتظم من علمٍ وحال وعمل.

فالعلم هو الأصل فيورث الحال، والحال يُورث العمل. فأما العلم: فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه.

والعمل: هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان، ولابد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر.

فالأصل الأول: العلم، وهو علم بثلاثة أمور: بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم ووجود صفاته التي يتمُ الإنعام منه عليه.

والأصل الثاني: الحال المستمدة من أصل المعرفة، وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضًا في نفسه شكر على تجرده، كما أن المعرفة شكر، ولكن إنما يكون شكرًا إذا كان حاويًا شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام.

الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم، وهذا العمل يتعلّق بالقلب واللسان والجوارح، أما بالقلب: فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق، وأما باللسان: فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما الجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته، والتوقّي من الاستعانة بها على معصيته، حتى أن شكر العينين، أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين: أن تستر كل عيب تسمعه فيه، فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى، وهو مأمور به.

فأما قول من قال: إن الشكر هو الاعتراف مع بعض أحوال القلب، وقول من قال: إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان، وقول القائل: إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة، جامع لأكثر معاني الشكر، لا يشذ منه إلا عمل اللسان.. (تهذيب الإحياء: ٤٣٢، ٤٣٣).

فصل في الشكر على الأكل

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾[سبأ:١٥]، وقال: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾[البقرة:١٧٢].

فصل في الشكر على الشرب

قال الله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾[الواقعة:٧٠].

فصل في الشكر على تسخير الفلك

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الجاثية:١٢].

فصل في الشكر على النعم على الآباء

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾[الاحقاف:١٥]، وأما قوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان:١٤]، فشكر الوالدين من فصول الإحسان إليهما.

فصل في إكثار الشكر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الاسراء:٣]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[ابراهيم:٥،ولقمان:٣١،وسبأ:١٩،والشورى:٣٣]، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣].

فصل في الشكر على الإدراك

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

فصل في موالاة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[المائدة:٥٥]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦].

فصل في موالاة المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[التوبة:٧١].

فصل في نصر الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ﴾[الصف:١٤].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[محمد:٧]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[الحج:٤٠]

أفضل النصر نصر الله؛ لأن النصر يفضل بشرف المنصور، ولا منصور أفضل من دين الله.

فصل في استماع القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الاعراف:٢٠٤]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧].

استماع القرآن أدب ثمرته فهم/ معانيه والعمل بموجبه. (ق ٨٦-ب)

فصل في ترتيل القراءة

قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل:٤]، و«كان ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول منها»[1]، و«كانت قراءته مقطعة حرفًا حرفًا»[1].

---

(١)رواه مسلم (٧٣٣) عن حفصة مرفوعًا.

فصل في البكاء لتلاوة القرآن

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[المائدة:٨٣]، وقال: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨]، وقال: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم:٦٠،٥٩]، وقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الاسراء:١٠٩].

أسباب البكاء خوف أو حزن أو محبة أو مهابة أو فرح أو شوق أو غير ذلك على قدر أحوال الباكي.

فصل في البكاء لذكر الله في الخلوات

بكاء الخلوة إما لحب الله، أو لخوفه، أو لإجلاله، فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٢).

فصل في البكاء في الصلوات

«كان ﷺ إذا صلى سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء»(٣).

فصل في البكاء لفوات القربات

قال الله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[التوبة:٩٢].

فصل في البكاء للاعتبار بمصارع العصاة

قال عليه السلام في ثمود: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين»(١).

---

(١)رواه الإمام أحمد (٣٠٢/٦، ٣٢٣)، وأبو داود (٣٧/٤) (٤٠٠١)، والترمذي (٢٩٢٧)، وابن خزيمة (٤٩٣)، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وليس إسناده بمتصل.

(٢)تقدم تخريجه.

(٣)رواه الإمام أحمد (٢٥/٤، ٢٦)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٣/٣)، والترمذي في الشمائل، وصححه ابن خزيمة (٩٠٠).

فصل في الاعتراف بالذنوب لعلام الغيوب

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾[الاعراف:٢٣]، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[النمل:٤٤،القصص:١٦]، وقال: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الانبياء:٨٧]، وقال ﷺ: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا»(٢)، وقال ﷺ لعائشة – رضي الله عنها -: «فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه»(٣).

الاعتراف بالذنوب استكانة لعلام الغيوب موجبة لعطفه ولطفه بغفر الذنوب وستر العيوب.

فصل في المحافظة على الصلوات

قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة:٢٣٨]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[المؤمنون:٩].

فصل/ في المحافظة على الجماعات في الغزوات (ق ٨٧-أ)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ...﴾ [النساء:١٠٢ الآية].

فصل في قيام الليل

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾[الاسراء:٧٩]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[الفرقان:٦٤]، وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦]، وقال: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات:١٧]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[المزمل:١،٢]، وقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[الانسان:٢٦] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ

---

(١)رواه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) عن ابن عمر مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).
(٣)رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة مرفوعًا.

اللَّيْلِ وَنصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾[المزمل:٢٠]، و«قام ﷺ حتى تورمت قدماه»(١).

أسباب قيام الليل: مخافة، أو رجاء أو محبة، أو مهابة مانعة من النوم، وكذلك تتجافى جنوبهم عن المضاجع، من لم يكن عنده شيء من ذلك ثقل عليه قيام الليل، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين.

فصل في بناء المساجد

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[البقرة:١٢٧]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة:١٨]، وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[النور:٣٦]، وقال ﷺ: «من بنى مسجدًا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة»(٢).

فصل في احترام المساجد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[التوبة:٢٨]، وقال ﷺ: «من رأيتموه يبيع ويشتري في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك»(٣)، وقال لمن أنشد ضالة في المسجد: «أيها الناشد غيرك الواجد»(٤)، ويروى أنه قال: «لا رد الله عليك»(٥).

---

(١)رواه البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨١٩، ٢٨٢٠) عن المغيرة بن شعبة، وعن عائشة أيضًا مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣) عن عثمان بن عفان مرفوعًا.

(٣)رواه الترمذي (١٣٢١)، والدارمي (١٤٠١)، والنسائي (١٠٠٠٤)، والبيهقي (٤٤٧/٢) عن أبي هريرة، وكذلك رواه ابن خزيمة (١٣٠٥)، وابن حبان (٣١٣)، والحاكم (٥٦/٢).

(٤)رواه عبد الرزاق (١٧٢٢، ١٧٢٣) عن أبي بكر بن محمد مرسلا، وعن محمد بن المنكدر مرسلا أيضًا مرفوعًا.

(٥)رواه مسلم (٥٦٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في تنظيف المساجد

قال الله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[الحج:٢٦] و«رأى النبي ﷺ نخامة في قبلة المسجد، فحكها بعرجون في يده، ووضع مكانها خلوقًا»(١)، وقال: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»(٢).

فصل في مجالسة الصالحين

قال ﷺ: «الجليس الصالح كصاحب العطر إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة»(٣).

مجالسة الصالحين لا تنفك من خير / يسدونه إليك بأمرٍ أو زجرٍ، أو انتفاع منك (ق ٨٧-ب) بالنظر إليهم وإلى هديهم وسمتهم.

فصل في مجالسة الذاكرين

قال الله - عز وجل - فيمن جالس الذاكرين فيما رواه نبيه عنه - ﷺ: «هم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم»(٤).

فصل في الإعراض عن الجاهلين والخائضين في الباطل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الانعام:٦٨] وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الاعراف:١٩٩].

---

(١)رواه مسلم (٣٠٠٨)، وأبو داود (٤٨٥) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا، ورواه البخاري (٤٠٦، ٤٠٩)، وأبو داود (٤٧٩، ٤٨٠)، ومسلم (٥٤٧، ٥٤٨) عن ابن عمر، وعن أبي سعيد أيضًا مرفوعًا، ورواه البخاري (٤٠٧، ٤٠٨)، ومسلم (٥٤٩، ٥٥٠) عن أبي هريرة، وعن عائشة أيضًا مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢) عن أنس مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

الإعراض عن الجاهل وعن إجابته يزعه عن جهله، وإجابته تحثه على الإكثار من ذلك.

فصل في التضعف

قال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره»(١).

فصل الخمول مع الغنى

قال ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»(٢).

فصل في الخمول مع الصلاح

قال ﷺ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»(٣).

فصل في قلة الكلام

قالت عائشة – رضي الله عنها –: «كان رسول الله ﷺ يحدث حديثًا لو عَدَّ العادُّ لأحصاه»(٤)، وروي أنه ﷺ «كان طويل الصمت»(٥).

قلة الكلام دليل على امتلاء القلوب بمهابة علام الغيوب أو مخافته أو محبته.

فصل في الاقتصاد في الصدقة

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الاسراء:٢٩].

---

(١)رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣) عن حارثة بن وهب الخزاعي مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٩٦٥)، عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٨٥٤) عن أبي هريرة مدفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٥)رواه الإمام أحمد (٨٦/٥)، وأبو داود الطيالسي (٧٧٠)، والبيهقي (٣٢٣/١، ٣٢٤) عن جابر بن سمرة.

فصل في الاقتصاد بالجهر في القراءة

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾[الاسراء:١١٠].

فصل في الاقتصاد في العبادة

قال ﷺ: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا»(١).

فصل في الاقتصاد في الإنفاق

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[الفرقان:٦٧].

فصل في الاقتصاد في المشي ورفع الأصوات

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان:٦٣]، وقال:/ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[لقمان:١٩]. (ق ٨٨-أ)

إنما يرفع الصوت لاستماع المخاطب، والزيادة عليه فضول لا حاجة إليه إلا أن يكون الغرض بالصياح الزجر والتهديد وإرعاب الكفار في القتال، فيكون محصلا لتلك المصلحة.

فصل في الاقتصاد في الأكل

قال ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»(٢).

فصل في الاقتصاد في الملابس والمفارش

«قُبض رسول الله ﷺ في كساءٍ ملبدٍ وإزارٍ غليظٍ»(٣)، و«كانت وسادته التي يتكئ

---

(١)رواه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (٢٠٥٩) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٠٨٠) عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعًا.

عليها وفراشه الذي ينام عليه من أدم حشوها ليف»[١]، و«كان أحب الثياب إليه الحِبَرة»[٢]، وقال: «فراش للرجل، وفراش للمرأة، والثالث للضيف، والرابع للشيطان»[٣].

فصل في القناعة بالكفاف

قال ﷺ: «اللهم ارزق آل محمد كفافًا»[٤]، وقال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه»[٥].

القناعة قطع ما يشغل عن الطاعة، وكذلك تزجية الأوقات بقليل الأقوات.

فصل في تزجية الأوقات بقليل الأقوات

قالت عائشة – رضي الله عنها -: «ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض»[٦]، و«كان يمضي عليه الشهران ما يوقد في أبياته نارٌ إنما هو الماء والتمر وشيء من لبن كانت الأنصار تهديه له»[٧]، و«ما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[٨]، وقال عمر – رضي الله عنه -: «رأيت النبي ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه»[٩].

---

(١)رواه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢) عن عائشة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٥٨١٢)، ومسلم (٢٠٧٩) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٢٠٨٤) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٥)رواه مسلم (١٠٥٤) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.

(٦)رواه مسلم (٢٢/٢٩٧٠)، ورواه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠) عن عائشة مرفوعًا.

(٧)رواه البخاري (٦٤٥٩)، ومسلم (٢٩٧٢) عن عائشة مرفوعًا.

(٨)رواه مسلم (٢٩٧٤) عن عائشة مرفوعًا.

(٩)رواه مسلم (٢٩٧٨) عن النعمان بن بشير عن عمر، ورواه أيضًا (٢٩٧٧) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

فصل في التعفف عن المسألة

قال الله تعالى: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة:٢٧٣]، التعفف عن السؤال زين وجمال، ووسيلة إلى الاعتماد على ذي الجلال.

فصل في اجتناب ما يُذَكِّر الدنيا

«كان لعائشة – رضي الله عنه – ستر فيه تمثال طائر إذا دخل الداخل استقبله، فقال ﷺ لعائشة: حولي هذا، فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا»[1]، هذا بالغ في اجتناب كل ما يذكر الدنيا مما ساوى ذلك الستر أو/ أربى عليه، فلتتخذ هذا ميزانًا (ق ٨٨-ب) لكل ما تتجنب من متاع الدنيا.

فصل في اجتناب جليس السوء

قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت:٢٥]، ينبغي لك أن تباعد كل من زين الباطل فإن الجليس السيئ كصاحب الكير.

فصل في التحرز من بطر الغنى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق:٦،٧]، وقال: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[الاسراء:٨٣]، وقال: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾[التوبة:٧٤]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[سبأ:٣٤]،، وقال: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[الفجر:١٥].

فصل في التحرز من بطر الملك

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾ [البقر:٢٥٨] ، وقال: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.[النازعات :٢٤،٢٣]

---

(١)رواه مسلم (٢١٠٧) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في المحافظة على ستر العورات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾[النور:٥٨]

فصل في غض البصر وحفظ الفرج

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النور:٣٠] وقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية[النور:٣١] وقال: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[النور:٣٣]

غض البصر وسيلة وبعد من التعرض للفتن، والمبالغة في ستر العورات من أشرف المروءات.

فصل في مبالغة النساء في التحرز والتستر

والتباعد من مظان الريب

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢] وقال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور:٦٠]،وقال: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]،وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]،وقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣]،/وقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر:١٩]. (ق ٨٩-أ)



الباب السادس عشر

وفيه فوائد متفرقة

وفيه فصول:

فصل في السؤال عند الحاجة

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يوسف :٨٨]،وقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾[الكهف :٧٧].

فصل في التشاور

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران :١٥٩]،وقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨].

المشورة نصح، والاستشارة استنصاح.

فصل في الإشهاد بقبض الحق

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾[النساء:٦].

الإشهاد على ذلك صون للقابض عن إثم الإنكار، ودفع لظلمه عن المقبض.

فصل في الاحتياط في الحفظ

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾[محمد:٤].

في حفظ ما ينبغي أن يحفظ حزم وإحسان.

فصل في أخذ الحذار مع التوكل على الجبار

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[النساء:٧١].

التوكل اعتماد القلب على الرب فيما ينيله من خير أو يزيله من ضر، وتعاطي الأسباب - مع تحقيق ذلك - لا يقدح فيه.

فصل في الضحك والتبسم

قال الله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل:١٩]، و«كان عليه السلام لا يقوم في مصلاه - الذي صلى فيه الصبح - فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ﷺ»(١)، وقال جرير: «ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني إلا تبسم في وجهي»(٢).

لا بأس بالضحك والتبسم عند قيام أسبابهما، وقد يكون التبسم مندوبًا إليه؛ لما فيه من تبسط الصاحب، كما فعل ﷺ بجرير، فإنه لم يره قط إلا تبسم في وجهه.

فصل في الضحك المذموم

(ق ٨٩-ب) «وعظ ﷺ /أصحابه في الضحك من الضرطة وقال: لم يضحك أحدكم مما يصنع؟!»(٣).

فصل في الفرح بالنصر

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم:٤،٥]،وقال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّن اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[الصف:١٣].

---

(١)رواه مسلم (٢٣٢٢) عن جابر بن سمرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٣٨٢٢)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٣)رواه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥)، عن عبدالله بن زمعة مرفوعًا.

الفرح بنصر الله وبجميع نعمه التي لا تشغل عن طاعته جائز، والفرح بنصر المؤمن على الكافر فرح بطاعة الجهاد.

فصل في الانتصار

قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٩]،وقال: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤١]،وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل:١٢٦]، وقال: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]،وقال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، مدحهم بالانتصار؛ لأنهم لم يزيدوا عليه، إذ لو زادوا عليه لكان تعديًا ولم يكن انتصارًا.

فصل في إيجاب القول بالظن

قال الله تعالى: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢]،﴿وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١٦].

حرَّض - سبحانه وتعالى - على أن يُكَذِّب قَذَفَة عائشة — رضي الله عنها — وأن يجعل قولهم بهتانًا وزورًا مبينًا بناءً على الظاهر، لما ذكر فيه من بناء الأحكام بناءً على الظن وما فيه من عموم النصائح.

فصل في جواز الحلف بالظن

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ من شَهَادَتِهِمَا﴾ [المائدة:١٠٧]،جوز الله الحلف عند ظننا أن الشاهدين قد استحقا إثم الكذب، ولا يحمل العثور على العلم لأنا لو علمنا ذلك لحكمنا بعلمنا، وكذلك تجوز التزكية بالثناء بناء على الظن، وكذلك معظم الإنكار الشرعي مبني على الظن.

فصل في جواز المدح بالظن

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]،ذكرت ذلك بناء على ظنها و لم ينكر أبوها.

فصل في إرفاق الناس بأجرة وبغير أجرة

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢] / ، وقال: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق:٦]، وقال: (ق ٩٠-أ) ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ [القصص:٢٧]،وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]، وقال: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص:٢٤]،وجعل – عليه السلام – من الصدقة أن تعين الصانع وتصنع للأخرق»[1]، وأن تحمله على دابته وتحمل عليها متاعه»[2]، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»[3]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧]، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢١٥].

فصل في اختبار الأفهام

قال الله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ [النمل٤١]،وقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾[النساء:٦].

الاختبار للمصالح جائز، كاختبار فهم اليتيم لحفظ ماله والقيام بمصالحه؛ فإنه وسيلة إلى دفع ماله إليه.

فصل في اختزال أموال الكفار

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٣٨].

---

(١)رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤) عن أبي ذر مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣)رواه الإمام أحمد (٣/٣٤٤، ٣٦٠)، والبخاري ٣٠٤)، والترمذي (٣٠٦/٤)، (١٩٧٠) عن جابر بن عبدالله، ورواه الترمذي (١٩٥٦) عن أبي ذر.

فصل في امتحان من يدعي الإيمان

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[الممتحنة:١٠].

فصل في ذكر المشاق من غير شكاية

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢]،وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ﴾[القصص:٢٥].

فصل في جواز اللعب

قال الله تعالى – حكاية عن إخوة يوسف –: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف:١٢]، ولعب الحسن في مسجد رسول الله ﷺ.

فصل في النظر إلى اللعب

«لما آثرت عائشة – رضي الله عنها – أن تنظر إلى اللعابين فوقف رسول الله ﷺ بباب حجرته، وهي من ورائه تنظر إليهم حتى انصرفت هي من تلقائها»[١].

تمكين الشباب من اللعب ومن النظر إليه ضرب من الإحسان؛ لأنهم يستروحون إلى ذلك، وكذلك ملاعبة الزوجات ومضاجعتهن، وكذلك التمكين من سماع الدف والغناء.

فصل في ملاعبة النساء ومضاجعتهن

قال ﷺ لجابر: «هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»[٢].

/ فصل في سماع غيبة من لم يتعين (ق ٩٠-ب)

«سمع رسول الله ﷺ حديث أم زرع من عائشة – رضي الله عنها –»[٣]، مع ما

---

(١)رواه البخاري (٤٥٤)، ومسلم (٨٩٢) عن عائشة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

فيه من غيبة بعض النسوة لأزواجهن.

لم يكن الغرض من سماع حديث أم زرع، إلا جبر عائشة بسماع ذلك، وإلا فلا حاجة لرسول الله ﷺ إلى سماع ذلك وأمثاله، وهذا وأمثاله من إحسان الصحبة وإجمال العشرة وكذلك مسابقته لعائشة وأنواع ما نقل عنه من المزاح لم يكن لاسترواحه إليه، بل لجبر الممزوح معه.

فصل في الغناء والدف وسماع ذلك

«ضرب بالدف في بيت رسول الله ﷺ بحضوره، وغنى عنده جوارٍ من الأنصار لعائشة – رضي الله عنها – بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث فدخل أبو بكر – رضي الله عنه – فأنكر ذلك، ورسول الله ﷺ متشح بثوب فكشفه وقال: دعهن؛ فإنها أيام عيد»[1].

فصل في التزين وذلك من غير فخر ولا رياء ولا إعجاب

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الاعراف:٣٢]،وقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦]،﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[النحل:٨].

فصل في التحلي بالجواهر

قال الله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[النحل:١٤].

فصل في تعبير الرؤيا بما ساء وسر

قال الله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾[يوسف:٤١].

---

(١)رواه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في سوء الظن بالمريب

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[يوسف:٨٣].

فصل في الإرفاق بالأخ

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ [يوسف:١٧]،أي: يحرسه.

فصل في الشكوى إلى سامع النجوى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]،وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[المجادلة:١].

فصل

في شكوى الظالم إلى الله تعالى

[قال الله تعالى]: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر:١٠]،وقال/: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء:١١٧،١١٨]،وقال: ﴿أَنَّ هَـٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان:٢٢]،وقال: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف:٨٨]،وقال: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان:٣٠]. (ق٩١-أ)

فصل في طلب الرئاسات

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا﴾[القصص:٨٣].

فصل في غيبة الكفار

قال الله تعالى: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥]،وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾[الدخان:٢٢].

فصل في كلام الأجنبيات للحاجة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الاحزاب:٥٣]،وقال: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحنة:١٠]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ إلى قوله: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ [المتحنة:١٢]، وقال موسى لابنتي شعيب: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص:٢٣]،وقالت إحداهما: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]،وقال: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾[النمل:٤٤].

فصل في نقل الميت لمصلحة

«أخرج رسول الله ﷺ عبدالله بن أُبي من قبره ووضعه على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه»(١).

فصل في ركوب البحر المخوف

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]،وقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]،وقال عليه السلام: «من قتل نفسه بشيء عذب به»(٢).

فصل في ركوب البحر الذي يغلب عليه الأمن

قال الله تعالى: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [الروم:٤٦]،وقال: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾[البقرة:١٦٤].

فصل في التجارة في السفر الآمن

قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ﴾[المزمل:٢٠].

---

(١)رواه البخاري (١٢٧٠)، ومسلم (٢٧٧٣) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١١٠) عن ثابت بن الضحاك مرفوعًا.

فصل في استخدام الأولاد والأصحاب

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف:٦٢]،وقال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٧]،وقال: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]،وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾[النمل:٣٨].

تقرب الخادم إلى الله بخدمته خير من انتفاع المخدوم بالخدمة؛ لأن الخادم باذل متفضل، والمخدوم مُتَفَضَّلٌ عليه، ولذلك كان سيد القوم خادمهم، وكان ابن عمر إذا سافر /مع رفقة شرط ألا ينفق غيره، ولا يخدم سواه، والاستخدام على هذا ضرب من الإحسان، لكن فيه أمر السؤال. (ق٩١-ب)

فصل في الاستدلال بالنجوم والأمارات

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]،وقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف:٢٦،٢٧].

فصل في اختيار الأسهل

«ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه»[١].

فصل في تحمل الشهادات وكتابتها وكتابة الشروط

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة:٢٨٢]،وقال: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]،وقال: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة:٢٨٢]،وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ [البقرة:٢٨٣]،وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:٢]،وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣]،في ذلك حفظ للحقوق وتخليص لمن هي عليه من عهدتهما.

---

(١)رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) عن عائشة مرفوعًا.

فصل في الإحسان بحفظ العقول

وذلك بإراقة المسكرات ومنع شاربيها من شربها والإنكار عليهم؛ وذلك وسيلة إلى حفظ العقول التي هي محل معرفة الإله، ومناط خطابه وتكاليفه؛ ولأن مفاسد زوال عقل الآدمي ليست كعدم البهائم للعقول؛ إذ يصدر من السكران من القبائح والمآثم مالا يصدر من أرذل البهائم.

فصل في الورع

قال ﷺ: «إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها»(١)، و«مر ﷺ بتمرة في الطريق فقال: لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها»(٢)، و«كان إذا أتي بطعام سأل عنه، فإن قيل: هدية، أكل منها، وإن قيل: صدقة. لم يأكل منها»(٣).

وقال: «دع ما يريبك إلا مالا يريبك»(٤)، و«من ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»(٥)، وكلما قويت الشبهات كان الورع في أعلى الدرجات.

فصل في إحداث السنن الحسان

قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ (ق٩٢-أ) [الحديد:٢٧]،وقال عليه السلام: «من سن في الإسلام/ سنة حسنة، كان له أجرها ومثل أجر من يعمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء»(٦).

---

(١)رواه البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه البخاري (٢٠٥٥)، ومسلم (١٠٧١) عن أنس بن مالك مرفوعًا.
(٣)رواه البخاري (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)رواه الإمام أحمد (١/٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/٢٣٧)، وصححه ابن حبان (٥١٢، ٥١٣)، والحاكم (٢/١٣، ٤/٩٩) وقال أبو عيسى: حديث صحيح.
(٥)رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.
(٦)رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبدالله مرفوعًا.

ابتداع السنن الحسان توصل إلى العمل بها، وفضله مأخوذ من فضيلة المتوسل إليه، فالوسيلة إلى أفضل السنن الحسان المحدثات هي أفضل الوسائل [...][1] ذلك فالأفضل فالأفضل، فكل ما دل عليه الكتاب أو السنة أو الإجماع على أنه إحسان قاصر أو متعد فعمل به إنسان لم يسبق إلى العمل به، فذلك ابتداع حسن لاندراجه في الشريعة، فهو مبتدع من جهة العمل لا من جهة كونه مأموراً به، وذلك كبناء الربط والمدارس وتدوين كتب الفقه والأصول والتفاسير وغير ذلك، مما لم يعهد في العصر الأول.

فصل في البعد من مظان الريب

«مر رجلان من الأنصار برسول الله ﷺ ومعه صفية بنت حيي فأسرعا، فقال: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا — أو قال: شرًا»[2].

البعد من الريب إحسان إلى من يخشى سوء ظنه فيقع فيما لا يحل.

فصل في صحبة صالحي الفقراء

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف:٢٨].

فصل في حفظ اللسان

قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[3].

حفظ اللسان وسيلة إلى الخلاص من آفاته.

---

(١)ما بين [ ] كشط قدر كلمتين بالمخطوط.

(٢)رواه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥) عن صفية بنت حيي مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٦٠١٨، ٦٠١٩)، ومسلم (٤٧، ٤٨) عن أبي هريرة، وعن أبي شريح الخزاعي مرفوعًا.

فصل في العدل في حالة الغضب

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة:٢]،وقال: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾ [المائدة:٨]،وقال ﷺ: «وأسألك كلمة الحكم في الغضب والرضا»[١].

أجر عدل الغضبان عظيم لما فيه من طاعة الرحمن وإرغام الشيطان.

فصل في حفظ الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩]،وقال: ﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل:٩١].

حفظ الأيمان تعظيمًا للمحلوف به.

فصل في الهجرة والعزلة

(ق٩٢-ب) قال الله تعالى:/ ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت:]،٢٦وقال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ من بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [النساء:١٠٠]، ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]، وقال: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات:٥٠]،وقال ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٢]، ويروى: المهاجر من هجر السيئات»، و«سُئل ﷺ أي الناس أفضل؟ فقال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، قيل: ثم من؟ قال: رجل معتل في شعب من الشعاب، يعبد ربه ويدع الناس من شره»[٣].

الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلهما هجرة الإثم

---

(١)رواه الإمام أحمد (٢٦٤/٤)، والنسائي (٣/٥٤-٥٥) عن عمار بن ياسر، وصححه ابن حبان (٥٠٩)، وكذا الحاكم (٥٢٤/١).

(٢)رواه البخاري (١٠) عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.

(٣)رواه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان.

فصل في كظم التثاؤب في الصلاة

قال ﷺ: «إذا تثاوب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع؛ فإن الشيطان يدخل»(١)، وروي: «إذا تثاوب أحدكم فليمسك بيده على فيه؛ فإن الشيطان يدخل»(٢).

فصل في البصاق في الصلاة

قال ﷺ: «إن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه، وليبصق عن يساره أو تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض»(٣).

فصل في ستر المذنب على نفسه

قال ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد عملا ثم يصبح قد ستره ربه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»(٤).

الذنوب أخطر العورات، وأقبح السوآت، والمجاهر بها مجاهر بأقبح العورات وأشنع السوآت.

فصل في اختيار القبر

«لما دنت وفاة موسى سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، قال

---

(١)رواه مسلم (٥٩/٢٩٩٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٥٧/٢٩٩٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٣٠٠٨) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا، ورواه البخاري (٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨)، ومسلم (٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥١) عن أنس، وعن ابن عمر، وعن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)رواه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

رسول الله ﷺ: لو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق بجنب الكثيب الأحمر»[١].

فصل في أدب الانتعال ولبس الخف

«نهى ﷺ أن يمشي الرجل في نعلٍ واحدة وخف واحد»[٢]، وأمر أن يبدأ في (ق٩٣-أ) الانتعال/ برجله اليمنى وفي النزع برجله اليسرى»[٣].

فصل في التعفف والتصبر

«سأل رسولَ الله ﷺ أناسٌ من الأنصار فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفد ما عنده قال: ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن تعفف يعفه الله، ومن تصبر يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر»[٤].

فصل في العطية لأخذ أكثر منها

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦]،وقال: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللهِ﴾[الروم:٣٩].

لا يعطي أحد ليأخذ أكثر مما بذل إلا رذل بذل سفساف.

فصل في إحداث السنن السيئة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٨]،وقال عليه السلام: «من سن في الإسلام سنة سيئة فعُمِلَ بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[٥].

---

(١)رواه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٢)رواه مسلم (٢٠٩٩) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا، ورواه البخاري (٥٨٥٤)، ومسلم (٢٠٩٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٣)رواه مسلم (٢٠٩٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.
(٤)عن أبي سعيد الخدري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).
(٥)تقدم تخريجه.

فصل في أخذ الحرام بحكم الحكام

قال ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحوٍ مما أسمع منه، فمن قطعت له من مال أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من نار»(١).

فصل في الإخبار بالفضل بناء على الظن

سئل موسى ﷺ أي الناس أفضل؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه، وأخبره أن الخضر أعلم منه، وإنما عُتب على موسى لأنه بنى على الظن والحسبان في محل لا ينبغي أن يبنى فيه على الظن.

فصل في تغيير الخلق

قال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»(٢).

فصل في الجلوس في الأسواق لغير حاجة

قال ﷺ: أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»(٣).

الأسواق مظنة الغفلات واللغط والخصام، والأيمان الفاجرة، ولا تكاد تخلو من المنكرات.

فصل في التشبع

قال ﷺ: «المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور»(٤).

والمتشبع بما لم يُعط كاذب بفعله مفتخر بما ليس له /، والافتخار بما له منهي عنه، فما الظن بالافتخار بما ليس له. (ق٩٣-ب)

---

(١)رواه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣) عن أم سلمة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٣)رواه مسلم (٦٧١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤)رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٢٩، ٢١٣٠) عن أسماء بنت أبي بكر، وعن عائشة مرفوعًا.

فصل في سب الظالم صدقًا

قال الله تعالى: ﴿لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨] ، وقال: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[يوسف:٧٠].

وقال ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم»(١).

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[الشعراء:٢٢٧].

أجاز الشرع سب الظالم بظلمه لشفاء غيظ المظلوم، وإن كان ظلمه فسقًا فلا غيبة لفاسق، ولا يحل سبه بما ليس فيه.

فصل في جواز « لو »

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]،وقال: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [الاسراء:١٠٠]،وقال ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة»(٢).

إنما نهي عن لو« في حق من يضيف وجود الأشياء إلى سببها دون مسببها، فأما ذكرها على خلاف ذلك فقد يكون توحيدًا، وقد يكون ذكرًا للأسباب مع ملاحظة الإضافة إلى المسبب، فقوله: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]،توحيد بإضافة ذلك إلى ما كتبه الله وحتمه، وهذا بخلاف ما نهي عنه من «لو» فإنها يراد بها هناك الحذر يعني من القدر.

فصل في الغيبة في الاستفتاء

«قالت هند: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني

---

(١)رواه مسلم (٢٥٨٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (١٦٥٢)، ومسلم (١٢١٦) عن جابر بن عبدالله مرفوعًا.

وولدي. فلم ينكر»[١]، وقال رجل: «يا رسول الله، إن ابني هذا كان عسيفًا على هذا، فزنى بامرأته»[٢].

فصل في إفشاء السر لمصلحة

قال الله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:٢٦]،وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾و[يوسف:٥٠]، و «قد أرسل ﷺ إلى زوجة المستأجر يعلمها بالحد؛ لئلا يضيع حقها من القذف فمر عليها أنيس فاعترفت فرجمت»، ولو أنكرت وطلبت الحد لأقامه على القاذف.

الستر على الناس شيمة الأولياء فضلا عن الأنبياء، وإنما قال يوسف ﷺ: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:٢٦] / ، ليدفع عن نفسه ما تعرض له من قتلٍ أو عقوبة (ق٩٤-أ) وكذلك قوله: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٥٠]،يدفع التهمة عن نفسه؛ فإن الملك لو اتهمه لم يوله، ولم يحصل على إحسان الولاية.

فصل في تعييب المال وإفساده للإصلاح

قال ﷺ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[الكهف:٧٩]، وقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٣]،وقال: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر:٥]،وقال: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[الحشر:٢].

فوات مالية السلامة من العيب أولى من فوات السفينة بالغصب، ومسح سوق الخيل وأعناقها دفع لما شغل عن الله، فطام [...] للنفس عن مثل ذلك، وقطع النخيل لإخزاء الفاسقين وكسر حدهم ضرب من النكاية في أعداء الله.

---

(١)رواه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤) عن عائشة مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨) عن أبي هريرة، وزيد بن خالد مرفوعًا.

فصل في تمني الهلاك دون الافتضاح

قال الله تعالى حكاية عن مريم: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[مريم:٢٣].

فصل لا يترك الحق لأجل الباطل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨]،وقال: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨]،وكان ﷺ يطوف بالبيت ويصلي وفيه الأصنام، كان على الصفا والمروة صنمان أحدهما إساف والآخر نائلة، وكان بعض الكفار يهلون لهما فلما جاء الإسلام. تحرج قوم أن يطوفوا بالصفا والمروة لأجل الصنمين؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ الله﴾ [البقرة:١٥٨]،فلا تتركوا شعائر الله - وهي حق - لأجل إساف ونائلة وهما باطل، فلم يترك السعي لأجل إساف ونائلة، ولم يترك الأذان لأجل استهزائهم، وكذلك الغزو مع الفجرة والفسقة لا يُترك لأجل ما يشاهد من فجورهم، لأنا إن قدرنا على إنكاره عليهم حصل أجر الغزو والإنكار، وإن عجزنا حصل أجر الغزو وأجر الإنكار بالقلب، وتألمنا لذلك وتوجعنا به/ لأجل الله مما (ق٩٤-ب)
يُمحص السيئات ويرفع الدرجات؛ فإن التألم بغير هذا السبب يكفر السيئات، فما الظن بالتألم لأجل معاصي الله إجلالا له. وهذا بخلاف سب الأصنام إذا أدى إلى سب الرحمن، وقد «جعل رسول الله ﷺ من الكبائر أن يسب الرجل أبويه، بأن يسب أبا الرجل فيسب أباه»[1].

فصل في عتاب الأصحاب

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥]،وقال: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾[القلم:٢٨].

---

(١)رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

فصل في توبيخ المسيء

قال الله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾[طه:٨٦].

فصل في ذكر الرجل مناقب نفسه

قال الله تعالى حكاية عن سليمان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل:١٦]،وقال: ﴿فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾ [النمل:٣٦]،وقال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الاعراف:٨٦]،وقال: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الاعراف:٦٢]،وقال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٩٦]،وقال: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨]، وقال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]،وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع»[1]، وأول شفيع»[2]، «آدم فمن دونه تحت لوائي»[3]، «وإن صاحبكم خليل الله»[4].

وذكر سليمان ما آتاه الله وسيلة إلى المهابة الموجبة لطاعته فيما يدعو إليه من طاعة الله، وذكر الرسل أمانتهم ونصحهم، ترغيب في إجابتهم إلى ما دعوا إليه، وذكر رسول الله ﷺ مناقبه؛ لتعريف مترلته عند ربه؛ ليوفر محبته وطاعته المقربة إلى الله – عز وجل –.



(١)رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢)رواه مسلم (١٩٦) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٣)رواه الترمذي (٣٦١٦) عن أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث صحيح.

(٤)رواه مسلم (٥٣٢، ٢٣٨٣) عن جندب بن عبدالله، وعن ابن مسعود أيضًا مرفوعًا.

الباب السابع عشر
في الإحسان المتعلق بالجهاد

وفيه فصول:

فصل في عرض الإسلام على الكفار

(ق٩٥-أ) قال الله تعالى:/ ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٣٠،٣١]،وقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران:٢٠]، وكتب ﷺ إلى هرقل: «أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين»[1].

عرض الإسلام على الكفار إحسان إليهم بالتوسل إلى نقلهم من الكفر إلى الإيمان، ومن أسباب السخط إلى أسباب الرضوان.

فصل في تخويف أهل الحرب وإرهابهم

قال الله تعالى - حكاية عن سليمان - قال: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل:٣٧].

فصل في الاستعداد لقتالهم بما يرهبهم

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]،وقال ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم»[2].

---

(١)رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب مرفوعًا.

(٢)رواه البخاري (٢٨٤٩، ٢٨٥٠)، ومسلم (١٨٧١، ١٨٧٣) عن ابن عمر، وعن عروة البارقي مرفوعًا، ورواه البخاري (٣٦٤٥) عن أنس مرفوعًا، ورواه مسلم (١٨٧٢، ٩٨٧) عن جرير بن عبدالله، وعن أبي هريرة مرفوعًا.

فصل في النفير وبذل الأنفس والأموال

قال الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة:٤١]،وقال: ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[التوبة:٣٩].

فصل في التشديد عليهم والغلظة

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣،وسورة التحريم:٩]،وقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة:١٢٣].

فصل في المشاورة والتوكل على الله في القتال

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]،وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].ولا تتوكل على المشاورة.

فصل في القتال؛ لإنقاذ المسلمين من إيذاء الكفار

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[النساء:٧٥].

فصل في الثبوت في القتال

قال الله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الانفال:٤٥]،وقال: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الانفال:١٥]،وقال:/ ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤]. (ق٩٥-أ)

فصل في بذل الجهد في النكاية فيهم

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[التوبة:٥].

فصل في كيفية القتال

قال الله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الانفال:١٢]، وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[محمد:٤].

فصل في قطع أشجارهم وتخريب ديارهم

قال الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر:٥]،﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر:٢]، وقطع ﷺ نخل بني النضير وحرقه»[1].

فصل في التجلد على ما يصيبنا من الحرب

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران:١٤٦]،وقال: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران:١٣٩].

فصل في الجد في طلبهم

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء:١٠٤]،وقال: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢].

فصل في اجتناب التنازع في القتال

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الانفال:٤٦]..

---

(١)رواه البخاري (٤٠٣١)، ومسلم (١٧٤٦) عن ابن عمر مرفوعًا.

فصل في الدعاء بالنصر والصبر فالنصر

قال الله تعالى حكاية عن أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٥٠].

فصل في المصابرة والرباط

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[البقرة:١٧٧].

فصل في أنّا لا نطلب الصلح

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾[محمد:٣٥].

فصل في إجابتهم إلى الصلح فيه حظ للإسلام

قال الله تعالى:/ ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[الانفال:٦١]. (ق٩٦-أ)

فصل في نبذ العهد عهدهم إذا خيف غدرهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[الانفال:٥٨].

فصل في المبالغة في نكاية الناقضين

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الانفال:٥٧].

فصل في فعل الأصلح من المن والفداء وتأخير الأسراء إلى ما بعد الإثخان

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد:٤].

الحزم التام تأخير الأسراء إلى الإثخان، وأما شد الوثاق فإرشاد إلى الاحتياط في كل ما ينبغي أن يحتاط له، وأما ضرب الأعناق وكل بنان، فإن ضرب الأعناق يبيدهم، وقطع كل بنان يمنعهم من القتال، بخلاف إيقاع الضرب في غير هذين المحلين، فإن التوسط عزيز قليل، ولا يتأتى ضرب الأوساط كما يتأتى ضرب الأعناق.

وأما الثبوت في القتال والمبالغة في قتالهم بالأسباب المذكورة، ففيه مبالغة في زجرهم عن الكفر، مع ما فيه من إعزاز الدين، ونصرة المؤمنين، وشفاء صدورهم من الكافرين.

وأما قطع الأشجار وتخريب الديار فخزي لهم وإضعاف لقلوبهم، فإن المصائب تضعف القلوب، وتكسر النفوس، وكذلك قال الله تعالى: ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[الحشر:٥].

وأما الجد في طلبهم ففيه إيهامهم قوة المسلمين، وكسر شوكتهم.

وأما التنازع فإن الرأي إذا اتفق على كيدهم وقتالهم حصل الغرض، وأما رفع التنازع جرى الأمر على خلاف ذلك.

وأما الدعاء بالمعونة والنصر والصبر ففيه تفويض الأمر إلى من له الخلق والأمر وتوكل عليه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]،أي: كافيه.

وأما الدعاء إلى الصلح فضيم على الإسلام وذل ووهن، فلا يجوز إلا في حال الاضطرار ودفع أمر لا يطيقه المسلمون/ كما عزم ﷺ عام الخندق على الصلح على ثلث ثمار المدينة، ومن ابتلي بكلبٍ عقور، فشغله عن شره وأذيته برغيف برٍ فلا ضيم عليه في ذلك. (ق٩٦-ب)

وليس الفرار اليوم عارًا على الفتى   إذا جربت منه الشجاعة بالأمس

وأما نبذ العهد إلى من خيف خيانته، فللمساواة في الخوف من الطرفين؛ كـي لا نخاف ويأمنوا.

وأما التشديد بسبب النقض، فمعناه أن يفعل بهم من الأسـر والقتـل والحصـر والإراق[1] وأخذ الأموال وسبي النساء والأطفال ما يخوف غيرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم؛ فيشردوا من البلاد، خوفًا من مثل ذلك بأن يهربوا منها.



---

(١)أي: من الإرقاق والعبودية.

الباب الثامن عشر

في تعريف المصالح والمفاسد وما يقدم منها عند التعارض

فصل فيما يقدم من الإحسان القاصر والمتعدي

وما يؤخر من الإساءة القاصرة والمتعدية

اعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه، إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة؛ تفضلا منه على عباده، إذ لا حق لأحد منهم عليه، ولو شرع الأحكام كلها خليةً عن المصالح، لكان قسطًا منه وعدلا، كما كان شرعها للمصالح إحسانًا منه وفضلا، وقد وصف نفسه بأنه لطيف بعباده، وأنه بالناس رءوف رحيم، وتمنن عليهم بالرأفة والرحمة، وأخبر أنه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وأنه بهم برٌ رحيمٌ توابٌ حكيمٌ، وليس من آثار اللطف والرحمة واليسر والحكمة أن يكلف عباده المشاق بغير فائدة عاجلة أو آجلة، لكنه دعاهم إلى كل ما يقربهم إليه، من الحسنات والسيئات درجات عليات ودنيات ومتوسطات، فأفضل الحسنات أكملها مصلحة كالمعرفة والإيمان الموجبين [خلود الجنان...][1]، والكفران الموجبين خلود النيران وغضب الديان، ومن رفقه بنا أنه أمرنا إذا اجتمعت مصلحتان قاصرتان أو متعديتان أن نحصلهما، فإن عجزنا عن /تحصيلهما حصلنا أعلاهما، وإن اجتمعت مفسدتان (ق٩٧-أ) قاصرتان أو متعديتان أن ندفعهما، فإن تعذر دفعهما دفعنا أقبحهما وأكبرهما، فنقدم

---

(١)ما بين [ ] سقط من الأصل، وهي زيادة مقدرة من عندي؛ لموافقة السياق.

الفرض على النفل، والمضيق على الموسع، والأوجب على الواجب، والأفضل على الفاضل، فإن بذلنا ماءً للطهارة قدمنا غسل الجنابة وغسل الميت على رفع الأحداث، وإن بذلنا سترة قدمنا النساء على الرجال، فإن عجزت السترة قدمنا العورة على غيرها، فإن تعذر ذلك قدمت السوءتان على بقية العورة، وإن ضاق وقت الفريضة عنها وعن القضاء - أو ضاق وقت الوتر عنه وعن سنة العشاء - قدمنا الفريضة على الفائتة، وقدمنا الوتر على سنة العشاء، وإن رأينا من يقصد نفسًا، أو فرجًا محرمًا، أو عضوًا محرمًا، ومن يقصد مالا وتمكن من الجمع بين دفعهما دفعناهما، وإن تعذر الجمع دفعنا عن الأعضاء والأبضاع والأرواح وأهملنا الأموال، وتقدم الأرواح على الأعضاء والأبضاع، وتقدم النفقات على الديون، والديون على الهبات والصدقات وسائر التبرعات، وفي الديون والزكوات التي تلفت نفسها خلاف، وإن بذلنا الأموال أو أشياء من أنواع قدمنا بالرحم وبالجوار والضعف والعجز وشدة الضرورة ومسيس الحاجة، ويقدم المستور الخامل على المستور السائل، فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم ومعنا كفاية أحدهم قدمنا الأفضل فالأفضل، فيقدم النبي المرسل على النبي الذي لم يرسل، ويقدم النبي على الولي، ويقدم من ينفع المسلمين بعلمٍ، أو جهادٍ، أو نظر بولاية على من لا نفع لديه ولا عمدة عليه، ويقدم في كل ولاية أعرف الناس بمصالحها ومفاسدها، وأقومهم بجلب المصالح ودفع المفاسد، فيقدم في الخلافة أجمل الناس في أوصافها وأقومهم بأعبائها، وفي إمامة الصلاة أفقه الجماعة وأقرؤهم، وفي تجهيز الأموات أقاربهم الأقرب فالأقرب، وفي الحضانة يقدم الإناث على الذكران وقربى الإناث على بعداهن، ويقدم في ولاية الأيتام والأوقاف الأعلم فالأعلم، والأورع فالأورع، والأضلع فالأضلع ويقدم / في الحروب الأشجع والأنفع فالأنفع في (ق٩٧-ب) معرفة الحروب ومكائد القتال، ويقدم قتال أضر الكفار على المسلمين فأضرهم، فإذا لقيناهم بدأنا بقتل ذوي الرأي منهم والأبطال، ونؤخر الأسر إلى آخر الأمر، ويقدم في الأوقاف والصدقات أفضل الجهات وأعظم المبرات، ويقدم النهي عن أضر السيئات على النهي عن أدناها، والأمر بأفضل الحسنات على الأمر بأدناها، وقد يختلف العلماء في أشرف النفعين والمصلحتين، وفي أعظم الضررين والمفسدتين، وتقديم الأمهات على الآباء في الميراث والصلات، وتقديم الأداني فالأداني، وتقديم الجهاد العين على برِّ الآباء،

وبر الآباء على جهادٍ لم يتعين.

والأفعال أنواع **إحداها: مصلحة محضة**: كمعرفة الله والإيمان به وتعظيمه ومهابته، فلا يجوز تركه قط؛ إذ لا حاجة إلى تركه، ولا يتصور عنه إكراه.

الثاني: مفسدة محضة: كالجهل بالله والكفر به، والاستهانة بأمره فلا يباح فعله قط؛ إذ لا حاجة إليه ولا يتصور عليه إكراه.

الثالث: مالا يباح برجحان مفسدته: كالزنا واللواط فلا يبيحهما إكراه ولا غيره.

الرابع: ما ترجح مصلحته أو مصالحه على مفسدته أو مفاسده: كالميسر فيباح بالإكراه، وكالخمر يباح لامتناعه اللقمة وبالإكراه، وكالجهاد فيه مخاطرة بالنفوس والأموال، وهو واجب؛ لرجحان مصالحه على المخاطرة؛ فإن الخطر في تركه أعظم من الخطر في فعله، فإنه لو ترك لاستباح الأعداء النفوس والأبضاع والحرم والأموال والأطفال، ولفاتت مصالحه من إرهاب العدو، وإعزاز الدين، وأمن المسلمين، وما يوجد من الفيء والغنائم والعشور والجزية والخراج، وما يصالحون عليه من الأموال، ولاشتماله على هذه المصالح جعل تلو الإيمان.

الخامس: ما تعددت الجهة في مصالحه ومفاسده: كالصلاة في الأرض/ المغصوبة والدار المغصوبة، والتضحية بالمدية المغصوبة، والطهارة بالمياه المغصوبة، فيثاب على مصالحها ويتعرض لعقاب مفاسدها. (ق٩٨-أ)

فنذكر أنواعًا من المحرمات التي تباح برجحان مصالحها على مفاسدها، وإن عظمت مصالحها لصارت واجبة أو مندوبة لرجحان مصلحة الندب والإيجاب وهي أنواع:

إحداها: التلفظ بكلمة الكفر: يباح بالإكراه، ولا يجب على الأصح.

الثاني: ترك فرائض الصلوات والزكوات والصوم والاعتكاف الواجب والحج المضيق بنذرٍ أو غيره، فيجوز تركها بالإكراه، وبإنقاذ الغرقى، وتخليص الهلكى، وبحفظ الأبضاع والأطراف.

الثالث: إتلاف الحيوان المأكول جائز للأكل، ولدفع أذاه وصياله وعدائه.

الرابع: إفساد الحيوان الذي لا يؤكل، دفعًا لأذاه وصياله، أو للأكل في حال الاضطرار.

الخامس: قتل الآدمي محرم إلا بكفرٍ أصلي، أو ردةٍ، أو زنا، أو خيانةٍ، أو بغيٍ، أو صيالٍ.

السادس: المخاطرة بالنفوس والأعضاء وتعريضهما للفوات محرم إلا في حالة الجهاد، وقتال البغاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودفع الصيال.

السابع: المثلة في القتل والقطع، ولا تجوز إلا بالقصاص.

الثامن: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جائزان عند الخوف والإكراه، وكذلك إذا علم أو غلب على ظنه أن الإنكار لا ينفع.

التاسع: إيلام الحيوان بالضرب وغيره جائز في سوق الدواب المقتصد وفي رياضته، وفي الحدود والتعزيرات وتأديب النساء والصبيان.

العاشر: قتل من لا إثم عليه من المجانين والأطفال جائز، إذا تترس بهم الكفار في بعض الصور أو في حال الصيال.

الحادي عشر: القذف بالزنا مباح في حق الأزواج، وقد يجب لنفي الأنساب.

الثاني عشر: الإعانة على بعض الإثم والعدوان جائز بالإكراه، وفي افتداء النفوس والأعضاء /والأبضاع ببذل الأموال، فإن أخذ المال على ذلك حرام، لكن جازت (ق٩٨-ب) الإعانة عليه؛ لما فيها من المصلحة للحفظ.

الثالث عشر: التحلل من النسك جائز بالإحصار.

الرابع عشر: غصب الأموال جائز بالإكراه والإضرار.

الخامس عشر: أكل النجاسات وشربها جائز بالتداوي والإكراه.

السادس عشر: شرب الخمر جائز بالإكراه ولإزالة الغصة وبالتداوي به خلاف مشهور.

السابع عشر: الكي جائز للتداوي، إذا لم يوجد سواه.

الثامن عشر: قطع الأطراف جائز لحفظ النفس، كقطع الأيدي المتآكلة لبقاء الأرواح.

التاسع عشر: الصلاة مع الحدث والنجس والعري وإلى غير القبلة جائز بالأعذار.

العشرون: أكل الميتة وصيد الحرم والإحرام جائزان بالاضطرار والإكراه.

الحادي والعشرون: كشف العورات جائز في المداواة والشهادة والاستمتاع المباح.

الثاني والعشرون: النظر إلى العورة مباح للمداوي والشاهد والمستمتع بالسبب المباح.

الثالث والعشرون: جرح الأعراض جائز بسبب الشهادة والرواية.

الرابع والعشرون: الكذب، والغيبة، والنميمة جائز؛ لحفظ الأديان والأموال والنفوس والأبضاع.

الخامس والعشرون: الإكراه على التصرف جائز للحكام فيما يستحق على الخصوم من التصرفات.

السادس والعشرون: كتمان الشهادة جائز بالخوف والإكراه.

السابع والعشرون: السكر جائز بالإكراه.

فهذه أنواع المصالح تباح لأجلها المحظورات، فإن كان تلك المصلحة مما يجب السعي في تحصيلها وجب تحصيلها، كالكذب لحفظ النفوس والأبضاع والأطراف، فإن كانت مما يستحب تحصيلها استحب تحصيلها، كالكذب للإصلاح ونحو ذلك، وهذه الأمثال مرشدة على ما سواها - إن شاء الله تعالى - والحمد لله وهو المستعان.

(ق٩٩-أ) ومن فهم ضوابط هذا الكتاب ووقف على حقيقة المصالح وانحصارها في جلب/ النفع ودفع الضر، وعلى حقيقة المفاسد وانحصارها في جلب الضرر ودفع النفع، وأنه

لا فرق في ذلك بين قليله وكثيره جليله وحقيره، لم يكد يخفى عليه أدب من آداب القرآن، ولا سيما إذا اتضحت المصالح والمفاسد وظهر رجحانها، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت،٤٦]،﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[فصلت:٤٦]،﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الجاثية:١٥]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣]ن﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]،﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء:٤٧]،﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧،٨]، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩].

فصل في ترتيب المصالح والمفاسد

الكذب الذي لا يتعدى ضره ولا نفعه حرام لتضرر الكاذب به، فإن تعدى ضرره ففيه إثم الكذب، وإثم ذلك الإضرار على اختلاف مراتبه، فمن شهد بزورٍ على نفس أو بضع أو مال أثم إثمين، إثمًا على الكذب، وإثمًا على ذلك الإضرار، وإن كان في الكذب مصلحة راجحة زال وزره، وحصل أجر تلك المصلحة من حفظ النفوس والأبضاع والأديان والأموال، ومن أقر على نفسه كاذبًا فقتل أو قطع طرف أو جلد أو بضع، كان عليه وزر الكذب ووزر السبب إلى القطع والقتل والجلد وتفويت البضع.

والصدق الذي لا يضر ولا ينفع مباح، فإن أضر كان فيه إثم ذلك الإضرار على اختلاف مراتبه، فمن دل ظالمًا على مالٍ معصومٍ أو بضع أو نفس أو غير ذلك من الحقوق، فلا إثم عليه من جهة كونه صادقًا، وعليه إثم الدلالة على ذلك الإضرار.

والصدق النافع لا أجر فيه لكونه صدقًا، وفيه الأجر من جهة ما تضمنه من المصالح على اختلاف رتبها، والغيبة إن ضرت كان فيها إثمها وإثم ذلك الإضرار، وإن نفعت جازت وكان فيها أجر ذلك النفع على اختلاف مراتبه، فجرح من شهد بقتل نفس أو قطع طرف أو استحلال بضع أفضل من جرح من شهد بمنفعةٍ أو مالٍ؛ لأن حفظ النفس والأبضاع والأطراف أفضل من حفظ الأموال، ولا إثم في النميمة الضارة من جهة كونها /، ولكن إثمها على قدر ما تجره من الأضرار، فإن كان فيها نصح للمنموم إليه كان أجرها على قدر مرتبة ما حصلته من المصالح، فالنميمة لحفظ النفوس أفضل من النميمة لحفظ الأبضاع، وحفظ الأبضاع أفضل من حفظ الأموال، ولا تقدر (ق٩٩-ب)

الأجور والآثام إلا بالمفاسد والمصالح دون الأفعال، فقد يتضمن الفعل الواحد مفاسد كثيرة، كمن وطيء أمه في البيت الحرام وهما محرمان صائمان في رمضان فإنه يأثم بقطع الرحم، والزنا، وانتهاك حرمة البيت الحرام وإفساد النسك والصيام، ويلزمه حد الزنا وكفارة إفساد النسك، وكفارة إفساد الصوم، والتعزير على انتهاك حرمة البيت الحرام؛ لأنه حقق تلك المفاسد كلها بفعلٍ واحدٍ فسرت عليها كفاراتها وعقوباتها وآثامها. ولو عزل الإمام واليًا ظالمًا بقتل النفوسٍ وهتك الأبضاع وسلب الأموال وغير ذلك من أنواع المظالم، فإنه يؤجر بكلمة العزل على دفع كل مفسدة من هذه المفاسد مع اتحاد الكلمة، والمجاهد في سبيل الله يثاب على إعزاز الدين وعلى محو الكفر، وعلى صون دنيا المسلمين وأبضاعهم وحرمهم وأطفالهم، وعلى ما يحصله لهم بالقتال من الفيء والغنيمة والجزية، وعلى ما يدخله عليه من إذهاب غيظهم وشفاء صدورهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأطفالهم، وكلما عظمت مصالح الفعل، عظمت درجته عند الله؛ إذ يثاب فاعله على جميع مصالحه، وكلما عظمت مفاسده عظم إثمه؛ إذ يتعرض للعقاب والمقت على كل مفسدةٍ من مفاسده.

ومن المصالح الخفية ما لا يفهمه إلا العلماء لغلبة غيره عليه، وذلك كالجماع المأذون فيه، فإنه يغلب عليه قضاء الوطر، وفيه مصلحة إعفاف الواطئ والموطوءة، وكفهما عن الزنا الذي هو من أكبر الكبائر؛ ولذلك قال ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة»[1]، وكذلك قد يثاب الإنسان على أكله ونومه، إذا قصد بهما التقوي على الطاعة، /وعلى بعض المزاح إذا قصد به خير الممزوح معه، وعلى ذلك يحمل مزاح الأنبياء عليهم السلام، فكم من راقد على فراشه وهو سائر إلى الله، وكم من آكل وشارب ومازح وملاعب متقرب إلى الله بمقصده في ذلك، وكم من راكع وساجد وناسك وعابد يظن أنه مقبل على الله تعالى وهو هارب منه، وسائر إليه وهو راحل عنه، وذلك لسوء مقصده وخبث طويته وفساد سريرته، فمنهم من يشعر بذلك ولكنه يتعالى عنه، ومنهم من يخفى عنه ذلك لعظم جهالته وفرط غباوته، وهم يحسبون أنهم

---

(١)رواه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر مرفوعًا.

يحسنون صنعًا، فالسعيد كل السعيد من جعل الكتاب والسنة دليله فلن يضل من اهتدى بهما، فمن وافقهما وقبل نصحهما، وعمل بموجب دلالتهما كان قربه من الله على قدر ما وافقهما فيه من ذلك، ومن خالفهما أو خالف شيئًا منهما كان بعده من الله على قدر مخالفته لهما أو لأحدهما، وليس في الأرض من أخبرنا ربنا أنه يحبنا إن اتبعناه ويهدينا إن أطعناه إلا سيد المرسلين ورسول رب العالمين قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]،وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]،وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء:٨٠]،﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]،فمن شاء فليقل، ومن شاء فليستكثر، فعليكم بسلوك طريقته، والاقتداء بخليفته لعلكم تفلحون.

وعند الصباح يحمد القوم السرى



الباب التاسع [عشر] (١)
في حسن العمل بالظنون الشرعية

لما كان يسعى العباد لجلب المصالح العاجلة والآجلة، ودفع المفاسد العاجلة والآجلة جاءت الشريعة باتباع الظن في ذلك؛ لغلبة صدق الظن وندرة كذبه، ولذلك لم تزل المصالح الغالبة خوفًا من مفاسد نادرة، ولو اعتبر الشرع اليقين في العبادات/ (ق١٠٠-ب) والمعاملات وسائر التصرفات لفاتت مصالح كثيرة، خوفًا من وقوع مفاسد يسيرة، بل في بعض المصالح ما لو بني على اليقين لهلك العباد وفسدت البلاد ، وقد يكون الورع في ترك العمل بالظن عند ظهور احتمال المفاسد والمصالح، وكل احتمال يؤدي اعتباره إلى تعطيل المصالح المشروعة، أو جلب المفاسد المدفوعة فهو مطرح لا لفتة إليه.

وسأذكر فصولا تشمل على أمثلة يتبين بها أن العمل بالظن هو الأصلح للعباد في أولاهم وأخراهم، وأنه لو أهمل العمل بالظن؛ لأدى إلى فساد الدنيا والدين.

الفصل الأول في العبادات

وفيه أمثلة:

الأول: طهارة الحدث: لو اعتبر فيها باليقين لم تصح، ولتعطل ما يبنى عليها من صلاة وطواف وسجود وقراءة وحمل مصحف، ولبث في المساجد واعتكاف، ووطء المغتسلة من الحيض، وغير ذلك من القرب المبنية على نفل الطهارة وفرضها فإنه لا

---

(١) حُرف في الأصل إلى العشرين، وهو تحريف ووهم ظاهر، والصواب ما أثبت؛ لتسلسل الأبواب التي أوردها المصنف.

يتيقن طهارة في مائها إلا في غاية الندور، فإنه لو انغمس في بحر لم يأمن أن يلاقي بدنه نجاسة حيوان بحري، وذلك مختلف فيه بين العلماء، ولا قطع في مواقع الخلاف، ولو وقف في مطرٍ فغسل جميع بدنه لم يأمن أن يكون على بدنه نجاسة خفية، وفي صحة طهارته إذ ذاك خلاف، مبني على أن الماء هل يرفع الحدث والخبث أو لا يرفع إلا أحدهما، ولا قطع مع هذا الخلاف، ولا ورع في اجتناب الاحتمال في هذا الباب، إلا فيما قرب من الاحتمالات في وجود أسبابه، وكذلك الحكم فيما يؤكل ويشرب ولا يتورع من احتمال نجاسته إلا عند ظهور أمارات الاحتمال، وطهارة الحدث في ذلك كطهارة الخبث.

المثال الثاني: التيمم والاستجمار: لو اعتبر فيها اليقين لم يصحا لجواز نجاسة التراب والأحجار نجاسة من حيوان بري أو إنسي أو طائر أو إنسان، ولا تورع إلا عند ظهور احتمال النجاسة كما في الماء؛ لأن الورع عند بعد الاحتمال ضرب من (ق١٠١-أ) الوسواس /وكذلك لا يجب أن يقطع المتيمم بفقد الماء، ولا يتحقق كثير من الأعذار المبيحة للتيمم، ولا سيما العذر الذي اختلف فيه العلماء.

المثال الثالث: الدباغ: لو اعتبر فيه اليقين لم يطهر به جلد لاختلاف العلماء في ذلك، ولا يقين مع ظهور اختلاف، ولو وجب الخروج عن الخلاف لوجب على المقلدين الأخذ بالتحريم فيما اختلف في تحريمه وبالوجوب فيما اختلف في وجوبه، وهذا خلاف ما درج عليه السلف والخلف من عدم الإنكار على من قلد القائلين بنفي التحريم وبنفي الإيجاب.

المثال الرابع: الحيض: لو اعتبر فيه اليقين لم يثبت ولفاتت مصالح ما يبنى عليه من الأحكام، كالعدد وتحريم الوطء وتحريم الصلاة والصيام، إذ من الجائز أن ينقطع دم الحيض ويخلفه دم الاستحاضة على أدوار، ولا تورع في مثل هذا الاحتمال ولا من نظائره؛ لإفراط بعده، ولعله لم يقع في العالم نظيره.

المثال الخامس: الأوقات: لو اعتبر فيها اليقين لفاتت فضائل أوائل الأوقات على أكثر الناس؛ إذ لا سبيل لهم إلى العلم بذلك، ولمثل هذا شرع الأذان.

المثال السادس: الأذان: لو اعتبر فيه اليقين لما صح؛ إذ لا يقطع بإيمان المؤذن ولا

بصدقه في دخول الأوقات، ولا ورع في مثل هذا إلا أن يقرب الاحتمال فيه، مثل أن يؤذن من يتهم بالكفر والزندقة.

السابع: شرائط الصلاة: لو شرط فيها اليقين لم تحصل؛ إذ لا قطع باستقبال عين القبلة إلا لمن كان بالحرمين، ولم تصح طهارة حدث ولا خبث في بدن المصلي ولباسه ومصلاه، ولا تورع إلا عند ظهور الاحتمال.

المثال الثامن: الاقتداء في الصلوات: لو اعتبر فيه اليقين لما صح، إذ لا يقطعن بإيمان الإمام ولا بطهارةٍ من الحدث والخبث ولا بنيته ولا بإتيانه بما يخفى من أركان الصلاة، ولا ورع في ذلكٍ إلا عند قيام أسباب الاحتمال كالاقتداء بمن يتهم بالزندقة/ (ق١٠١-ب)
وفساد العقيدة، أو يعرف بقلة تحرزه من النجاسات، أو بجهله بواجبات الصلوات.

المثال التاسع: صلاة المرضى: لو اعتبر فيها اليقين لتعطلت الرخص في أغلب الأحوال، إذ لا ضابط للمرض المبيح للقعود، ولا الإيماء بالركوع والسجود، ولا ورع في ذلك إلا عند الشك في تحقق العذر أو في مظان اختلاف العلماء.

العاشر: الاقتداء في الصلاة في الأبنية المختلفة في المساجد: لو اعتبر فيه اليقين لم يصح؛ إذ لا يقطع بصحة الصلاة فيما عدا المساجد المقطوعة، لجواز أن يكون المسجد غصبًا أو وقفًا على جهة أخرى، فلا تصح الصلاة مع اختلاف أبنيته لاختلاف الفقهاء في ذلك، ولا ورع في هذا إلا أن يشيع في الناس أن ذلك المسجد مغصوب، أو لا يوافق بواقفه؛ لكثرة ظلمه وغشه وتعديه على أموال الناس.

الحادي عشر: قصر الصلوات: لو اعتبر فيه اليقين لم يجز إلا في سفر طاعةٍ لاختلاف العلماء في القصر في سفر المعصية والسفر المباح، ولا ورع في ترك القصر في السفر المباح؛ لبعد المأخذ في منعه ومخالفته لظاهر السنة، وليس من الورع الخروج من كل خلاف، وإنما الورع الخروج من خلاف تقاربت أدلته ومآخذه.

الثاني عشر: الجمعة: ولو شرط فيها اليقين لم تجب؛ إذ لا يقطع شرائط من تنعقد بهم من الحرية ونية الإقامة ولا بطهارة الإمام وبنيته ولا نية الجماعة الاقتداء به، والورع عند ظهور الاحتمال بأن يصلي الجمعة ثم يصلي الظهر.

الثالث عشر: الأعياد: لو شرط فيها القطع لفاتت مصالحها غالبًا إلا إن تيقنا برؤية الهلال أو اكتملنا العدد؛ إذ لا قطع بقول العدول، والورع في ذلك عند ظهور الاحتمال بإعادة العيد وإخراج الفطرة و[التضحية][1] في اليوم الذي يلي يوم العيد.

الرابع عشر: الأحكام/ المتعلقة بالموتى: كالغسل والتكفين والحمل والدفن (ق١٠٢-أ) والصلاة عليهم والاستغفار لهم: لو اعتبر فيها اليقين لم تجب، بل لم تجب الصلاة والاستغفار؛ لاحتمال إخفاء الميت الكفر والزندقة، ولا ورع في ذلك في حق من يسقط بهم الفرض، ولا في حق غيرهم إلا عند ظهور الأسباب في حق من يتهم بالكفر والزندقة، فترك الصلاة عليه والاستغفار له إذا سقط الفرض بالعدد المعتبر أولى.

الخامس عشر: الزكوات: لو اعتبر فيها اليقين لم تجب، ولفات أجر باذلها ورفق آخذيها؛ إذ لا قطع بإيمان باذلها ولا آخذها، ولا استحقاق الآخذ، ولا بملك النصاب، ولا بخلوٍ عن موانع الزكاة: كالديون والنذور والرهون، ولا عبرة باختلاف العلماء في ذلك، فإن ظهر الاحتمال في أوصاف الآخذ، فالورع أن تدفع إلى غيره.

فالذي يجب علينا من الصلوات والزكوات والكفارات والديون والنذور هو المظنون، فنقول: أوجب الله علينا تيقن الصلاة التي أجزأها بظننا وقوع أركانها وشرائطها، ومن إخراج الحقوق المالية فيما نظن أنه مملك لنا خلي من الموانع.

السادس عشر: الصوم: لو اعتبر فيه اليقين لفات صوم اليوم الأول، حيث لا يثبت الهلال إلا بالإشهاد شهادة الأخذ، ولا تورع في ترك الصوم صوم ذلك اليوم.

السابع عشر: الاعتكاف: لو اعتبر فيه اليقين، لم يكد يصح، إذ لا يقطع فيه بالطهارة من الحيض والجنابة، ولو قطع بذلك لم يصح إلا في المساجد الثلاثة وفي مسجد قباء ومسجد منى ومسجد إبراهيم بعرفة، إذ لا يقطع بكون البقعة مسجدًا؛ لجواز كونها غصبًا أو وقفًا على جهة أخرى، ولا ورع في ذاك إلا فيما ظهرت أسباب الاحتمال فيه كوقف مسجد اشتهر بأنه غصب، أو وقف ظالم معروف بالظلم وغصب الأملاك.

---

(١)صحفت في الأصل إلى (النصيحة)، وهو وهم من الناسخ.

(ق١٠٢-ب) **الثامن عشر: الحج والعمرة:** لو اعتبر فيهما/ اليقين لما وجبا حيث يجب وجوبهما على وجود المال، إذ لا يقطع على المال المشروط في الاستطاعة كالزاد والراحلة ونفقة الذهاب والإياب وسائر آلات السفر، فإن تعذر وجود مال آخر خلي من هذه الشبهات فلا ورع، إذ لا ورع في إسقاط العبادات؛ لأن الورع حزم واحتياط لحيازة مصالح العبادات والمعاملات ودفع مفاسدهما؛ فكان الاحتياط في الورع للإيجاب دون الإسقاط؛ ولذلك يجب إخراج الديون والنذور والزكوات والكفارات بالأموال التي تمكنت منها الشبهات إذ لم يجد المكلف سواها.

التاسع عشر: الكفارات: لو اعتبر الشرع اليقين في كفارات الحج والنذور وكفارة القتل الظهار والأيمان لما وجبت؛ إذ لا قطع في شيء منها بملك مؤديها، ولا بخلو ملكه من الموانع كالرهن والنذور وجناية العبد، وكذلك سائر القربات المالية كالضحايا والهدايا والإباحات والضيافات، فإن ظهر الاحتمال في شيء من ذلك لم يسقط وجوبه، وكان الورع في اجتناب إخراجه، ولا ورع في الاحتمالات النادرة.

الفصل الثاني في المعاملات

لو اعتبر الشرع اليقين في البيع والإجازة ونحوهما لم يصح شيء منها؛ إذ لا قطع بأهلية العاقدين ولا بملكهما ولا بخلو ملكهما من موانع التصرف كالرهن، والنذر وجناية العبيد، ولا بطواعية العاقدين؛ لجواز أن يكونا أو أحدهما مكرهًا، وإذا تعذرت التصرفات المتعلقة بالمنافع والأعيان تعذر [الانتفاع][1] بالمآكل والمشارب والمساكن والمراكب ووطء الإماء واستخدام الأرقاء، ولفات الارتفاق بجميع المنافع والأعيان إلا في حال الاضطرار، ولو صبر الناس إلى حال الاضطرار لعجزوا عن الصنائع والعبادة والجهاد، واستولى الكفار على البلاد فقتلوا الرجال وأخذوا/ الأموال وأسروا النساء (ق١٠٣-أ) والأطفال ولا يخفى ما في ذلك من الفساد، ولا ورع إلا فيما يظهر من هذه الاحتمالات، والمفسدة المتوهمة في الأموال أن تكون مستحقة لغير من هي بيده وورعه أن يدفعها إلى من يتوهم أنه يستحقها، أو يتملكها منه بسبب من أسباب التمليك،

---

(١)في الأصل: (الارتفاع)، وهو وهم وتحريف ظاهر، والصواب ما أثبت.

فإن جهله فإن لم يتوقع معرفته صرفها إلى متولي بيت المال، إلا أن يكون جائزًا، فيتولى من هي بيده صرفها في مصارف بيت المال، وإن لم ييأس من معرفته حفظها إلى أن يعرفه، أو دفعها إلى الحاكم الموثوق به، ليحفظها إلا أن يظهر مالكها فيعطاها، أو ييأس من معرفته فتصرف في مصارف بيت المال، وإن كانت الشبهة لتوهم وقف، فالورع أن يقفه على تلك الجهة بجميع شرائطها وأوصافها، ونحن نذكر أنواعًا من التصرفات.

النوع الأول: عقود الارتفاق: كالقرض، والرهن، والشركة، والصلح، والعارية، والوديعة، والوكالة، والحوالة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، لو اعتبر فيها اليقين لم تصح، ولفات ارتفاقها، إذ لا يقطع بأهلية العاقد ولا تملكه لما بذله من عين أو صفة؛ لأن منافع نفسه يجوز أن تكون مستحقة بإجارة سابقة، ولا يخلو ملكه عن الموانع، ولا ورع في هذه التصرفات إلا عند ظهور الاحتمال.

الثاني: الديون: لو اعتبر فيها اليقين لما ثبتت؛ إذ لا قطع بأهلية العاقد ولا بملكه لما بذل ولا بطواعيته، ولا بخلوه من الموانع كالرهن والنذر.

الثالث: ضمان المتلفات كالغصوب وغيرها، لو اعتبر فيها اليقين، لما وجب، إذ لا قطع بأن المتلف ملك للمتلف عليه، ولا بأنه لم يأذن بإتلافه، ولا بأنه لم يبرئ من الضمان و لم يتعوض عنه.

الرابع: الحوالة: لو اعتبر فيها اليقين لم تصح؛ إذ لا قطع بأهلية المتعاقدين، ولا بثبوت واحد من الدينين، ولا يخفى الورع عند ظهور الاحتمال.

الخامس: الرد بالعيب: لا قطع فيه ببقاء ملك المشتري، ولا بانتفاء موانع الرد، ولا بجهله به حال البيع ولا بإسقاط حقه بتأجير أو عفو.

(ق١٠٣-ب) **السادس**: / **الشفعة**: لاقطع فيها بملك الشفيع، ولا بملك المشتري، ولا بأهليتهما، ولا بسقوط الشفعة بعد ثبوتها ولا بامتناعها بجهالة الثمن وتعذر معرفته، ولا يخفى الورع في الترك عند ظهور الاحتمال.

السابع: رد المغصوب: لو شرط فيه اليقين لم يجب رده ولا ضمانه؛ إذ لا قطع

بملك المغصوب منه، ولا بانتفاء ملك الغاصب وانتفاء استحقاقه لليد بإجارة أو رهن أو وقف من المالك أو تمليك سابق أو لاحق.

الثامن: أداء الديون ورد الأمانات والعواري: لو اعتبر فيها اليقين لم يجب؛ إذ لا قطع بسقوط الدين بمعاوضة أو إبراء، ولا بانتقال الملك في العواري والأمانات إلى من هي بيده أو استحقاقه لليد برهن أو إجارة.

التاسع: التبرعات: كالعارية والهبة والعمرى والرقبى والضيافة والإباحة والهدية والصدقة لو اعتبر فيها اليقين لم يصح؛ إذ لا قطع بأهلية الباذل ولا بملكه، ولا بخلوه من الموانع.

العاشر: قبول الأمانات: كأموال اليتامى والمجانين والغائبين وأموال بيت المال لو اعتبر فيها اليقين لم يصح ولم يجز قبولها؛ إذ لا قطع فيها بالملك، ولا بخلوه من الموانع، ولا ورع في تركها لوجوب قبولها.

الحادي عشر: اللقطة: لو اعتبر فيها اليقين، لم يجب ردها بوصفها ولا بقيام البينة بها؛ إذ لا تفيد الشهادة القطع، وإذ لم يجب ردها لم يجب تعريفهاإذ لا فائدة فيه.

الثاني عشر: إخراج المعادن والركاز: لو شرط فيهما القطع لم يملكا؛ لجواز أن يكونا قد ملكا بإحياء أرضهما أو بحيازة الركاز، ولا ورع في ذلك إلا أن تظهر أمارات الملك، وكذلك إحياء الموات.

الثالث عشر: المواريث: لو اعتبر فيها اليقين لما ثبتت؛ إذ لا قطع فيها بملك المورث ولا باتفاق دين الوارث والمورث ولا بخلو الوارث من الموانع كالرق والقتل وحجب النقصان وحجب الحرمان.

الرابع عشر: العتق والكتابة / والتدبير والاستيلاد: لو اعتبر فيها اليقين لما ثبتت؛ إذ لا يقطع فيها بالرق؛ وإن قطع بالرق لم يقطع بأنه للمعتق والمستولد، ولا بخلوٍ من الموانع، ولا ورع في ذلك بعد إيقاعه، إلا أن يكون من يتوهم استحقاقه موجودًا فيلتمس منه إنشاء العتق، أي: فليتعاوض العتيق ثم يعتق بعد المعاوضة. (ق١٠٤-أ)

الفصل الثالث في النكاح وتوابعه

لو شرط في الأنكحة اليقين لم تصح، ولفات مقاصد النكاح من الأنساب والتناسل والعفة، وكل ما يتعلق بالأنساب، والمصاهرة من المصالح، إذ لا يقطع باتفاق دين الزوج والزوجة ولا بأهلية الولي ولا بعدالة الشهود ولا بخلو الزوجة من موانع النكاح كالمحرمية، والمصاهرة والإحرام والرضاع واللعان والعدة والزوجية، ولفات النكاح كالمهر والنفقة والكسوة والسكنى وطواعية الزوجة، ولبطلت التصرفات التابعة للنكاح كالخلع والطلاق والإيلاء واللعان، وفي موانع النكاح الأنساب والنفقات، لو شرط في النسب اليقين لما ثبت ولفات ما يبنى على النسب من نفقة وكسوة وسكنى وحضانة وتحمل عقل وإرث وولاية على بضع ومال؛ فإنا لا نقطع بالنسب على الأم ما لم يشاهد الولادة عدد التواتر، ولا بالنسب إلى الأزواج؛ إذ لا يقطع بأن الولد خلق من ماء الزوج، ولا يمكن التورع في هذا الباب، ثم إن الأنساب تلحق بالاحتمال البعيد، فإن ظهرت العلامات فالورع في ذلك بأن تحتجب بنات من يلحقه النسب وأخوته من الولد المشكوك في لحاقه، كما أمر رسول الله ﷺ سودة أن تحتجب من ابن وليدة زمعة[1] مع أنه ألحقه بأبيها وحكم بأنه أخوها، لكنه لا يمنع من إرث، وإن / صارت إليه ولاية النكاح فينبغي أن يفوض ذلك إلى من يتولى النكاح بعد عدم المشكوك في نسبه. (ق١٠٤-ب)

الفصل الرابع في الحدود والقصاص

لو شرط اليقين في القصاص لما ثبت ولأريقت الدماء وأبينت الأعضاء؛ لجواز إباحة دم المجني عليه بكفرٍ بعد إيمان أو زنى بعد إحصان، أو إصرار على ترك الصلوات أو لكونه أذن في الجناية عليه، أو لجواز إبرائه من القصاص بعد وجوبه بعفوٍ أو أخذ دية، مع أنا لانقطع بأسباب ولاية القصاص من النكاح والولاء والنسب، ولا بانحصار الورثة فيمن يطلب القصاص، وإن قطعنا بذاك كله فلا قطع بثبوت ذلك عند الحاكم لجواز كذب البينة، أو كذب الجاني في إقراره على نفسه، ولو علم الحاكم بذلك لم

---

(١) رواه البخاري (٦٧٤٩)، ومسلم (١٤٥٧) عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعًا.

يقطع به لجواز إبرائه منه بعفو، أو صلح مع الجاني أو مع أجنبي، ولا ورع في ترك الاقتصاص للحاكم عند ظهور أسباب سقوطه إلا بالإصلاح لكن يتورع الولي، وأما الحدود فلو اعتبر فيها اليقين لما ثبتت ولفاتت مصالح زجرها وكثر العبث والفساد وهي أقسام:

أحدها: حد الزنا: يحتمل أن تكون الموطوءة أمة الواطىء أو زوجته بحيث لا يشعر بأن ملكه أبوه الأمة أو زوجه للزوجة في صغره بحيث لا يشعر أو تزوجها بنفسها فوطأها، وهو يظنها أجنبية، أو وطأ بشبهةٍ أو إكراه، والورع فيه متعذر؛ لأنه إذا أثبت بالبينة وجب إقامته.

الثاني: حد السرقة: يحتمل أن يكون المال المسروق وحرزه ملكًا للسارق، أو أن يكون مستحقًا لقبضهما بإجازة أو رهن أو وقف، فإن يكن المالك أذن له في أخذها أو لاختلال حرزها، ولا ورع في ترك القطع بعد وجوبه بالبينة.

الثالث: حد قاطع الطريق: القطع به كالقطع بالسرقة والقتل به كالقتل بالجناية، فلو اعتبر فيه اليقين/ لما وجب ولا ورع في تركه بعد وجوبه. (ق١٠٥-أ)

الرابع: حد القذف: لو اعتبر فيه اليقين لما وجب؛ إذ لا قطع فيه بإحصان المقذوف وعفته عن الزنا، والورع المستحق عند ظهور العلامات أن يعفو عنه، أو يقتص على قدر التعزير.

الخامس: حد الخمر: ولو اعتبر فيه اليقين لم يجب؛ إذ يحتمل أنه شربها مكرهًا أو مداويًا أو جاهلا بكونها خمرًا أو شربها لغصةٍ تخطره، ولا ورع في تركه بعد ثبوته.

الفصل الخامس في الجهاد وتوابعه

لو اعتبر فيه اليقين لم يجب لضرورة مرهقة؛ إذ لا يقطع فيه بحل الكراع والدرع [...][1] فإن ظهر الاحتمال في ذلك، ولم يمكن بغير ذلك المال لم يسقط وجوبه بذلك؛ لأن مصلحته تربى على مصلحة ذلك الاحتمال وفي توابع الجهاد أنواع:

---

(١)ما بين [ ] كلمة غير واضحة ورسمها (والحسّر).

أحدها: إسلام الحربي: لو اعتبر فيه اليقين لما ثبت؛ إذ لا يقطع بصدقه فيما أخبر عنه من إضماره الإيمان.

الثاني: الأسر: لو شرط فيه اليقين لما جاز الاحتمال أن يكون الأسير مسلمًا يكتم إسلامه أو مملوكًا لمسلم أو معاهد أو ذمي.

الثالث: أخذ الفداء: لو اعتبر فيه اليقين لما أخذ، لما ذكرناه في الأسر؛ لأن مال الفداء يمكن أن يكون وديعة لمسلم أو معاهد أو ذمي.

الرابع: إرقاق النساء والأطفال: لو اعتبر فيه اليقين لم يثبت؛ لما ذكرناه في الأسر، لجواز أن تكون الحربية زوجة لمسلم أو مملوكة له وولدها منه.

الخامس: سلب القاتل والفيء والغنيمة: لو اعتبر فيها اليقين لم تؤخذ؛ لجواز كونها لمسلم أو معاهد أو ذمي، ولا ورع في مثل هذا الاحتمال البعيد.

السادس: عقد الذمة: لو اعتبر فيه اليقين لم يصح؛ لجواز أن يكون العاقد من قوم لا يؤخذ منهم الجزية، وقد دلس علينا بأنه من أهل الكتاب، ولا ورع في مثل هذا.

السابع: أخذ الجزية والعشر: ولا قطع فيه بملك باذليه، ولا بانتفاء موانع الدفع.

/ الفصل السادس في الولايات وتوابعها (ق١٠٥-ب)

لو اعتبر في الولايات القطع لم يصح ولاية خاصة ولا عامة، ولأدى ذلك إلى تعطيل مقاصد الولايات من جلب المصالح ودفع المفاسد، ولظهر العناد وكثر الفساد، وظهر التقاتل والتخاصم، واستولى القوي على الضعيف، والدني على الشريف ولم يقتص من جانٍ، إذ لا يقطع في شيء من الولايات بإيمان المتولي ولا بعدالته ولا بأهليته وكفايته.

وكذلك لا يشترط اليقين في الشهادات، إذ لو شرط لفات كل ما يتعلق بالشهادة من انعقاد الأنكحة وإثبات الحقوق وإسقاطها واستيفائها.

وكذلك لو شرط اليقين في الحكام وقوام الأيتام لفات ما يتعلق به من ذلك من حفظ أموال الأطفال والمجانين والغائبين، ولفات توفر الحقوق على المستحقين وإنصاف

المظلومين من الظالمين، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد العامة والخاصة، ولا ورع في ذلك، إلا أن يظهر الاحتمال فيمن ينصب لذلك فالورع أن يعدل عنه إلى من لا ريبة فيه، وكذلك تورع أهل الحل والعقد فيمن يولونه الولاية العظمى.

ولا يشترط قطع الحاكم بمدارك حكمه وقضائه وهي أربعة:-

أحدها: الشهادة: ولا قطع بصدق النية ولا ورع إلا بالتوقف والبحث حتى تزول الريبة، فإن لم تزل بعد البحث التام تغير الحكم وتعذر الورع.

الثاني: الإقرار: ولا قطع فيه لجواز كذب المقر على نفسه، وكراهته عليه، أو عدم أهليته، فإن ظهرت الأمارات في شيء من ذلك، فالورع في البحث عنه، كما بحث رسول الله ﷺ عن عقل ماعز لما أقر بالزنا[١].

الثالث: يمين الرد: ولا قطع بصدقها؛ لجواز كذب الحالف فيها، والورع فيها عند ظهور أمارات الكذب بالسعي في صلحٍ مشروع.

الرابع: علم الحاكم: ولا يحصل به القطع؛ لجواز أن يكون المستحق قد أسقط حقه بعفو أو معاوضة أو تمليك أو وقف أو صدقة أو عتق أو غير ذلك من أسباب الإسقاط، وكذلك لا يشترط علم الشاهد/ ببقاء الحق حال الأداء؛ لجواز أن يكون ما (ق١٠٦-أ)
عرفه من الحق قد أسقط بسبب من أسباب الإسقاط.

الفصل السابع في أحكام الشرع

لا يجب الأخذ باليقين في الإيجاب والتحريم ولا الكراهية والندب ولا الإباحة والتحليل، بل يكفي في ذلك الظن المستند إلى الأسباب الشرعية وكذلك لا يشترط اليقين في وجود العلل الشرعية ووجود شرائطها وانتفاء موانعها، وكذلك لا يجب القطع بصدق الراوي والمفتي، ولو شرط ذلك، لفات معظم الأحكام في حق العلماء

---

(١)رواه البخاري (٥٢٧١)، ومسلم (١٦/١٦٩١) عن أبي هريرة، ورواه البخاري أيضًا (٥٢٧٠) عن جابر بن عبدالله، ورواه مسلم (١٦٩٥) عن بريدة مرفوعًا.

والعوام وكل ما وجب لله أو لعباده فلا يجب التفصّي عنه بيقين بل يكتفى في الخروج عن حقوق الله تعالى وحق عباده بالظنون المشروعة في مثل ذلك الحق.

وباب الورع مفتوح إلا أن يتعذر اعتباره، فيتطهر بالماء المشكوك في نجاسته، وتؤدى الحقوق الشرعية وغيرها بالمال المشتبه إذ لم يجد غيره؛ لرجحان مصلحة الإيجاب على مصلحة الاجتناب فيجب أداء الحج والدين والكفارة والنذر على من لم يجد إلا المال المشتبه.



الباب العشرون
في الورع

وفيه فصول:

فصل..

الورع حزم واحتياط لفعل ما يتوهم من المصالح وترك ما يتوهم من المفاسد، وأن تجعـــل موهومتها كمعلومتها عند الإمكان فكل فعل تحققت مصلحته فهو واجب أو مندوب أو مباح، فإن تردد بين الواجب والندب أو الواجب والمباح أتى به على صفة الواجب تحصيلا لما يتوهم من مصلحة الإيجاب؛ وإن تردد بين المندوب والمباح أتى به علــى صفة المندوب تحصيلا لما يتوهم من مصلحة الندب، وكل فعل تحققت مفسدته فهـــو حـــرام أو مكـــروه أو معفو عنه لجهل أو غفلة أو نسيان فإن تردد بين المحرم والمكـــروه، أو بـــين المحرم والمباح، أو بين المكروه والمباح، فالورع اجتنابه/، دفعًا لما يـــتوهم من مفسدة المكروه أو الحرام، وكل فعل توهمنا اشتماله على مصلحة ومفسدة فـــإن كانت مصلحته أرجح من مفسدته فالورع في فعله تنزيلا للموهوم منزلة المعلوم، فإن كانت مفسدته أرجح من مصلحته فالورع في تركه تنزيلا للموهوم منزلة المعلوم، فـــإن اســـتوت مصلحة ومفسدة احتمل أن يقال: لا ورع فيه تنزيلا للموهوم منزلة المعلوم، ولو اختلط ما تمحصت مصلحته - أو رجحت على ما تمحصت مفسدته، أو رجحت، فإن غلب ما تمحصت مصلحته - كما لو اختلطت أخته من الرضاع بأهل بلدة، أو درهم محرم بدراهم بلد أو شاة محرمة بشاة بلد فذاك حلال بين، وإن غلب ما تمحصت مفسدته كما لو اختلطَ درهم حلالٌ بألف حرامٍ، أو شاة حلال بألف حرام فحـــرام بين، وكذلك لو اختلط العدد اليسير بمثله كاختلاط ثلاثة أثواب طاهرة بثلاثة أثواب نجسة، وإن اختلط عدد كثير بعدد كثير - كما لو اختلط حمام بلد مملوك بحمام (ق١٠٦-ب)

بلد مباح - فقد اختلفت في تحريمه، وكلما كثر الحلال خف الورع، وكلما كثر الحرام تأكد الورع، والرجوع في ذلك إلى ما يجده المكلف من نفسه وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(١).

فصل في بيان الاحتياط

كل من فعل ما اتفق على إيجابه أو اختلف فيه، واجتنب ما اتفق على تحريمه أو اختلف فيه، واجتنب كل مفسدة موهومة وأتى كل مصلحة موهومة، فنعم ما صنع لإتيانه بأعلى مراتب الورع، وقل من يفعل ذلك أو يقدر عليه، وكل من ترك ما اتفق على إيجابه أو اختلف فيه، وفعل ما اتفق على تحريمه أو اختلف فيه، وأتى بموهوم المفاسد واختلف فيه، وترك موهوم المصالح فبئس ما صنع.

والورع في العبادات والمعاملات بالإتيان بأركانها وشرائطها المجتمع عليها والمختلف فيها واجتناب مفاسدها الموهومة وفعل مصالحها الموهومة، فمن حفظ المتفق عليه وواقع المختلف فيه، كان معتقدًا لتحريم فعله أو تركه فقد أثم، وإن لم يعتقد ذلك لم يأثم، لأنه إن قلد بعض العلماء فلا حرج على المقلدين لاتفاق المسلمين على ذلك في الحديث والقديم، فلا ينكر /الشافعي على الحنفي فيما يعتقده إذ لم يتطهر من مس النساء، والحنفي على الشافعي إذا احتجم وصلى من غير تجديد وضوء ولا على المالكي إذا تزوج بغير شهود أو ترك بسملة الفاتحة في صلاته. (ق١٠٧-أ)

فصل في بيان الشبه

قال الطَّيِّلاً: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»(٢)، كل ما حل بوصفه وسببه فهو حلال بين، وكل ما حرم بوصفه وسببه فهو حرام بين، وما اختلف العلماء في وصفه أو في سببه، أو وصفه دون سببه أو سببه دون وصفه، أو فيهما فهو محل الاشتباه،

---

(١)رواه الإمام أحمد (١/٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/٢٣٧)، والحاكم (٢/١٣، ٤/٩٩) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢)رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير مرفوعًا.

ومراتب الورع فيه على حساب مراتب أدلة تحريمه وتحليله في القوة والضعف، فإن قويت أدلة التحريم تأكد الورع، وإن ضعفت خف الورع.

مثال ما أحله الله بوصفه: الحنطة والشاة خلقهما الله تعالى على صفة تقتضي تحليلهما، فلا تحرمان إلا بالأسباب الفاسدة كالغصب ونحوه، فإن أخذا بسبب مجتمع عليه فكلاهما حلال بين، وإن أخذا بسبب مختلف فيه فقد اشتبها بسببهما لا بوصفهما.

مثال الحرام البين: الميتة والدم فإنهما محرمان بوصفهما، فلا يحلان إلا من جهة الأسباب كالاضطرار والإكراه، فإن كانت تلك الضرورة أو ذلك الإكراه متفقًا عليهما فالميتة والدم حينئذ حلال بين، وإن كانا مختلفا فيهما فمراتب الورع في الاجتناب مبنية على مراتب الأدلة في القوة والضعف.

مثال ما اختلف فيه لوصفه: الضبع فإن نابها تقتضي تحريمها إذ «حرم الرسول ﷺ كل ذي ناب من السباع»[1]، فإن أخذت بسبب متفق عليه، فالشبهة فيها من قبل وصفها وهو نابها، وإن أخذت بسبب مختلف فيه، فقد أتاها الاشتباه من قبل وصفها وسببها فلتتبع في ذلك وأمثاله رتب الأدلة، والمشتبهات وما أشبه الحلال من وجه وأشبه الحرام من وجه إما بوصفٍ أو بسببه وإما بالتباسه / بغيره، والشبهات منحصرة (ق١٠٧-ب) في التردد بين المصالح والمفاسد فيما تجردت مصلحته من غير تحقق مفسدة أو توهمها، فلا ورع فيه وما تجردت مفسدة من غير تحقق مصلحة أو توهمها فلا ورع فيه لاختصاص الورع بمواقع الاحتمال.

فصل في الإنكار

الإنكار متعلق بما أجمع على إيجابه أو تحريمه، فمن ترك ما اختلف في وجوبه أو فعل ما اختلف في تحريمه، فإن قلد بعض العلماء في ذلك فلا إنكار عليه، إلا أن يقلده في مسألة ينقض حكمه في مثلها، فإن كان جاهلا لم ينكر عليه، ولا بأس بإرشاده إلى

---

(١)رواه البخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢) عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا.

الأصلح، وإنما لم ينكر عليه، لأنه لم يرتكب محرمًا فإنه لا يلزمه تقليد من قال بالتحريم ولا بالإيجاب، ولا يلزم العامي التزام مذهب معين؛ فإن الناس في زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى أن ظهرت المذاهب لم يزالوا يقلدون العلماء في الوقائع المختلف فيها من غير التزام لمفت معين، ولم ينكر ذلك أحد من العلماء ولم يقل أحد من المفتين لمن استفتاه إذا استفتيتني فلا تسأل غيري؛ وهذا مما نعلمه بالضرورة، ولا بأس بإرشاد العامي إلى ما هو الأحوط في دينه، ولا بمناظرة المجتهد ليرجع إلى الدليل الراجح، واختلاف العلماء رحمة، وعلى هذا فلا يجوز الإنكار إلا لمن علم أن الفعل الذي ينهى عنه مجمع على تحريمه، وأن الفعل الذي يأمر به مجمع على إيجابه، ونعني بالنهي عن الإنكار أن لا ينكره إنكار الحرام ولو أنكر إنكار الإرشاد أو أمر به أمر النصح والإرشاد فذاك نصح وإحسان، ولا يجب الإنكار على من يُعلم أن الإنكار لا ينجع فيه، بل هو محبوب؛ لما فيه من نصح المسلم، فإن قدر على إزالته بيده لزمه ذلك، إلا أن يخاف على نفسه فسقط الوجوب ويبقى الاستحباب؛ لأن المخاطرة بالنفوس في إعزاز الدين مشروعة، ولذلك قال ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[1]، جعلها أفضل الجهاد؛ لأن المنكر قد بذل نفسه بحيث لا يقدر على تخليصها بخلاف المجاهد فإنه يتوقع أن يقتل قرنه ويخلص فلم يكن بذله لنفسه كبذل المنكر على السلطان الجائر.

/ وفقنا الله للإقبال على طاعته والكف عن معصيته، وجعلنا من أنصار ملته (ق١٠٨-أ) الآخذين بهدي رسوله وسيرته وأخلاقه وسنته - وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعترته - والحمد لله على إنعامه ومننه.

تم كتاب «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال» بحمد الله وعونه.

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

---

(١)رواه الإمام أحمد (٣/١٩، ٦١)، وأبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجة (٤٠١١) عن أبي سعيد الخدري، وقال عيسى: هذا حديث غريب، ورواه الإمام أحمد (٥/٢٥١، ٢٥٦)، وابن ماجة (٤٠١٢)، والطبراني في الكبير (٨٠٨٠، ٨٠٨١)، عن أبي أمامة، ورواه الإمام أحمد (٤/٣١٥)، والنسائي (٧/١٦١) عن طارق بن شهاب.

كتاب الشجرة

للعلاّمة عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي

ترجمة موجزة للمصنف

هـــو الشيخ العلاّمة الفقيه الحافظ الواعظ: عزّ الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي، وقال صاحب الشذرات وكذلك هديةالعارفين: هو عبد السلام بن محمد بن أحمد بن غانم المقدسي الشافعي المتوفي سنة ٩٧٥هـــ.

والراجح أنه توفيّ سنة ٦٧٨هـــ - ١٢٧٩م.

من تصانيفه:

١- حلّ الرموز ومفاتيح الكنوز.

٢- شرح أحوال بعض الصحابة وبعض السلف الصالح.

٣- طرق الوسائل وتملّق السائل.

٤- كشف الأسرار عن حِكم الطيور والأزهار.

٥- كشـــف الأســـرار ومناقب الأبرار ومحاسن الأخيار بجميل العبارة ولطيف الإشارة.

٦- الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية.

٧- رسالة في تشبيه الإنسان بمملكة كاملة البنيان.

٨- اصطلاحات الصوفية.

٩- تفليس إبليس.

١٠- الروض الأنيق في الوعظ الرّشيق.

١١- الشجرة في الوعظ والفصول – وهو كتابنا هذا -.

وانظر في ترجمته:

- شذرات الذهب (٥/٣٦٢).
- هدية العارفين (١/٥٧١).
- معجم المؤلفين لكمالة (٢/١٤٥).
- العزّ بن عبد السلام لمحمد الزحيلي.



وصف المخطوط

المخطوط الأول الذي اعتمدناه أصلا من محفوظات المكتبة الخالدية بالقدس تحت رقـــم (١١) تصوف. فيلم (٦٢٥)، وهو من مصورات معهد المخطوطات العربية تحت رقـــم (٢٦٧) تصوف وآداب مرتب أبجديًا، تقع في (٤١ ورقة). بهامشه حواشٍ أخرى لا تخص الكتاب.

ونسخت بقلم معتاد خط نسخي، كتبه داود الحنفي الدميري ابن الفاضل العلامة شمـــس الدين محمد الدميري المالكي المعروف، وذكر هذه النسخة كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (٤/٤٣٥) في ترجمة ابن غانم.

وهـــذا الكـــتاب ضمن مجموع يشمل سبع رسائل أكثرها للعز بن عبد السلام سلطان العلماء. ورمز هذه النسخة الأصل (أ).

المخطـــوط الـــثاني: والذي قد تمت مقابلة بعضه على الأصل من محفوظات دار الكتب المصرية، وقد صوّره معهد المخطوطات العربيـــة – حرسه الله – تحت رقـــم (٦٢٢) توحيد وملل – يقع في (٩١ورقة) – ورمزها (ش).

المطبوعة: وهي ما نسبت خطأ للشيخ ابن عربي الطائي، وبه سقط ونقص وخلل كبير، وقد رمزنا لها بالرمز (ع) وقد طبعت قديمًا بالقاهرة.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الإمام العلامة الحافظ الورع الزاهد واحد زمانه وفريد عصره سلطان العلماء أبو محمد عز الدين ابن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه الحمد لله الأحدي الذات الفردي الصفات الذي تقدس وجهه عن الجهات وقدمه عن الحادثات وقدمه عن الخطوات ويده عن الحركات وعينه عن اللحظات واستواؤه عن الانتقالات ونزوله عن الانفصالات وقدرته عن الهفوات وإرادته عن الشهوات الذي لا تتعدد صفاته كتعدد الموصوفات ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات كوّن بكلمة كن جملة الكائنات وأوجد بها جميع الموجودات فلا موجود إلا مستخرج من كنهها المكنون ولا . . . الا مستخرج من سرها المصون قال الله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وبعد فإني نظرت إلى الكون وتكوينه وإلى المكون وتكوينه فرأيت الكون كله شجرة أصل بذرها من حبة كن قد لقحت كاف الكونية بلقاح نون النحن خلقناكم فانعقد من ذلك البذر ثمرة إنا كل شيء خلقناه بقدر فظهر من هذين غصنين مختلفين أصلهما واحد وهو الإرادة وفرعهما واحد وهو المرادات فلما ثبت أصلهما وبدت فروعهما ظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان كاف الكمالية اليوم أكملت لكم دينكم وكاف الكفرية فمنهم من آمن ومنهم من كفر وظهر عن جوهر النون نون النكرة ونون المعرفة فلما أبرزهم كن من العدم على حكم مراد القدم ورش عليهم من نوره فأما من أصابه ذلك النور . . . إلى تمثال شجرة الكون المخرجة من حبة كن ولاح لي في تمثيل كاف فيها كنتم خير أمة أخرجت للناس والتمثيل في شرح نونها نور النورية أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وأما من أخطأه ذلك النور وطلب بكشف المعنى المقصود من حرف كن فإنه غلط في حجائب وحجاب

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة الشجرة



ان كان حل بقلبي سواك لاملت المنى ● وان اوتيت سلوا يوما حرمت رجائي

لولاك ما حن قلبي الى الحما والمنحنى ● ولا احببت [illegible] لولا داء

لا الدوح راق لعيني ● ولا الربوع تشوقني ● ما الانس لولا النساء

ما الملك والاملاك ● اغربت من [illegible] ● تحيرت فيك العداء

[illegible] ● وجار في معناكا ● واحيرة الكلمات [illegible]

[illegible] سبل الرشد ● ومن بدل الحيارى ● الى الطريق سواكا

قد ضل من [illegible] عن بابه فذلك سيدي ● وخاب يا نور عيني

من لم يغر بذكراك ● يا مرضي طبيبي ● فعذبته من طول الجفا

ان كان برؤيتك فتسلى ● روحي تكون فداكا

تم كتاب الشجرة وما يتعلق به من

كلامه رضي الله عنه وارضاه وجعل

الجنة [illegible]

[illegible] والقادر عليه والحمد لله

وحده والصلاة

والسلام على

من لا نبي

بعده

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده حمدًا يليق بجماله، ونستعينه استعانة تليق بكماله، ونستهديه هداية من أقرّ بعظمته وجلاله.

ونصلي ونسلم على النبي المصطفى وآله.

وبعد...

فإن الكمال هدف ينبغي أن يسعى المؤمن إليه في كل زمان وعصر، ولقد سعى إليه الصحابة؛ تأسياً برسول الله ﷺ فكان القدوة الحسنة لهم، ولسائر المسلمين حتى تقوم الساعة.

ولما رأينا هذه الشجرة - التي تمثل غصون الريحان من بذور الإلهام وجذوع الإيقان، لأوراق تزهر الصدق، وتوحد الإحسان -، فسارعنا إلى إخراجها وتحقيقها بنصها عظيم الرّونق والبيان.

فرحم الله مصنفها، وناسخها، ومن قام على إخراجها، ونشر، وشفع فيه صاحب الحوض سيدنا محمد العدنان.

وإليك أخي القارئ هذا العمل المتواضع الذي قمت بنسخه وضبطه ومقابلته وإثبات ما رأينا فروقه، وعزو الآيات إلى سورها والأحاديث لمخرجيها، والتعليق

اليسير لبعض المواضع التي رأينا حُسن الإشارة إليها، وعمل مقدمة يُفهم ويستأنس بها، وما هذا إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من قوله: فسدّدوا وقاربوا».

والله أسأل الإخلاص والقبول وأن يحشرنا في زمرة المصطفى المأمول.

وصَلِّ الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه أحمد فريد المزيدي
باحث المخطوطات الإسلامية والعربية
كلية أصول الدين
جامعة الأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قـــال الشـــيخ الإمام العلامة، الحافظ الورع، الزاهد، واحد زمانه وفريد عصره، سلطان العلماء أبو محمد عز الدين ابن عبد السلام أحمد بن غانم المقدسي - رضي الله عنه وأرضاه - وجعل الجنة متقلبه ومثواه:

الحمـــد لله الأحدي الذات، الفردي الصفات، الذي تقدّس وجهه عن الجهات، وقِدمـــه عـــن [الحادثـــات][1]، وقدمه عن الجهات، ويده عن الحركات، وعينه عن اللحظات، واستواؤه عن الاتصالات، وقدرته عن الهفوات، وإرادته عن الشهوات.

الـــذي لا تُعـــدد صـــفاته [كعدد][2] الموصوفات، ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات، وكون بكلمة «كن» جميع الكائنات، وأوجد بها جميع الموجودات.

فلا موجود إلا مستخرج من كنهها المكنون، [ولا مكنون][3]، إلا مستخرج من ســـرها المصون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

وبعـــد: فإني نظرت إلى الكون وتكوينه، وإلى المكنون[4] وتدوينه، فرأيت الكون كلـــه شجرة، وأصل نورها من محبة «كن» قد لقحت كاف الكونية، بلقاح حبة: - نَحْـــنُ خَلَقْنَاكُمْ - فانعقد من ذلك البزر ثمرة - إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ -، وظهر مـــن هـــذا غصنان مختلفان أصلهما واحد، وهما الإرادة، وفرعهما القدرة، فظهر عن جوهـــره الكـــاف معنـــيان مخـــتلفان، كاف الكمالية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، وكاف الكفرية ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[البقرة:٢٥٣].

---

(١)في (ع) المحدثات.

(٢)في (ع) بعدد.

(٣)ما بين [ ] بياض في (أ).

(٤)في (أ) المكون.

وظهر جوهر النون «نون النكرة، ونون المعرفة»، فلما أبرزهم من كنّ العدم على حكم مراد القدم ورشَّ عليهم من نوره، فأما من أصابه ذلك النور فحدق[1] إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة «كن»، فلاح له في سر كافها تمثال - كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّة — واتضح له في شرح لونها ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُـورٍ مِّـن رَّبِّهِ﴾[الزمر:٢٢].

وأما من أخطأه ذلك النور، فطُولب بكشف المعنى المقصود من حرف «كن» فغلط في هجائه وخاب في رجائه، فنظر إلى مثال كن، فظن أنها كاف كفرية، بنون نكرة، فكان من الكافرين.

وكان حظ كل مخلوق من كلمة «كن»: ما علم من هجاء حروفها، وما شهد من سرائر خفائها، دليله قوله ﷺ «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم رش عليهم من نـوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ذلك النور ضل وغوى»[2].

فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود، فوجد كل موجود دائرًا في دائرة الكون: واحـد من نار، وواحد من طين.

ثم رأى هذه الدائرة على سرائر «كن»، فكيفما دار واسـتدار، وحيثمـا طـار واستطار، فإليها يئول، وعليها يجول، ولا يزول عنها ولا يحول.

فواحد شهد كاف الكمالية، ونون المعرفة.

وواحد شهد، كاف الكفرية، ونون النكرة.

فهو على حكم ما شهد، راجع إلى نقطة دائرة «كن».

وليس للمكوَّن أن يجاوز ما أراده المكوِّن.

فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون، وتنوع ثمارها، علمت أن أصـل

---

(١)أي: نظر بإمعان وتبصّر.

(٢)حديث صحيح: رواه الإمام أحمد في "المسند"، والترمذي في "سننه"، والحاكم في "المستدرك" عن ابن عمر مرفوعًا كما في "الجامع الصغير" للسيوطي (١/٧٠).

ذلك ناشئ من حبة «كن»، بائن عنها.

فلما أدخل آدم في مكتب التعليم، وعلم الأسماء كلها، نظر إلى مثال «كن»، ونظر إلى مراد المكون من المكون، فشهد المسلم من كاف «كن»: كاف الكنزية «كنت كنزًا مختفيًا لا أعرف، فأحببت أن أعرف» فنظر من سر النون: نون الأنانية ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[طه:١٤].

فلما تصحح[١] الهجاء، وحقق الرجاء، استنبط له من كاف الكنزية كاف التكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الاسراء:٧٠]،وكاف الكنتية: «كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا»[٢]، واستخرج له من نون الأنانية: نون النورية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي به فِي النَّاسِ﴾ [الانعام:١٢٢]، واتصلت بها نون النعمة ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨].

وأما إبليس لعنه الله، فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف عام: يتصفّح حروف «كن»، وقد وكله المعلم إلى نفسه، وأحاله على حوله وقوته، فكان ينظر إلى [تمثال][٣] «كن»، ليشهد من [تمثالها][٤] كاف كفره، فتكبّر ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة:٣٤]،ويشهد من نونها: نون ناريته - خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ - فاتصلت كاف كفريته بنون ناريته ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾[الشعراء:٩٤]،

فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة، وتنوع أزهارها وثمارها، فتشبت بغصن ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه:١٤]،فنودي كل من ثمار التوحيد، واستظل بظل التفريد ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾[البقرة:٣٥].

فأراد إبليس: أن يوصله بغصن ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الاعراف:٣٠]،﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا﴾

---

(١)في (ش،ع) فلما صحّح.

(٢)من ذلك الحديث المشهور "وما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به.." الحديث.

(٣)الذي في (أ) مثال.

(٤)الذي في (أ) مثالها.

[طه:١٢١]،فزلقا في مزالق ﴿وَعَصَى﴾ [طه:١٢١]،واستمسك بغصـــن ﴿رَبَّنَـــا ظَلَمْنَـــا أَنفُسَنَا﴾ [العراف:٢٣]،فتدلت عليه ثمار ﴿فَتَلَقَّى﴾ [البقرة:٣٧]، فلما نودي يوم الإشهاد، على رءوس الأشهاد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فشهد كل على مقـــدار مـــا شهد، وسمع، ثم اتفق الكل في الإيجاب، فقالوا – بَلَى – لكن الاختلاف وقـــع مـــن حيث الإشهاد، فمن أشهده جمالية ذاته شهد أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشـــورى:١١]، ومن أشهده جمالية صفاته: شهد أنه - لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ – ومن أشـــهده عرائس مخلوقاته، اختلفت شهاداتهم، لاختلاف المشهود، فقـــوم جعلـــوه محـــدودًا، وقوم جعلوه معدومًا، وقوم جعلوه حجرًا جلمودًا، والكل في ذلك على حكم - قُـــل لَّن يُصِيبَنَا – وهو مستبطن في سر كلمة «كن»، دائر على نقطة دائرتها، ثابت علـــى أصل حبتها.

فلما كانت هذه الحبة بزر شجرة الكون، وبرز ثمرتها، ومعنى صورتها، أحببـــت أن أجعل للمكون مثالا وللموجود مثالا، ولما ينتج فيه من الأقوال والأفعـــال والأحـــوال منوالا، فمثلت شجرة نبتت عن أصل حبة «كن»، وكل ما يحـــدث في الكـــون مـــن الحوادث، كالنقص والزيادة والغيب والشهادة، والكفر والإيمان، وما تثمر من الأعمال، وزكاة الأحوال، وما يظهر من أزاهير القول، والتوق[١] والذوق، ولطائف المعارف، وما تورق به من قربات المقربين، ومقامات المتقين، ومنازلات الصديقين، ومناجاة العارفين، ومشاهدات المحبين، كل ذلك من ثمرها الذي أثمرته، وطلعها الذي أطلعته.

فأول ما أنبتت هذه الشجرة التي هي حبة «كن» ثلاثة أغصان:

أخذ غصن منها ذات اليمين، فمنهم أصحاب اليمين.

وأخذ غصن منها ذات الشمال [ومنهم أصحاب الشمال][٢].

ونبت غصن منها معتدل القامة، على سبيل الاستقامة، فكـــان منـــه الســـابقون المقربون.

(١)يعني شدة الرغبة والشّوق.

(٢)ما بين [ ] زيادة ليست في (ش).

فلما [نبت][١] واستعلى، جاء من فرعها الأعلى، وجاء من فرعها الأدنى: عـــالم الصورة والمعنى، فما كان من قشورها الظاهرة، وستورها البارزة، فهو عالم الملك، وما كان من قلوبها الباطنة، ولباب معانيها الخافية، فهو عالم الملكوت.

وما كان من الماء الجاري [الساري][٢] في شريانات عروقها، الذي حصل به نموها وحياتها وسموها، وبه طلعت أزهارها، وأينعت ثمارها، فهو عالم الجبروت، الذي هـــو سر كلمة كن .

ثم أحاط بالشجرة حائط، وحد لها حدود، ورسم لها رسوم، فحدودها الجهات، وهن: العلو، والسفل، واليمين، والشمال، ووراء، وأمام.

فما كان أعلى فهو حدها الأعلى، وما كان أسفل فهو حدها الأسفل.

وأما رسومها، وما فيها من الأفلاك والأجرام والأمـــلاك والأحكـــام والآثـــار والأعلام، فجعل السبع الطِباق بمنزلة ما يستظل به من الأوراق.

وجعل الكواكب في الإشراق بمنزلة الأزهار في الآفاق، وجعل الليل والنهار بمنزلة رداءين مختلفين: أحدهما أسود يرتدي به، ليحتجب عن الأبصار، والآخر أبيض يرتدي به ليتجلى على ذوات الاستبصار.

وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة، وخزانة سلاحها، فمنه يستمد ما فيه صلاحها، [ويسترقد ما فيه نجاحها، فيه تلوذ][٣] سواس هذه الشجرة وخدمها ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥]، إليه يتوجهون، وعليه يعولون، وحوله يحومون، وبه يطوفون، وحيثما كانوا، فإليه يشيرون.

فمتى حدث في [شيء من هذه][٤] الشجرة حادثة، أو نزل بشيء منـــها نازلـــة،

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ش).
(٢)ما بين [ ] زيادة ليست في (ش).
(٣)ما بين [ ] سقط من (ش).
(٤)ما بين [ ] زيادة من (أ).

رفعوا أيدي المسألة والتضرع إلى جهة عرشه، يطلبون الشفاء، ويستعفون عن الخطـأ؛ لأن موجد هذه الشجرة: لا جهة إليه يُشار إليها، ولا أبنية له يقصدونها ولا كيفية له يعرفونها.

فلو لم يكن العرش جهة يتوجهون إليه للقيام بخدمته، ولأداء طاعتـه؛ لضـلوا في طلبهم فهو – سبحانه وتعالى – إنما أوجد العرش إظهارًا لقدرته، لا محلا لذاته.

وأوجد الوجود، لا لحاجة له به، وإنما إظهار لأسمائه وصفاته، فإن مـن أسمائـه: الغفور، ومن صفاته المغفرة، ومن أسمائه الرحيم، ومن صفاته: الرحمة: ومـن أسمائـه الكريم، ومن صفاته: الكرم، فاختلفت أغصان هذه الشجرة، وتنوعت ثمارها ليظهـر سر مغفرته [للمذنبين، ورحمته للمحسنين، وفضله للطائعين، وعدلـه في العاصـين، ونعمته على المؤمنين، ونقمته بالكافرين][١].

فهو مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده، ومجانبته ومواصلته؛ لأنه كان ولا كون، وهو الآن كما كان لا يتصل بكون، ولا ينفصل عـن كـون؛ لأن الوصـل والفصل من صفات الحدث، لا من صفات القدم، لأن الاتصال والانفصال يلزم منـه الانتقال والارتحال، ويلزم من الانتقـال والارتحـال: التحـول والـزوال، والـتغير والاستبدال، وهكذا كله من صفات النقص، لا من صفات الكمـال، فسـبحانه: – سبحانه وتعالى – عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

ثم جعل اللوح والقلم، بمنزلة [نسخة][٢] كتاب الملك، وما يسطر فيه من أحكامه، وما حكم بنقضه وإبرامه، وإيجاده وإعدامه، وما يخرج من بره وإنعامه، وما يكون من ثوابه وانتقامه.

ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه الشجرة، يقوم تحتها من يقوم بخدمته، وينفذ أَحكامه، ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة هذه الشجرة وما يُدانيها.

ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك، – الذي هو اللوح المحفوظ –، وما يحدث

---

(١)في (ش) ما أثبت بصيغة الجمع في (أ) ذكر بصيغة الفرد مع اختلاف يسير في السياق.

(٢)ما بين [ ] سقط من (ش).

في هذه الشجرة من مَحوٍ وإثبات، ونقص وزيادة، فلا يتجاوزون[١] تلك الشجرة، إذ لكل واحد منهم حدّ مفهوم، وحظ مقسوم، ورسم مرسوم ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَــهُ مَقَــامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصــافات:١٦٤]،ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة، من دني أو ســني، أو صغير أو كبير، أو جليل أو حقير، أو قليل أو كثير، إلا ختم عليه في كتاب ﴿لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف:٤٩]،ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحــدى خزانتيه ادخرهما لثمرة هذه الشجرة، وهما: الجنة والنار.

فما كان من ثمر طيب، ففي خزانة الجنــة ﴿كَــلاَّ إِنَّ كِتَــابَ الأَبْــرَارِ لَفِــي عِلِّيِّينَ﴾[المطففين:١٨].

وما كان من ثمر خبيث، ففي خزانة النــار ﴿كَــلاَّ إِنَّ كِتَــابَ الْفُجَّــارِ لَفِــي سِجِّينٍ﴾[المطففين:٧].

فأما الجنة فدار أصحاب اليمين ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَــنِ﴾ [مــريم:٥٢]،مــن الشجرة المباركة [الطيبة].

وأما النار فدار أصحاب الشمال، من الشجرة الملعونة في القرآن.

ثم جعل الدنيا مستودع زهرها، والآخرة مستقر ثمرها، وأحاط على هذه الشجرة حائط إحاطة القدرة ﴿وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦]،وأدار عليها دائــرة الإرادة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده.

فلما ثبت أصل هذه الشجرة، وثبت فرعها: التقى طرفاها، ولحق أخراها بأولهــا ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات:٤٤]،[فعاد منتهاها][٢] إلى مبتداها؛ لأن من كان أولــه «كن» كان آخره «يكون»، فهي وإن تعددت فروعها، وتنوعت زروعهــا، فأصــلها واحد، فهي حبة لكلمة «كن» وسيكون آخرها واحدًا وهي كلمة «يكون».

فلو أحدقت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى، معلقة بأغصان شــجرة

(١)في (ش) و(ع) فلا يتجاوز.
(٢)ما بين [ ] ليس في (ع).

الزقوم، وبرد نسيم القرب، يُمازج حر السموم، وظل سماء الوصل متصل بـــ ﴿ظِـــلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤٣]، وقد تناول كل حظه المقسوم.

فواحد يشرب بكأسه المختوم. وواحد يشرب بكأسه المحتـــوم. وواحـــد مـــن بينهم محروم.

فلما برزت أطفال الوجود، من حضرة العدم، هبّت عليهم نســـمات القـــدرة، وغذهّا لطائف الحكمة، وأمطرهّا سحائب الإرادة، بعجائب الصنع، فأنبت كل غصن منها ما سبق له في القدم، وركب في عنصره من الصحة والسقم.

والكون كله من عنصرين، مستخرجين من جزءين من كلمة «كن» وهما: الظلمة والنور.

فالخير كله من النور. والشر كله من الظلمة.

فملأ الملائكة موجود من عنصر النور[١]، فكان منهم الخير ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَـــا أَمَـــرَهُمْ وَيَفْعَلُـــونَ مَـــا يُـــؤْمَرُونَ﴾ [التحـــريم:٦]،﴿يُسَـــبِّحُونَ اللَّيْـــلَ وَالنَّهَـــارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾[الانبياء:٢٠].

وملأ الشياطين من عنصر الظلمة، فكان منهم الشر.

وأما آدم وبنوه، فإنهم جعلت طينتهم من الظلمة والنور، وركب عنصره من الخير والشر، والنفع والضر، وجعلت ذاته قابلة للمعرفة والنكرة، فأي جوهر غلـــب عليـــه نسب إليه.

فإن علا جوهر نوره على جوهر الظلمة، وظهرت روحانيته على جسمانيته، فقد فضّل على الشيطان.

فلما [خلق][٢] الله آدم من قبضة تراب «كن»، مسح على ظهره ﴿حَتَّـــى يَمِيـــزَ

---

(١)مصداقًا لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجـــانّ مـــن مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم" رواه مسلم (٢٩٩٦).

(٢)في (ع) قبض بدل خلق.

﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]،فاستخرج من ظهره من كان من أصـــحاب اليمين، فأخذوا ذات اليمين، واستخرج من ظهره من كان من أصـــحاب الشـــمال، فأخذوا ذات الشمال.

وما زاغ أحد عن المراد وما مال.

ومن قال: لمَ؟ فقد أخطأ في السؤال.

فأول من عمل حوالي هذه الشجرة إلى أصل حبة «كن» فاعتصر صفوة عنصرها، ومخضها حتى بدت زبدتها، ثم صفاها بمصفاة الصفوة، حتى زال [قذرها](١)، ثم ألقـــى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها، ثم غمسها في بحر الرحمـــة، حـــتى عمّـــت بركتها، ثم خلق منها نور نبينا محمد ﷺ، ثم زيّن بنور الملأ الأعلى حتى أضاء وعلا، ثم جعل ذلك النور: أصلا لكل نور، فهو أولهم في المســـطور، وآخــرهم في الظهـــور، وقائدهم في النشور، ومبشرهم بالسرور، ومتوجهم بالحبور، فهو مستودع في ديـــوان الإنس، مستقر في رياض الأنس.

وحضرة [القدس](٢)، ستر معنى روحانيته يستر جسمانيته، وغطّى عالم شـــهوده بعالم وجوده، فهو مستخرج في الكون، مستنبط لأجله الكون، وذلك أن الله – تعالى – كون الأكوان اقتدارا عليها، لا افتقارًا إليها، وكمال حكمته في التكوين، لإظهـــار شرف الماء والطين، فإنه أوجد ما أوجد، ولم يقل في شيء من ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]،وكان وجود الآدمي، فكانت حكمته في وجود الآدمـــي؛ لإظهار شرف النبي ﷺ، لأنه حكمة الأجساد لاستخراج كاف الكترية كنـــت كـــنزًا مخفيًا لا أعرف» فكان المقصود في الوجود، معرفة موجدهم سبحانه، وكان المخصوص بأتم المعارف: قلب سيدنا محمد ﷺ، لأن معارف الكل كانت تصديقًا وإيمانًا، ومعرفته ﷺ مشاهدة وعيانًا.

---

(١)ما بين [ ] هكذا في الأصل، والذي في (ع) [وخمها].

(٢)هكذا في الأصل والذي في (ش) و(ع) الأنس.

وبنور معرفته ﷺ تعرفوا، وبفضله عليهم اعترفوا، فاستخرجه من لباب حبة «كن» ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ [الفتح:٢٩]،﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ — بقرابته — ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح:٢٩]،بصحة ذوقه وقوة توقه وشوقه.

فلما ظهر هذا الغصن المحمدي، وسَمَا: أورق عوده ونما، وأهل عليه سحاب القبول وهمى، وتباشر بظهوره الحدثان، وبشر بوجوده الثقلان، وتعطرت بقدومه الأكوان، وانتكست بمولده الأوثان، ونسخت بمبعثه الأديان، ونزل بتصديقه القرآن، واهتزت طربًا شجرة الأكوان، وتحرك ما فيها من [الأغصان][1]، والعيدان، وكان من أغصان هذه الشجرة: من أخذ ذات الشمال، وما يهوى الضلال.

فلما أرسلت رياح الإرسال برسالة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، استنشقها من ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء:١٠١]، فمال إليها مُنعطفًا، فأصبح بالجاذبات الربانية مختطفًا، وبيد العناية مصطفى ، وأما من كان مزكومًا، أو من خلع القبول محرومًا، فإنه عصفت به عواصف القدرة، فأصبح بعد نضارته يابسًا، ووجه سعادته عابسًا، وراح من رجاء فلاحه قانطًا آيسًا.

وكان سر هذا الغصن لِقاح شجرة الجود، ودُرّة صدفة الوجود، وكان من روح روحانيته روح، لكل موجود، فبتلك الروحانية أدرك روح روحانيته علم كل شيء، وجعله وجهة لكل شيء، وانطوى على حبة كل شيء، وحي بحياته كل شيء فصارت تلك الروحانية الجاذبة للقلوب إليها بمترلة روحانيته. الجاذب لأجزاء الحديد إليه وهو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وتترلت في حياة الوجود ووجودها بمترلة الماء الذي به حياة كل شيء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]، وهو معنى سر قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وتترّلت في اهتداء الناس بنورها واستضائهم بضوئها بمترلة الشمس المشرقة على سائر المخلوقات، وانتفاع جميع الخلائق بها؛ لإظهار النبات في الأشجار، وتنمية الأزهار والثمار وتفرقة الليل من النهار، وهو

---

(١)هكذا في الأصل والذي في (ع) الألوان.

معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، فهو مصباح ظلمة الكون، وروح جسد الوجود؛ لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض، وقال لهما ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت:١١]، فأجابه موضع الكعبة من الأرض، ومن السماء ما يحاذيه، فكانت تربة بقعة الكعبة، وكان محل الإيمان من الأرض، فلما أمر الله بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام، فقبضته من سائر الأرض، من طيبها وخبيثها، فكانت طينة نبينا محمد ﷺ مخلوقة من موضع الكعبة، التي هي محل الإيمان بالله تعالى.

ثم عجنت تلك الطينة بطينة آدم عليه السلام، فكانت تلك الطينة بمترلة الخميرة، ولولا ذلك لما أطاقوا الإجابة يوم الإشهاد، وهو معنى قوله ﷺ: كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[1].

فكانت ذرات الوجود وبركته: من ذرة وجوده.

فلما أشهدهم على أنفسهم في حضرة شهوده، قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[الأعراف:١٧٢]، فسرت في أجزاء ذرياهم تلك الخميرة النبوية، فانطلقت - بإذن الله تعالى - ألسنتهم بالتلبية، [فَقَالُوا بَلَى][2].

فمن كانت طينته قابلة للتخمير بما سبق في التقدير: بقي معه ذلك التخمير باقيًا فيه، مستصحبًا حتى ظهر إلى الحسِّ، وظهر في تلك الصورة، فبرز المعنى محققًا لتلك الدَّعوى، فأشرق نور ذلك المعنى الروحاني على ما يحاذيه من الجسد الجسماني، فأشرق الجسد بعد ظلمته، فاستنارت الجوارح لرشدها، فعملت بالطاعة.

وأما من كانت طينته خبيثة، غير قابلة للتخمير، وإنما أثرت تلك الخميرة مقدار ما اعترف عند الأشهاد، وأفصحت في ذلك لإقرار في حال الاستقرار، ثم طال عليها

---

(١)رواه ابن سعد في "الطبقات"، وأبو نعيم في "الحلية"، كما في "الجامع الصغير" (٢/٩٧)، و"كتر الحقائق" (٢/٤٣).
(٢)ما بين [ ] زيادة من (أ)، (ع).

الأمد، ففسدت تلك الخميرة بفساد تلك الطينة، فكأنه كان مستودعًا، فاسترجع منـــه ما استودع؛ إذ لم يكن لحفظها أهلا، فهو مستودع [أثر][١] الإيمان في قلوب الكافرين مستقر في قلوب المؤمنين وهو معنى قوله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة»[٢]، ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الـــروم:٣٠]،وهو تساويهم في الإيمان، في قول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الاعراف:١٧٢]،واستووا في التلبية، ونطقوا بالإجابة لسريان تلك الخميرة النبوية في أجزاء ذرياتهم، وقد سبق في علم الله ونفذ تقديره، فيمن يبقى على ذلك الإقرار: لا يستحيل إلى الجحود والإنكار، وكل ما يحدث في شجرة الكون، من نمـــوٍ وزيـــادة، وأزهار وأثمار أفكار، ومتشابه شوق، ومحكم ذوق، وصفاء أسرار، ونسيم اســـتغفار، وما ينمو به من الأعمال، وتزكوا به الأحوال، وما تورق به من رياضات النفـــوس، ومناجاة القلوب، ومنازلات الأسرار، ومشاهدات الأرواح، وما ينبت به من أزاهـــير الحكم، ولطائف المعارف، وما يصعد من طيب الأنفاس، وما يعقد من ورق الإيناس، وما ينشأ من رياح الارتياح، وما يبنى على أصلها من مراتـــب أهـــل الاختصـــاص، ومقامات الخواص، ومنازلات الصدِّيقين، ومناجاة المقربين، ومشاهدات المحبّين.

كل ذلك من لِقاء الغصن المحمديّ، متوقد من نوره، مستمد من نماء نهر كـــوثره، مغذى بلباب بره، مربى في مهد هدايته؛ فلذلك عمّت بركاته، وتمّت علـــى الخلائـــق رحمته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الانبياء:١٠٧].

فلما مهّد لأجله الدار، وسخّر من أجله الليل والنهار، ورسم الرســـوم، وحـــدّد الأقطار، ونوّه بذكره، ونبّه على سره وقدره، وأخذ الميثاق على تصديقه، والتمســـك بحبل تحقيقه، جلا عروس شريعته على أتباعه وشيعته، ثم ختم بنبوته الأنبياء، وبكتابـــه الكتب، وبرسالته الرسل.

فمن احتمى بحمى شريعته: سلم، ومن استمسك بحبل ملته عُصم.

---

(١)ما بين [ ] ليس في (ش).

(٢)رواه مسلم في "صحيحه" (٢٠٩/١٦) نووي، وقال الخطيب: رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب محمد بن العلاء عن أبي معاوية "الفوائد المنتخبة" (١٤٨).

لما توسلَّ به آدم عليه السلام: سلم من الملام، ولما انتقل إلى صلب إبراهيم الخليل صارت النار عليه بردًا وسلامًا، ولما أودعته [ذرة وجوده][1]، صدفة إسماعيل فُـدي بـذبحٍ عظيم، فثمرة غصن أصحاب اليمين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]،وثمـرة غصـن أصحاب الشمال ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الانفـال:٣٣]،وثمـرة غصـن السابقين المقربين ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِـدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩].

فبركته على الآفاق قد عمّت، وكلمته قد تمّت.

خلق آدم على صورة اسمه؛ لأن اسمه محمد، فرأس آدم دائرة بتدويره على صـورة الميم الأولى من اسمه، وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء، وبطنه على صورة المـيم الثانية، ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدّال.

فكمل خلق آدم على صورة اسم محمد ﷺ.

وقولنا كوَّن الأكوان على هيئة رسمـه لأن العـالم: عَالَمـان: عـالم الملـك وعالم الملكوت.

فعالم الملك كعالم جسمانيته، وعالم الملكوت كعالم روحانيته.

فكثيف العالم السُّفليّ ككثيف جسمانيته، ولطيف العالم العُلويّ كلطيف روحانيته.

فما في الأرض من الجبال التي جعلت في الأرض أوتادًا، فهي بمنزلة جبال عِظامـه التي جعلت أوتاد جسده.

ومن فيها من بحار مسجورة، جارية وغير جارية، عذبة وغير عذبة، فهي بمنزلة ما في جسده من دَم جارٍ في تيّار العروق، وساكن في جداول الأعضاء.

واختلاف أذواقها، فمنها ما هو عذب، وهـو: مـاء الريـق يطيـب بعجينـه المآكل والمشارب.

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ش).

ومنها ما هو: مالح، وهو: ماء العين بحفظه شحمة العين.

ومنها ما هو: مُر، وهو: ماء الأُذن لصيانة الأذن من حيوان، ودبيب يصل إليها، فيقتله ذلك الماء.

ثم في أرض جسده ما ينبت كالأرض الجرز، والأرض السبخة الـتي لا تُنبـت، ويستحيل النبت فيها.

ثم لما كان في الأرض بحار عظيمة، تتفرع منها أنهار وسواق، لنفع النـاس بهـا، كذلك في أرض جسده عروق غلاظ، كالوتين الذي يبث الدم، وتستمد العروق منه، إلى سائر الجسد.

ثم العالم العلوي، وهو عالم السماء: جعل الله فيه شمسًا كالسراج، يستضيء بـه أهل الأرض، كذلك جعلت الروح في الجسد: يستضيء بها الجسد.

فلو غابت بالموت، لأظلم الجسد كظلمة الأرض، إذا غابت عنها الشمس.

ثم جعل العقل بمنزلة القمر: يستنير في فلك السماء، تارة يزيد وتـارة يـنقص، فابتداؤه صغير، وهو هلال كابتداء عقل الصغير في صغره، ثم يزيد كزيادة القمر ليلـة تمامه ثم يبدو بالنقص، فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين، ثم يعود في الـنقص في تركيبه وقوته.

ثم جعل في السماء كواكـب خمسًـا، وهـي الخمـس ﴿الْجَـوَارِ الْكُـنَّسِ﴾ [التكوير:١٦]،وهي: بمنزلة الحواس الخمس، وهي: الذوق، والشم، واللمس، والسمع، والبصر. ثم جعل في عالم السماء عرشًا وكرسيًا.

فالعرش أوجده وجعل وجهة قلوب عباده إليه، ومحل رفع الأيدي إليه، لا محـلا لذاته، ولا متجانسًا لصفاته، لأن الرحمن تعالى اسمه: الاستواء نعته وصـفته، ونعتـه وصفته متصلة بذاته، والعرش خلق من خلقه، لا متصل به ولا ملامس له، ولا محمول عليه، ولا مفتقر إليه.

وأما الكرسيّ فهو: وعاء أسراره، وكنانة أنواره ومستودع ما في دائرة ﴿وَسِـعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥]، فجعل الصدر بمنزلة الكرسـي؛ لأن فيـه

تحصيل العلوم الصادرة، بمترلة الساحة على بـــاب القلـــب، والـــنفس يشـــرع منـــه بابان إليهما.

فما صدر عن القلب من خير، أو عن النفس من شر، فهو محصل في الصدر، وعنه يصدر إلى الجوارح، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[العاديات:١٠]،

وجعل القلب بمترلة العرش؛ لأن عرشه في السماء معروف، وعرشـــه في الأرض مسكون؛ لأن عرش القلوب أفضل من عرش السماء، لأن ذلك العرش لا يســـعه ولا يحمله ولا يدركه، وهذا عرش في كل حين ينظر إليه، ويتجلى عليه، ويترل من سمـــاء كرمه إليه «ما وسعتني سماواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

ولما جعل في عالم الآخرة جنة ونارًا للنعيم والعذاب، هذه خزانة الخـــير، وهـــذه خزانة الشر، كذلك جعل الخير الذي هو مكان سويداء القلب، جعله جنـــة عبـــده المؤمن؛ لأنه محل المشاهدة والتجلي والمناجاة، والمنازلات، ومنبع الأنوار. وجعل النفس بمترلة الإناء؛ لأها منبع الشر، ومحل الوسواس، ومَرْبع الشيطان ومحل الظُّلمة.

ثم جعل اللوح والقلم: نسخة كتاب الكون والتكوين، وما كان وما يكـــون إلى يوم الدين، وجعل الملائكة تستنسخ ما يؤمرون بنسخه، من محو وإثبـــات، ومـــوت وحياة، ونقص وزيادة.

فكذلك اللسان بمترلة القلم، والصدر بمترلة اللوح فما نطق به اللســـان، رقمتـــه الأذهان في ألواح الصدور، ومـــا أرختـــه إرادة القلـــب إلى الصـــدر عبَّـــر عنـــه اللسان، كالترجمان.

ثم جعل الحواس رسل القلب، يستنسخ ما حصل فيها فالسمع رســـول، وهـــو جاسوسه، والبصر رسول، وهو حارسه، واللسان رسول، وهو ترجمانه.

ثم جعل في الإنسان ما هو دلالة على الربوبية، وتصديق الرسالة المحمدية، وذلـــك الهيكل الإنساني، لما افتقر إلى مُدبر، وهو الروح، وكان مدبره واحدًا، وكانت الروح

---

(١)أورده الغزالي في "إحياء علوم الدين" (٢/٣١٧).

غير مرئية، ولا مكيفة، ولا متحيزة في شيء من الجسد، ولا يتحرك شيء من الجسد إلا بشعورها به، وإرادتها له، لا يحس ولا يمسّ إلا بها، وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لابد لهم من مدبر ومحرك، ويلزم منه أن يكون واحدًا، عالمًا بما يحدث في ملكه،قادرًا على حدوثه، وأنه غير مكيف، ولا متمثل، ولا مرئي، ولا مُتحيز ولا متبعض، ولا محسوس ولا ملموس، ولا [مقبوض][1] مقيوس، بل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين: ظاهر وباطن، فرسوله الظاهر: محمد رسول الله، ورسوله الباطن: جبريل.

فجبريل يأتيه بالوحي بين قومه ولا يحسونه، ولا يعرفونه، فكذلك كان لمدير هذا الهيكل الإنساني، وهو الروح رسولان باطن وظاهر، فالرسول الباطن هو الإرادة، بمنزلة جبريل، يُوحي إلى اللسان، واللسان يُعبر عن الإرادة؛ وهو بمنزل سيدنا محمد ﷺ.

ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نبوته وصدق رسالته، جعل فيك أيضًا دلالة على ما جاء به من تحقيق شريعته، واتباع سنته، فكان أصل الأيدي خمسة أشياء، كل منها خمس:

فالأصل الأول: ما بني عليه، فقال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام»[2].

الأصل الثاني: وكانت الصلاة المفترضة خمسًا.

والثالث: الزكاة المفروضة في النصاب خمس.

والرابع: - مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ - [من خمس فالذين معه][3]، أبو بكر،

---

(١)ما بين [ ] زيادة ليست في (ع).

(٢)رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٤٨/٩)، والترمذي (١٦).

(٣)ما بين [ ] زيادة ليست في (ع).

وعمر، وعثمان، وعليّ، [ومحمد ﷺ][1] فهم خمسة برسول الله ﷺ.

الخامس: أهل البيت خمسة: محمد ﷺ، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحُسين.

فلما كان [كمال][2] الدين: إقامة أركان شريعته، ومحبة صحابته، ومودة قرابته، جعل في أعضائك منها [دلالة][3] على ذلك: خمسة، فالخمسة التي بني الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمس منك، وهي: السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذّوق؛ لأنك تجد بهذه الحواس مذاق كل شيء، ومعرفة كل شيء.

وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كل شيء، وإدراك العرفان، ومعرفة الرحمن، وعلم الإيقان.

فحاسة البصر تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة، قال ﷺ : «جُعلت قرة عيني في الصلاة»[4].

وحاسة اللمس تدعوك لأداء الزكاة، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾[التوبة:١٠٣].

وحاسّة الذّوق: تدعوك إلى ترك ذَوق الطعام، لإقامة ركن الصيام.

وحاسة السّمع: تدعوك إلى استماع الأذان ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾[الحج:٢٧].

وحاسة الشم: تدعوك إلى انتشاق أنفاس التوحيد «إني لأجد نفس الرحمن من قِبل اليمن»[5].

---

(١)ما بين [ ] زيادة ليست في (ع).
(٢)هكذا في الأصل والذي في (ع) أركان.
(٣)هكذا في (ش،ع) والذي في الأصل (إشارة).
(٤)رواه أحمد في "مسنده" (١٢٨/٣، ١٩٩)، والنسائي (٦١/٧)، والحاكم في "المستدرك" (١٦٠/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٥)رواه أحمد في "مسنده" (١٢٨/٤) عن أبي هريرة، ورجاله ثقات.

فهذه الحواس الخمس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس.

وجعل أصابعك الخمس في يمينك بمنزلة محمد ﷺ والذين معه وهم: أبـــو بكـــر، وعمر، وعثمان، وعليّ.

ولأن آدم عليه السلام [وعلى جميع النبيين والمرسلين][(١)]: لما خلق الله نور سيدنا محمد ﷺ في جبينه، كانت الملائكة تستقبله، وتُسلم على نور محمـــد ﷺ ، وآدم عليه السلام لم يــره، فقال: يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولدي محمد ﷺ فحوله على عضو من أعضـــائي لأراه، فحوله إلى سبابته، في يده اليمنى، فنظر إليه يتلألأ في مسبحته، فرفعها فقـــال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا ؛ رسول الله ، فلذلك سُميت المسبحة.

فقال: يا رب هل بقي في صلبي من هذا النور شيء؟ قال: نعم، نور أصـــحابه، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، فجعل نور عليّ في إبهامه، ونور أبي بكـــر في الوسطى، ونور عمر في البنصر، ونور عثمان في الخنصر.

وقيل: إنما جعلت في يدك لتقبض برءوسهن على حب هؤلاء الخمسة، ولا نفرق بينهم وبين محمد ﷺ، فإن الله جمع بينهم بقوله تعالى مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

ثم جعل أصابعك الخمس في اليد اليمنى: مذكرة بالخمسة أشباح، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس [وطهرهم تطهيرًا] بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الاحزاب:٣٣].

قال رسول الله ﷺ: «أُنزلت هذه الآية فينا أهل البيـــت أنـــا وعلـــيّ وفاطمـــة والحسن والحُسين»[(٢)].

ثم جعل أصابع قدميك الخمسة مُشيرة لك، مذكرة بالخمس صلوات التي افترضها الله عليك، فتقوم بها على قدميك؛ لأنها خدمة الله - تعالى - في الأرض، والخدمة إنما تكون من القدمين؛ فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس، وأصـــابع

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ع).

(٢)رواه ابن جرير الطـــبري في "تفســـيره" (٢٩٦/١٠، ٢٩٨)، (٢٨٤٨٥)، (٢٨٥٠١) ط دار الكتب العلمية — بيروت.

قدمك اليمنى تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة، وهي خمس دراهم.

فالزكاة مقرونة بالصلاة، فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة.

ثم جعل فيك: ما يدل على الموت والبعث، وما يدل على نعيم القبر وعذابه، وهو النوم، وما يراه النائم من [حسن فينعم به وما يراه من][(١)] منام سيئ، فيتعذب به فيصير بالنوم كالميت، فاقد الحس فلا سَمع له، ولا بصر له، ولا إدراك له.

ثم جعل له سمعًا وبصرًا وإدراكًا، فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره.

ويرى نفسه تذهب حيث تشاء، ويأكل ويشرب، فهي بمنزلة ما يراه الميت في قبره من النعيم والعذاب، في مدة البرزخ بين الموت والبعث.

ثم يُوقظك الله من نومك: لا عن مرادك ولا عن اختيارك، فلو أردت أن لا تنتبه من [نومك][(٢)] ذلك، فأنت تطيق أن لا تبعث.[(٣)]

وهذا تكذيب من أنكر البعث بعد الموت وجهله، وهم الزنادقة، والدّهرية، والفلاسفة، وردّ على من أنكر عذاب القبر ونعيمه ومسألته، وهم المعتزلة.

ثم اعلم [وفقنا الله وإياك لرضاه][(٤)] أن الله - تعالى - خلق خلقه على ثلاثة أصناف، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [النور:٤٥]، كالحيات والديدان، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾[النور:٤٥]، كالطير والآدمي، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [النور:٤٥]، كالدواب.

فمنهم صنف كالساجد، وصنف كالراكع، وصنف كالقائم.

فالقائم كالأشجار والجدران: لا يطيقون ركوعًا.

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ش).

(٢)ما بين [ ] ليس في (ش).

(٣)يريد حقيقة أمر الإنسان، فإن كان يقدر ألا يقوم من نومه، فإنك تستطيع أيضًا أن لا تُبعث، وهذا كله محال في الجميع، فلا قدرة لأحد على الحياة، أو الموت، وكذلك النوم واليقظة.

(٤)ما بين [ ] زيادة من (أ) و(ع).

والراكع كالدوابّ: لا يُطيقون سجودًا ولا قيامًا.

والساجد كالحشرات: لا يُطيقون رفعًا.

وكلهم مخلوقون لطاعتـــه وتقديســـه وتتريهـــه ﴿وَإِن مِّـــن شَـــيْءٍ إِلاَّ يُسَـــبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء:٤٤].

فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعتهم: وبسط لك في خلقه: إن شئت أن تعبده قائمًا و[إن شئت أن تعبده][(١)] راكعًا و[إن شئت أن تعبده][(٢)] ساجدًا؛ ليجمع لك فضيلة جميع خلقه.

فكذلك فرض عليك الصلاة، وجعلها تشتمل على سائر عبادة خلقه.

فكذلك فضيلة القوَّم والركَّع والسُّجد.

وأنت المقصود من كل الوجود.

وأنت خاصة العبيد لمراد المعبود.

فهذا معنى قولنا متقدمًا خلق الله آدم عليه السلام على صورة اسم محمـــد ﷺ، وخلـــق الكون على هيئة رسمه.

واعلم أن الملأ الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون، مســـتعملون لمصـــالحها، قائمون بحقوقها؛ لما فيها من خاصيّة هذا الغصن المحمدي، والنور الأحمدي.

فأول ما انسلخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم، شعشعت أنوار الشموس المحمدية في أُفق جبين آدم عليه السلام، فخرجت الملائكة سُجدًا وقالوا: مليك العرش[(٣)] محمد أبدًا.

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ش).

(٢)ما بين [ ] سقط من (ش).

(٣)قال العلامة الجبيلي: "اعلم أن العرش على التحقيق مظهر العظمة ومكانته التجلي وخصوصية الذات، ويُسمّى جسم الحضرة ومكانها، لكنه المكان المنزّه عن الجهات الست، وهـــو المنظـــر الأعلى والمحل الأزهى، والشامل لجميع أنواع الموجودات، فهو في الوجود المطلـــق كالجســـم للوجود الإنساني، باعتبار أن العالم الجسماني شامل للعالم الروحاني والخيالي والعقلي إلى غير=

فلما أُمروا بالسجود فسجدوا، وخصوا بالشهود فشهدوا، وقيل لهـم: شـكران هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها، ودولـة هـو عقدها وحلها.

فليكن منكم السّفرة: يسعون بالصحف المطهرة.

وليكن منكم البررة: يطوفون حول حمى هذه الشجرة.

وليكن منكم الحملة: يحملون لكل عامل عمله.

وليكن منكم الكُتّاب: يقومون على أعقاب من قد تاب.

وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار، بماء الاستغفار ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[الشورى:٥].

وليكن منكم الحفظة: يحفظون عليهم أعمالهم، ويحصون ما عليهم وما لهم.

وليكن منكم من يسعى في أرزاقهم: ليتفرغوا لطلب أرزاقهم.

فقوم: يرسلون الرياح.

وقوم: يسيرون السحاب.

وقوم: يسجرون البحار.

وقوم: يترلون ماء الأمطار.

وقوم: يحفظون الأقطار.

وقوم: يغشون الليل.

وقوم: يُسبحون النهار.

وقوم: لهم معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات.

= ذلك، ولهذا عَبّر بعض الصوفية عنه بأنه الجسم الكلي وفيه نظر... وانظر: الإنسان الكامل (ص١٦٠) ط التوفيقية — القاهرة.

وقوم: يرفعون الآفات.

وقوم: يزخرفون الجنان.

وقوم: يسعرون النيران.

فلما تمهّدت الدار، ودار كأس إرادته فاستدار، فأول ما استحضر إلى ذلك المحضر إبليس، وهو يرفل في ثياب التسبيح والتقديس، لكنها محشوة بأدغال التدليس.

فلما حضر إلى ذلك المحضر، وشاهد جمال ذلك المنظر، ووقف علـــى عرفـــات المعرفة فأنكر، وأصرّ على العصيان وأضمر، واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقر.

فلما قيل له: اسجد في [صفوة][1] صفاء كاساتك، فـــأبى واســـتكبر، فتجـــاوز الكاس، وفاتته صحبة الأكياس، وبقي في ظلمة الغم والوسواس، وفتش أكياس علمـــه وعمله، فإذا هي فلوس أكياس، فبقي منقطعًا في مفـــازة القطيعـــة، قاطعًـــا للشـــيعة والشريعة، كلما تزايد كربه، وتعاظم عليه ضربه، يســـتغيث بلســـان ﴿وَلأُضِـــلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ﴾[النساء:١١٩]، والقدر يقول: لأكتبن لهم منشور الأمان [متوجًـــا بعلامة][2] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]،فسأل المالك الإنظـــار[3] فأنظر، ليكون قائد الكفار إلى النار، عكازة يعتمد عليها ذوو الذنوب والأوزار، فـــإذا زلّ أحدهم قال: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [آل عمران:١٥٥]،وإن عمل قال: ﴿هَـــذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[القصص:١٥].

فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية، هذا بترك ما أمر به، وذاك يفعل ما نهـــي عنه، جمع بينهما القدر إذ قدّر، لأنه تعالى أمر، وأراد خلاف ما أمر، فما وهبه الأمـــر سلبته الإرادة[4].

---

(١)ما بين [ ] ليس في (ش،ع).

(٢)ما بين [ ] سقط من (ش).

(٣)إشارة إلى قوله: (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ).

(٤)قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: "وقد تكلّم الناس في معنى الإرادة، فكل عبّر حسب ما لاح لقلبه، فأكثر المشايخ قالوا: الإرادة ترك ما عليه العادة، وعادة الناس في الغالـــب التعـــريج في أوطان الغفلة، والركون إلى اتباع الشهوة، والإخلاد إلى ما دعت إليه المنية، والمريد منسلخ =

فلما تعدياها: حكم لإبليس أن لا يتعدّاها.

وطنب[1] الشقي فيها خيامه، وجعل في عرصتها مقامه.

وأما آدم فإنه حنّ إلى دار المقامة، وتذكر لياليه وأيامه، فعاد على نفسه بالملامـــة،

= عن هذه الجملة، فصار خروجه أمارة ودلالة على صحة الإرادة، فسميت تلك الحالة إرادة، وهي خروج عن العادة، فإن ترك العادة أمارة الإرادة، وأما حقيقتها: فهو نهوض القلــب في طلب الحق - سبحانه وتعالى - ولهذا يقال: إنها لوعة تهون كل روعة.

وقيل عن بعض المشايخ: كنت بالبادية وحدي فضاق صدري فقلت: يا إنس كلموني! فهتف بي هاتف: ماذا تريد؟ فقلت: أريد الله تعالى؟ يعني: أن من قال للإنس والجن كلمـــوني مـــتى يكون مريدًا لله - عز وجل - والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار، فهـــو في الظـــاهر ينعـــت المجاهدات، وفي الباطن لا يفتر آناء الليل والنهار، فهو في الظاهر ينعت المجاهدات، وفي الباطن يُوصف المكابدات، فارق الفراش، ولازم الانكماش، وتحمل المصاعب، وركـــب المتاعـــب، وعالج الأخلاق، ومارس المشاق، وعانق الأهوال وفارق الأشكال كما قيل:

ثم قطعـــت الليـــل في مهمـــة لا أســـدًا أخشـــى ولا ذئبًـــا
يغلبني شوقي فأحوي الســـرى ولم يزل ذو الشـــوق مغلوبًـــا

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: الإرادة لوعة في الفؤاد، لدغة في القلب، غرام في الضمير، انزعاج في الباطن، نيران تتأجج في القلوب، وسمعته يقول: كنت في ابتداء صباي محترفًـــا في الإرادة، وكنت أقول في نفسي ليت شعري ما معنى الإرادة؟ وقيل: من صفات المريد: التحبب إليه بالنوافل، والخلوص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة والصبر على مقاســـاة الأحكـــام، والإيثار لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه، والتعرّض لكل سبب يُوصل إليـــه، والقناعة بالخمول، وعدم الفرار بالقلب إلى أن يصل إلى الربّ.

قال أبو عثمان الحيري: من لم تصح إرادته بدار، لا يزيده مرور الأيام إلا إدبار.

وقال محمد الواسطي: أول مقام المريد إرادة الحق بإسقاط إرادته.

وقال يحيى بن معاذ: أشد شيء على المريدين معاشرة الأضداد. =

= وسئل الجنيد: ما للمريد في مجرى الحكايات؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله - تعالى- يقوي بها قلوب المريدين فقيل له: فهل لك في ذلك شاهد؟ فقال: نعم، قوله تعالى: (وَكُـــلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) [هود: ١٢٠] انظـــر: الرســـالة (ص٢٠١، ٢٠٥) ط دار الخير - دمشق.

(١) الطنب هو: حبال الخباء التي يُشدُّ بها.

فنادى بين ندماء الندامة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الاعـــراف:٢٣]،فتلقى بشير قربته بتفريج كربته ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:٣٧].

وأما الشقي إبليس فانطلقت إليه خيول اللعنة، مطلقة الأعنة، تبشره بطرده وبعده ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجــر:٤٣]،ثم جـاءهم مـأمورًا ﴿قُلْنَـا اهْبِطُـوا﴾ [البقرة:٣٨]،فتقلقل آدم قلقًا، وكاد أن يتمزق حرقًا، وقال: سيدي جرعـت مـرارة الصدود في الصعود، فأعذني من حرارة القنوط في الهبوط.

فقيل له: لا بأس عليك حتى تصل إلى مفرق فريقين ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِـي السَّعِيرِ﴾[الشورى:٧].

فأخذ آدم ذات اليمين، وأخذ إبليس ذات الشمال، فكـان أصـلا لأصـحاب الشمال، لكنهما لما اصطحبا واجتمعا، فكان للصحبة أثر، فكان محله من آدم وسـيره معه مما يلي شماله، فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر، فبرحوا في ظل ظلمة مخالفته، فكفروا بقربهم منه ومحاذاتهم له.

وبقي من كان في الصّفح الأيمن في نور معرفة آدم، فسلموا من ظلمـة إبلـيس، لبعدهم عنه.

وأثر عليهم جوار من كفر [بكفره](١) واستظلّوا بظلمة ضلاله، وهم أهل الصفح الأيسر.

وأثر ذلك في صفاتهم، وسلمت لهم أنوار ذواتهم ومعارفهم، فما يرتكبـه أهـل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار، هو من أثر ذلك الجوار، وأشعة ذلك الغبار.

واعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر، وسبب آخر، وهو أنه لما أمر الله – تعـالى – بقبض القبضة التي خلق منها آدم ﷺ، فهبط ملك الموت لذلك، وكـان إبلـيس يومئذ في الأرض، قد استخلفه الله – تعالى – فيها مع جملة من الملائكة، وقد مكـث [في الأرض](٢) زمانًا طويلا، يعبد الله، فقبض ملك الموت القبضة من سـائر الأرض،

---

(١)ما بين [ ] ليس في (ش).
٢ما بين [ ] ليس في (ش).

وكان إبليس يطؤها بقدمه، فلما عجنت طينة آدم، وصورت صورته من تلك الطينة، جاء خلق النفس من التراب الذي وطئه إبليس بقدمه، وخلق القلب من التراب الذي لم يطأه إبليس بقدمه، فاكتسبت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة مـــن ملامسة وطء إبليس، ومن هنا جعلت النفس مأوى الشهوات، وعيشه وسلطانه عليها؛ لوطئه لها، ومن هنا جعل إبليس التكبر على آدم، حيث وجدها [مخلوقة][1] من تراب قدمه، ونظر إلى جوهر عنصره، وهو النار، فادّعى الفخار حينئذٍ، ومال إلى الاستكبار.

وهكذا معنى قوله - سبحانه وتعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُـوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة:١٦٨]،[أرادته النفس ومطاوعتها لأن خطوة الشيطان][2] التي خلقت من تحت خطواته.

واعلم أنه نشأت شجرة الكون، أنبتت أغصانًا ثلاثة: غصن ذات اليمين، وغصن ذات الشمال، وغصن نبت مستقيمًا قويمًا، وهو غصن السابقين.

فكانت روحانية محمد ﷺ قائمة بالثلاثة أغصان، متعلقة بها، سارية فيهـــا، لكـــل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية، قال الله تعالى: ﴿وَمَـــا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الانبياء:١٠٧].

فكان حظ غصن أصحاب اليمين: روحانية الهداية، والمتابعة له والعمـــل بســـنته وشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾[الاعراف:١٥٧]،

وكان حظ السابقين: روحانية القربى منه والزلفى لديه والصحبة له: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[النساء:٦٩].

وكان حظ غصن أصحاب الشمال من روحانية حمايتهم في الدنيا، وأمنهم مـــن العقوبة المعجلة ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الانفال:٣٣]الآية.

فلما آن أوان ظهور جسمانيته ﷺ إلى الوجود، نبت غصن وجوده مستقيمًا قويمًا.

١ما بين [ ] ليس في (ش).
٢ما بين [ ] ليس في (ش).

فلما ثبت أصله، ونبت فرعه: ناداه متولي سياســته ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]،فكانت صفته ﷺ الاستقامة، ومقامه دار المقامة.

فلما استقام: رحل عن الكونين.

ولما أقام: نُقل من مقام إلى مقام، حتى استقر به المترل فأقام.

فالمقام الأول: مقام الوجود في الدنيا، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[المدثر:١-٢].

والمقام الثاني: المقام المحمود في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الاسراء:٧٩].

والمقام الثالث: مقام الخلود في الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾[فاطر:٥٠].

والمقام الرابع: المقام المشهود، مقام قاب قوسين لرؤية المعبود ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٨،٩]الآية، فهو المخصوص بالدنو والعلو، والشـهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود، لأن الوجود لما كان شجرة، كان هو ثمرها، وكان هو جوهرها، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحبة التي ينبت بها أصلها، فإذا غرست تلك الحبة، وغذيت وربيت حتى نبتت وفرعت، وأورقت، [وأزهرت][(١)] وأثمرت، فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحبة التي نبتت منها هذه الشجرة، فالحبة في البداية: نطفة حتى أظهرت صورة الشجرة.

والشجرة في النهاية: بها ظهرت، فأظهرت صورة تلك الحبة، فكذلك بطونه ﷺ بالمعنى في السابق واختفاؤه وظهوره في الصورة في اللاحق واشتهاره، وهو معنى قوله ﷺ: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[(٢)]، فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة، وهو مظهر صورته ﷺ، فما برح بلسان القدم مذكورًا، وفي طي العدم منشورًا.

---

(١)في (ش،ع) واهتزّت.

(٢)تقدم تخريجه.

وما مثال ذلك إلا مثال تاجر عمد إلى فراشه، وبزه فطواه في خزانة ملكه، وعبأه أثوابًا بعضها فوق بعض، فأول ثوب دبجه وطواه، هو آخر ثوب أظهره وأبداه.

كذلك سيدنا محمد ﷺ كان أول الكل وجودًا، وآخرهم ظهورًا وخروجًا(١).

فلما تولى مقصار القدر سياسة هذا الغصن النبوي، فغذاه بلباب بـــره: وســـقاه بكأس محبته، وحماه في قلة حماه، ورباه حتى اهتزت رباه، وتفرعت نفحات شـــذاه، فكانت تلك النفحات غذاء أَرواح العارفين، ونور بصائر المؤمنين، وريحانـــة حضـــرة المحبين، وعرصة مجمع العاصين، وغياث مستسقي المذنبين.

فإن هبّ من تلقاء أصحاب الشمال سُموم خطيئة، أو عاصف معصية، فأمـــال غصنًا أنبته الله نباتًا، فمال به إلى عمل من أعمال أهل الشمال تلاعب بفرعه، وأثـــر ذلك في خضرة نضارة زرعه(٢)، لكن أصله في الأرض الإيمان ثابت، فما يضـــره مـــا حدث في فرعه الثابت، إذا تداركه صاحب سيئاته، فحماه من ذلك الهوى، وأماله إلى طريق الاستقامة بعد الطوى، وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى، فهنالك يقبل منه مـــا نوى، ويُورق غصن إيمانه بعد ما زوى، ويقوم خطيب الاعتذار عنه، وهو الصـــادق فيما نقل وروى، ويقسم بـــ ﴿وَالـــنَّجْمِ إِذَا هَـــوَى مَـــا ضَـــلَّ صَـــاحِبُكُمْ وَمَـــا غَوَى﴾[النجم:١،٢].

ثم اعلم أن الغصن المحمدي قد حصل من روحانية ما هو مـــادة الأرواح، ومـــن [سر](٣) جسمانية ما هو مادة الأشباح.

فأما مادة روحانيته فموجودة في سر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

(١)روى ابن سعد في طبقاته الكبرى عن قتادة مرسلا قوله – صلى الله عليه وسلم -: "كنـــت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث"، وصَححه السيوطي في الجامع (٩٧/٢).

(٢)منه قوله – صلى الله عليه وسلم -: "مثل المؤمن كمثل خامة الزرع، من حيث أتتها الـــريح كفتها، فإذا سكنت اعتدلت..." رواه البيهقي في "سننه" عن أبي هريـــرة (١٥٤/٢ الجـــامع الصغير".

(٣)ما بين [ ] سقط من (ع).

إلى قوله تعالى: ﴿مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥]،يعني: مصباح نور نبينا محمد ﷺ، فقد جعله مصباح مشكاة الوجود، فشبه الكون بالمشكاة، وسيدنا محمدًا ﷺ بالزجاجة، والنور الذي هو قبله بالمصباح، فأشرق نور باطنه على ظاهره، كإشراق المصباح في الزجاجة، فصار نور المصباح نارًا، والزجاجة نورًا لصفائها، فصار نورًا وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه واتباعه له، والدخول في شيعته، والعمل بشريعته، وهو معنى قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [الزخرف:١١]،فشبه الله تعالى حبيبه محمدًا ﷺ بالماء النازل من السماء بقدر؛ لأن الماء حياة كل شيء، وكذلك كان نوره ﷺ حياة كل قلب، ووجوده رحمة لكل شيء.

ثم بين انتفاع الناس بنوره، وما نالهم من بركته ﷺ بالأدوية فجعل القلوب أودية، منها: الكبير، والصغير، والجليل، والحقير.

فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء، وتطرق السيل إليه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠]،ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابي، المحتمل على وجه الماء الصافي، وهو مرباه الظاهر، من: الأكل والشرب والنكاح، ومشاركة الناس في أفعالهم وأحوالهم، فذلك كله يذهب ويتلاشى ﴿وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ [الرعد:١٧]، من نبوته، ورسالته، وحكمته، وعلمه، ومعرفته، وشفاعته ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[الرعد:١٧] .

واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك، أنه خلق من لطيف وكثيف، ليكون كامل الخلق، كامل الوصف، خلقه الله تعالى من ضدين: جسماني وروحاني، فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر، ومقايسات الصور، فجعل له قوة يلاقي بها البشر، فيعدهم بمادة بشريته، فيكون معهم بهم، فيكون بهم لهم ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت:٦]،يجانسهم ويشاكلهم، لأنه لو برز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية، لما أطاقوا مقابلته، وما استطاعوا مقاومته، فلذلك من الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:١٢٨].

ثم جعل له قوة وروحانية يُقابل بها عالم الروحانيين، وملكوت العلويين، ليكون تام البركة، تام الرحمة.

الروحانيون: يشهدون جسمانيته [من روحانيته والجسمانيون: يستمدون من جسمانيته ﷺ][1].

ثم جعل له وصف ثالث خاص، خارج عن هذين الوصفين، وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي يثبت به عند تجلي صفات الربوبية، ويطيق به مشاهدة الحضرة [الأحدية][2]، ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية، ويسمع به خطاب الإشارات القدسية، ويستنشق به عطر النفحات الرحمانية، ويعرج به إلى المقامات [العذبة البهية][3]، وهو معنى سر قوله ﷺ: «لست كأحد منكم» وقوله ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي سبحانه».

فهذا المقام: ليس يختص به ملك مقرب، ولا نبي مرسل: كأس لم يتناوله سواه، عروس ما جليت إلا عليه، وهو هذا المقام المخصوص به، وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها.

وأما الثلاثة الأُخر، فإنها كرامات لسائر الخلق، ليتناول كل منهم ما قسم له من النصيب.

فأما المقام المحمود: فمخصوص بعالم الصورة، وهو عالم الملك في الدنيا، فيتناولهم وجود طمأنينته وبركة نبوته ورسالته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء:١٠٧]،أقيم على منبر ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]الآية.

فهو في الدعوة مجيبهم، وفي النصيحة خطيبهم، ومن الزلزلة طبيبهم، ومن المحبة نصيبهم.

فهذا مخصوص بأهل الدنيا.

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ع).

(٢)في (ش) الإلهية.

(٣)ما بين [ ] في (أ) وصوّب من (ع) والذي في (أ) العندية، وهو تحريف - والله أعلم -.

وأما المقام الثاني فهو: المقام المحمود في القيامة، وذلك نصيب الملأ الأعلى، فينالهم من بركة مقامه، ومشاهدة جماله، وسماع كلامه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [النبأ:٣٨]الآية، يؤذن له في الخطاب، فيقوم خطيبًا(١)، والملائكة صفوفًا والخلائق وقوفًا، فيفتح خطبته بالشفاعة لأمته، ينادي أمتي أمتي»(٢)، فيجيبه الرحمن – عز وجل –: رحمتي رحمتي».

وأما المقام الثالث، فالشهود: وذلك في دار الخلود، لينال أهل الجنة منه نصيبهم، تتمتع بمشاهدته الحور، وتتشرف بحلوله القصور، ويقدم لقدومه السرور، وتزداد الجنة نورًا [على نور](٣)، وترفع بقدومه الحجب، وتزول الشرور.

المقام الرابع: هو المقام الذي خص به ﷺ، وهو مقام رؤية المعبود – جل وعلا –، وهو مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[النجم:٩].

وذلك أنه لما كان ثمرة شجرة الكون، ودرة صدفة الوجود وسره، ومعنى كلمة «كن» ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها، وإنما كانت مراده لثمرتها، فهي محمية محروسة لاجتناء ثمرتها، واستجلاء زهرتها.

فلما كان المراد: عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها، ورفعها إلى حضرة قربه، والطواف بها على ندمان حضرته، قيل له: «يا يتيم أبي طالب، قم فإن لك طالب، قد ادخر لك مطالب».

فأرسل إليه أخص خدام الملك [فجعله خادمًا](٤) فلما ورد عليه قادمًا: وافاه على فراشه نائمًا، فقال له: [يا نائم قم: كم تنم؟](٥).

يا جبريل إلى أين؟ فقال: يا محمد ارتفع الأين من البين، فإني لا أعرف في هذه

---

(١)منه قوله – صلى الله عليه وسلم –: "أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا..." الحديث، رواه الترمذي في سننه.

(٢)من حديث الشفاعة المعروف.

(٣)ما بين [ ] سقط من (ع).

(٤)ما بين [ ] سقط من (ع).

(٥)ما بين [ ] سقط من (ع).

النوبة أين، لكني رسول القدم، أُرسلت إليك من جملة الخدم ﴿وَمَا نَتَنَــزَّلُ إِلاَّ بِــأَمْرِ رَبِّكَ﴾[مريم:٦٤].

قال: يا جبريل، فما الذي يراد مني؟

قال: أنت مراد الإرادة، مقصود المشيئة، فالكل مراد لأجلك، وأنت مراد لأجله، وأنت مختار الكون، أنت صفوة كأس الحب، أنت درة هذه الصدفة، أنت ثمرة هــذه الشجرة، أنت شمس المعارف، أنت بدر اللطائف، ما مهدت الدار [إلا لأجلــك مــا جعلت الآثار](١) إلا لرفعة محلك، ما هيئ هذا الجمال إلا لوصلك، ما روق كأس المحبة إلا لشربك، فقم؛ فإن الموائد لكرامتك ممدودة، والملأ الأعلى يتباشــرون بقــدومك عليهم، والكروبيون يتهللون بورودك إليهم، وقد نالهم شرف روحانيتك، فلابد لهــم من نصيب جسمانيتك، فشرف عالم الملكوت، كما شرفت عالم الملك، وشرف بوطء قدميك [فوق](٢) قمة السماء، كما شرفت بهما أديم البطحاء.

قال: يا جبريل، فالكريم الذي يدعوني إليه؟ فماذا يفعل بي؟ قال ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]،فقال: «هذا لي،فما لعيالي وأطفالي، فــإن شــرَّ الناس من أكل وحده».

قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[الضحى:٥].

قال: يا جبريل: الآن طاب قلبي، ها أنا ذاهب إلى ربي، فقرب له البراق.

فقال: مالي بهذا؟

قال: مركب العشاق.

فقال يا جبريل: «أنا مركبي شوقي» وزادي توقي، ودليلي: خليلي، أنا لا أصــل إليه إلا به، ولا يدلني عليه إلا هو.

---

(١)ما بين [ ] سقط من (ع).

(٢)ما بين [ ] سقط من (ع).

يا جبريل: وكيف يطيق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل أثقال محبته، ورواسي معرفته، وأسرار أمانته التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال.

يا جبريل: وكيف تطيق أن تدل بي، وأنت الحائر عند سدرة المنتهى.

وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى!؟

[يا جبريل: أين أنت مني وأنا أظل عند ربي يطعمني ويسقيني][(١)].

يا جبريل: أين أنت مني، ولي وقت لا يسعني فيه غير ربي.[(٢)].

يا جبريل إذا كان محبوبي ليس كمثله شيء، فأنا لست كأحدكم، المركب يقطع به المسافات، والدليل يستدل به على الجهات، والجهات إنما هي محل الحدثات، وأنـــا حبيبي مقدس عن الجهات، متره عن الحادثات، لا يوصل إليه بالحركات، ولا يســـتدل عليه بالإشارات، فمن عرف المعاني: عرف ما أعاني، علم أن قربي منه مثـــل قـــاب قوسين أو أدنى [منه قربي، في بيت أم هانئ][(٣)].

فوقعت هيئة الوقت على جبريل، فقال: «يا محمد إنما جيء بي إليك، لأكون خادم دولتك، وصاحب حاشيتك، وجيء بالمركب إليك؛ لإظهار كرامتك».

لأن الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبيبًا، أو استدعوا قريبًـــا، وأرادوا ظهـــور كرامتهم واحترامهم، أرسلوا أخص خدامهم، وأعز ذويهم، لنقل أقدامهم، فجئنـــاك على رسم عادة الملوك، وآداب السلوك.

ومن اعتقد أنه – سبحانه وتعالى – يوصل إليه بالخطأ: وقع في الخطأ.

ومن ظن أنه محجوب بالغطاء، فقد حرم العطاء.

يا محمد: إن الملأ الأعلى في انتظارك، والجنان قد فتحت أبوابها، وزخرفت رحابها،

---

(١)ما بين [ ] زيادة وسقط من (ع).

(٢)ما بين [ ] زيادة وسقط من (ع).

(٣)هذا الكلام يدفع شبهة القول بالاتحاد والحلول، وهو من البدع المستنكرة شرعًا وذوقًا علـــى بعض المتوصفة القائلين بها.

وتزينت أتراها، وروق شراها، كل ذلك فرحًا بقدومك، وسرورًا بورودك.

والليلة ليلتك والدولة دولتك، وأنا منذ خلقت منتظر هذه الليلة، وقد جعلتـــك الوسيلة في حاجة، قلت فيها حيلتي، وانقطعت وسيلتي فيها، فأنا فيها حـــائر العقـــل، ذاهل الفكر، داهش السر، مشغول البال، زائد البلبال.

يا محمد: حيرتي أوقفتني في ميادين أزله وأبده، فجلت في الميـــدان الأول، فمـــا وجدت له أول، وملت إلى الميدان الآخر، فإذا هو في الآخر أول، فطلبت رفيقًـــا إلى ذلك الرفيق، فتلقاني ميكائيل في الطريق، فقـــال لي: إلى أيـــن؟ الطريـــق مســـدودة، والأبواب دونه مردودة، لا يوصل إليه بالأزمان المعدودة، ولا يوجـــد في الأمـــاكن المحدودة.

قلت: فما وقوفك في هذا المقام؟

قال: شغلني بمكاييل البحار، وإنزال الأمطار، وإرسالها في سائر الأقطار، فأعرف كم يغرف أجاجها مددًا، وكم تقذف أمواجها زَبدًا، ولا أعرف للأحدية أمـــدًا، ولا للفردية عددًا.

قلت: فأين إسرافيل؟ قال: ذلك أدخل في مكتب التعليم، يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ، ويستنسخ منه ما هو مبروم ومنقوض، ثم يقرأ على صبيان التعلـــيم، في مثال ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]،ثم هو في زمن تعلمه: لا يرفع رأسه حياءً من معلمه، فطرفه عن النظر مقصور، وقلبه عن الفكر محصور، فهو كذلك إلى يـــوم ينفخ في الصور.

قلت: فهلم نسأل العرش ونستهديه، ونستنسخ منه ما علمه ونستمليه.

فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز طربا، وقال: لا تحرك به لسانك، ولا تحدث بـــه جنانك، فهذا سر لا يكشفه حجاب، وستر لا يفتح دونه باب، وسؤال [ليس لـــه][1] جواب، ومن أنا في البين حتى أعرف له أين؟

---

(١)في (ع) لا يُعرف له – بدل – ليس له.

وما أنا إلا مخلوق من حرفين[١]، وبالأمس كنت لا أثر ولا عين.

من كان بالأمس عدمًا مفقودًا، كيف يعرف رؤية من لم يزل موجودًا [ولا يزال معبودًا، وكيف يسمع من يسمع من لا حد له محدودًا، ولا عددًا له معـــدودًا][٢]، ولا والدًا ولا مولودًا.

وهو سبقني بالاستواء، وقهرني بالاستيلاء، فلولا استواؤه لما اســتويت، ولـــولا استهداءه لما استهديت.

استوى إلى السماء وهي دخان، واستوى على العرش لقيام البرهان، فوعزته لقــد استوى، ولا علم لي بما استوى، وأنا والثرى بالقرب منه على حد سوى، فلا أحيط بما حوى، ولا أعرف ما زوى، ولكني عبد له، ولكل عبد ما نوى.

ثم إني أخبرك بقصتي، وأبث إليك شكوى غصتي، أقسم بعلي عزته، وقوي قدرته، لقد خلقني، وفي بحار أحديته غرقني، وفي بيداء أبديته حيرني.

تارة يطلع من مطالع أبديته فيغشني.

وتارة يدنيني من مواقف قربه، فيؤنسني.

وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني.

وتارة يناجيني بمناجاة لطفه فيطربني.

وتارة يواصلني بكاسات حبه، فيسكرني.

وكلما استعذبت من عربدة سكري، قال لسان أحديته: لن تراني.

فذبت من هيبته فرقًا، وتمزقت من محبته قلقًا، وصُعقت عن تجلي عظمته كمـــا - خَرَّ مُوسَى صَعِقًا -.

فلما أفقت من سكرة وجدي به قيل لي: أيها العاشق، هذا جمـــال قـــد صـــناه،

---

(١)يعني كن — الكاف والنون.

(٢)الزيادة من (أ) و(ع).

وحسن قد حَجبناه، فلا ينظره إلا حبيب قد اصطفيناه، ويتيم قد ربيناه، فإذا سمعت – سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ – فقف على طريق عروجه إلينا، وقدومه علينا، لعلك ترى من يرانا، وتفوز، بمشاهدة من لم ينظر إلى سوانا.

يا محمد، إذا كان العرش مشوقًا إليك، فكيف لا أكون خادماً بين يديك.

قدم إليه مركبه الأول، وهو البراق إلى بيت المقدس.

ثم المركب الثاني: وهو المعراج إلى سماء الدنيا.

ثم المركب الثالث: وهو أجنحة الملائكة من سماء إلى سماء. وهكـــذا إلى الســـماء السابعة.

ثم المركب الرابع: وهو جناح جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى.

فتخلف عنه جبريل عليه السلام عندها، فقال: يا جبريل، نحن الليلة أضـــيافك، فكيـــف يتخلف المضيف عن ضيفه، أههنا يترك الخليل خليله؟

قال: يا محمد، أنت ضيف الكريم، ومدعو القديم، لو تقدمت الآن بقدر أنملـــة، لاحترقت – وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ –.

قال: يا جبريل، إذا كان كذلك، ألك حاجة؟

قال: نعم، إذا انتهى بك إلى الحبيب، حيث لا منتهى، وقيل لك: ها أنت وها أنا، فاذكرني عند ربك.

ثم زَجّ به جبريل عليه السلام زجة فخرق سبعين ألف حجاب من نور.

ثم تلقاه المركب الخامس، وهو: الرفرف من نور أخضر، قد سد ما بين الخافقين، فركبه حتى انتهى به إلى العرش، فتمسك العرش بأذياله، وناداه بلسان حاله، فقال له: يا أحمد، إلى متى تشرب من صفاء وقتك آمنًا من معتكره، تارة يتشوق إليك حبيبك، ويترل إلى سماء الدنيا.

وتارة يطوف بك على ندمان حضرته، ويحملك على رفرف رأفته ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء:١].

وتارة يشهدك جمال أحديته ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[النجم:١١].

وتارة يشهدك جمال صمدانيته ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[النجم:١٧].

وتارة يطلعك على سرائر ملكوتيته ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[النجم:١٠].

وتارة يدليك من حضرته قربه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[النجم:٩].

يا محمد، هذا أوان الظمآن إليه، واللهفان عليه، والمتحير فيه، لا أدري من أي جهة آتيه، جعلني أعظم خلقه، فكنت: أعظمهم وأشدهم خوفًا منه.

يا محمد: خلقني يوم خلقني، فكنت أرعد من هيبة جلاله، فكتب على قائمتي: «لا إله إلا الله» فازددت لهيبة اسمه ارتعادًا وارتعاشًا.

فلما كتب عليّ «محمد رسول الله» سكن لذلك قلقي، وهدأ روعي، فكان اسمك أمانًا لقلبي، وطمأنينة لسري، ورقية لقلقي.

فهذه بركة وضع اسمك عليّ، فكيف إذا وقع جميل نظرك إليّ.

يا محمد: أنت المرسل رحمة للعالمين، ولابدَّ لي من نصيب في هذه الليلة، ونصيبي من ذلك أن تشهد لي بالبراءة من النار، مما نسبه إليّ أهل الزور، وتقوّله عليّ أهل الغرور، فإنه أخطأ في قوم فضلوا، وظنوا أني أسع من لا حدّ له، وأحمل من لا هيئة له، وأُحيط بمن لا كيفية له.

يا محمد من لا حدّ لذاته، ولا عدَّ لصفاته، فكيف يكون مفتقرًا إليّ أو محمولا عليّ، فإذا كان الرحمن اسمه، ولا الاستواء صفته ونعته، وصفته ونعته متصلان بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني؟ ولا أنا منه ولا هو مني.

يا محمد، وعزته لست بالقرب منه وصلا، ولا بالبعد عنه فصلا، ولا بالمطيق له حملا، ولا بالجامع له شملا، ولا بالواجد له مثلا.

بل أوجدني من رحمته: منّة وفضلا، ولو محقني لكان فضلا منه وعدلا.

يا محمد: أنا محمول حكمته، ومعمول قدرته، فكيف يصح أن يكـــون الحامــل محمولا، فــ- ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ -.

فأجابه لسان حاله ﷺ: أيها العرش، إليك عني، فأنا مشغول عنك، فلا تكدّر علي صفوتي، ولا تُشوش عليّ [خلوتي][1]، فما في الوقت سعة لعتابك، ولا محل لخطابك.

فما أعاره ﷺ طرفًا، ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفًا ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[النجم:١٧].

ثم قدم المركب السادس، وهو التأييد فنودي من فوقه، ولم يَر. ((حافظك قدامك [رفيقك، قدامك حبيبك][2]، ها أنت وربك)).

قال: فبقيت متحيرًا، لا أعرف ما أقول، ولا أدري ما أفعل، إذ وقعت على شفتي قطرة أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، وأطيب ريحًا مـــن المســـك، فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل، قـــال: فجرى على لســـاني: التحيـــات المباركات لله، الصلوات الطيبات لله، فأجبت: السلام عليك أيها الـــنبي ورحمـــة الله وبركاته، فأشركت إخواني الأنبياء فيما خصصت به، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)).

أراد بهم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

ولهذا قيل لأبي بكر - رضي الله عنه - ليلة أسري برسول الله ﷺ: إنه رأى ربه؟ قال: ((صدق، وكنت معه متمسكًا بأذياله، مشاركة في مقالة.

قيل: كيف؟

قال في قوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فأجابه الملائكة: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسوله.

---

(١)هكذا في (ع) والذي في (أ) خلقي.
(٢)ما بين [ ] ليس في (ش).

قال: ثم نوديت، ادن يا محمد، فدنوت، ثم وقفت، وهو معنى قوله – عز وجل – ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم:٨]،وقيل: دنا محمد في السؤال، فتدلى، فتقدّم للـــرب – عـــز وجل –.

قيل: دنا بالشفاعة، وتقرب إلى الرب بالإجابة.

وقيل: دنا بالخدمة، وتقرب للرب بالرحمة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم:٨]،معناه: دنـــا محمد من ربه، فتدلى عليه الوحي من ربه، دنا لطافة، فتدلى عليه رأفة ورحمة.

لا يُوصف بقطع مفازة ولا مسافة، قد ذهب الأين من البين، وتلاشى الكيـــف، واضمحل الأين، فكان قاب قوسين، فلو اقتصر على قاب قوسين، لاحتمل أن يكون للرب مكان، وإنما قوله - أَوْ أَدْنَى – لنفي المكان، وكان معه حيـــث لا مكـــان ولا زمان، ولا أوان ولا أكوان.

فنودي: يا محمد تقدم.

فقال: يا رب إذا انتفى الأين، فأين أضع القدم؟

قال: ضع القدم على القدم[١] حتى يعلم الكل أني مُنزّه عـــن الزمـــان والمكـــان والأكوان، وعن الليل وعن النهار، وعن الحدود والأقطار، وعن الحد والمقدار.

يا محمد: انظر، فنظر فرأى نورًا ساطعًا، فقال: ما هذا النور؟

قيل: ليس هذا نورًا، بل هو جنات الفردوس، لما ارتقيـــت صـــارت في مقابلـــة [أخمص مثل النور][٢] يا محمد انظر: فنظر فرأى دخانًا مظلمًا فقال: ما هذه؟ قال: هذه النيران صارت في مقابلة قدميك، وما تحت قدميك: فداء لقدميك.

يا محمد، مبدأ قدمك منقطع أوهام الخلائق.

---

(١)المعنى: ضع رجلك على ما قدمنا لك من دار الكرامة للخلق وهي الجنة، إذ ســـقفها عـــرش الرحمن، وقد قيل: إن النبيّ ﷺ أصعد على العرش، وهو ما يقصد بقوله: "لما ارتقيت صارت في مقابل قدميك" يعني الجنة، والله أعلم.

(٢)ما بين [ ] سقط من (ش).

يا محمد: ما دمت في حيز الأين، فجبريل دليلك، والبراق مركبك.

فإذا ذهب المكان، وغبت عن الأكوان، وانتفى الأين، وارتفع البين من البين، و لم يبق إلا قاب قوسين، فأنا الآن دليلك.

يا محمد: [هاأنا][1] أفتح لك الباب، وأرفع لك الحجاب، وأسمعك طيب الخطاب [وأسقيك أعزب الشراب، يا محمد: أنت][2] في عالم الغيب.

وحدتني تحقيقًا، وإيمانًا، فوحدني الآن في عالم الشهود، مشاهدة وعيانًا.

«فقال: أعوذ بعفوك من عقوبتك»[3].

فقيل: هذا لعصاة أُمتك، ليس هذا حقيقة مدعي وحدتي.

فقال: «لا أُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[4].

فقال: يا محمد إذا كلّ لسانك عن العبارة، فلأكسونه لسان الصدق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم:٣]،فإذا ضلّ عيانك عن الإشارة، فلأجعلن عليك خلعة الهداية ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧]،ثم لأعيرنك نورًا تنظر به جمالي، تسمع به كلامي، ثم أعرفك بلسان الحال معنى عروجك عليّ، وحكمة نظرك إليّ.

فكأنه يقول مشيرًا: يا محمد ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الاحزاب:٤٥]،والشاهد مطالب بحقيقة ما شهد به، ولا يجوز له الشهادة على غائب، فأريك جنتي، لتشاهد ما أعددته لأوليائي، وأُريك ناري لتشاهد ما أعددته لأعدائي، ثم أشهدك جلالي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أني متره في كمالي عن المثيل والشبيه والبديل [والعديل][5] والنظير والوزير والمشير، وعن الحد والقدّ، وعن الحصر والعدّ،

---

(١)ما بين [ ] ليس في (ش، ع).

(٢)ما بين [ ] سقط من (ش).

(٣)رواه مسلم (٤٨٦) عن عائشة مرفوعًا.

(٤)رواه مسلم (٤٨٦) عن عائشة مرفوعًا.

(٥)ما بين [ ] سقط من (ع).

وعن الزوج والفرد، وعن المواصلة والمفاصلة، والمماثلـــة، والمشـــاكلة، والمجالســـة، والملامسة، والمباينة، والممازجة.

يا محمد: إني خلقت خلقي ودعوتهم إليّ، فاختلفوا عليّ.

فقوم: جعلوا العزير ابني، وأن يدي مغلولة، وهم: اليهود.

وقوم: زعموا أن المسيح ابني، وأن لي زَوجة وولدًا وهم: النصارى.

وقوم: جعلوا لي شركاء، وهم: الوثنية.

وقوم: جعلوني صورة، وهم: المجسمة.

وقوم: جعلوني محدودًا، وهم: المشبهة.

وقوم: جعلوني معدومًا، وهم: المعطلة.

وقوم: زعموا أني لا أرى في الآخرة، وهم: المعتزلة.

وها أنا قد فتحت لك بابي، ورفعت لك حجابي، فانظر يا حبيبي يا محمد، هـــل تجد في شيئًا مما نسبوني إليه.

فرآه ﷺ بالنور الذي قواه به، وأيده به من غير إدراك ولا إحاطة، فردًا صمدًا، لا في شيء، ولا على شيء، ولا قائمًا بشيء، ولا مفتقرًا إلى شيء، ولا هيكلاً ولا شبهًا، ولا صورة، ولا جسمًا، ولا محيزًا، ولا مكيفًا، ولا مركبًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـــيْءٌ وَهُـــوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

فلما كلمه – سبحانه – شفاهًا، وشاهده كفاحًا، فقال: يا حبيبي يا محمد: لابد لهذه الخلق من سر لا يذاع، وزمن لا يشاع ﴿فَـــأَوْحَى إِلَـــى عَبْـــدِهِ مَـــا أَوْحَـــى﴾[النجم:١٠].فكان سر من سر في سر.

وقال أيضًا في خلال كلامه: قدس الله روحه، ونوّر ضريحه:

يا من ظعَن عنه الشباب، وخلقه وراء الحجاب، يرفل في ثياب الإعجاب.

يا من هَجم عليه الشيّب وهو مختبأ في طلة الغَيّب، إلى متى يكون إيابك، وحـــتى

متى يكون غيابك، وإلى متى يرجى اقترابك، متى يكون صلاحك حتى يُرجى فلاحك، قم إلى العلي أجد لعلتك دواء لغليلك شفاء، فأنا غسّال الذنوب، أنا شعاب العيـــوب تنال الحب على المحبوب، أنا طبيب القلوب أنا سمسار من يتوب، أنا سفير من يؤوب، أنا راقي من لذعة الكروب، أنا ساقي من صَفي له المشروب أنا راقية المجنون أنا سلوة المحزون أنا حادي ركائب المنقطعين، أنا سائق سياق المختلفين، أنا قائد رفد السائلين، أنا خادم دَولة المفتقرين، أنا سلاح المسَاكين، أنا مَعْبَر زاد السَّالكين، أنا مُنشد ضـــالّة الفَاقدين، أنا مُطرب سَمَاع الوَاجدين، أنا مغذي أفهام الطالبين، أنا مُـــربي أطفـــال المريدين، أنا لسان حال المقصرين، أنا رَافع قبضة المنكسرين، أنا مقيم أعذار المفرطين، أنا سَمير حضرة المحبين، أنا جليس الذاكرين، أنا مُوقد نار المشتاقين، أنا تنبيه قلـــوب الغافلين، أنا مستمطر عَبَرات البَاكين، أنا مستقر زَفرات الشَّاكين، أنا راوي حـــديث ذاك الجناب برموز ما سطرت في كتاب، من علوم أخذها من أُناس علموا في الجواب فَصل الخطاب.

فتيـــــة في هـــــوى تَفَـــانُوا ... فلهـــذا أعـــدوا مـــن الأحبـــاب

أدبـــوا ثم هـــذبوا ثم لمـــا ... قربـــوا عنـــد سَاحة الاقتـــراب

شربوا من مُدامة الحب صـــرفًا ... سكروا من لذيـــذ ذاك الشَّـــراب

ما لسكر المحب في الحـــب حـــدّ ... فمـــلام الحـــب غـــير صـــواب

حجبوا بالحبيب عن مـــا ســـواه ... فتجلـــى لهـــم بغـــير حجـــاب

فيه طـــابوا وفي تجليـــه ذَابُـــوا ... واستطابوا عليه ضـــرب الرقـــاب

فيه تاهوا لَمّاَ وعوا باسمـــه يـــا ... هو واستجابوا للمعضلات الصِعاب

لو تراهم وسقمهم قـــد بـــرأهم ... بخضـــوع وذلـــة وانتحـــاب

جرعوا الصبر في هواه فطـــابوا ... وبـــه اســـتعذبوا ألـــيم العـــذاب

قف على الباب خاضعًا وذلـــيلا ... مستقيلا من عثـــرة الاكتســـاب

وتضـرّع إلى مَليـك وارفـع قصـة | الــذنب في ســطور المــآب
لعســى العفــو أن يَقَــع فيهـا | ويــزول الجـو أبــرد الجَــواب

وقال أيضًا: وهو بحرم مكة – زادها الله شرفًا –: الحمد لله ذي القدرة الــتي لا تُضاهى، والحكمة التي لا تتناهى، والقسمة التي لا يطيق خلق أن يتعداها، الذي تعزز في أزليته فلا يعرف الأول أولا وتسرمد في أبديته فلا يعرف الآخر أخراها، وتقدس في أحديته فلا تتخيل العقول حَلاّها، كيف تعرفه العقول، وقد عقلها عن بلوغ مُنَاهــا، وكيف تُنكره النفوس وقد ألهمها فجورها وتقواها، وكيف يمثله الجَهُول وقد أعجــزه عن معرفة نفسه كيف سَوّاها، وكيف تعطله الطلول وهو أغطــش ليلــها وأخــرج ضحاها، من ذا الذي رَفع سُمك السماء، وعلى غير عمد بَنَاها، مــن ذا الــذي دَوَّرَ أفلاكها، وفي قضاء بيدي مشيئته سَخرها ومشاها، من ذاً الذي سخر أملاكهــا، وفي حمَى حمايته حَماها، من ذا الذي قال للسموات والأرض: ائتيا طوعًا أو كرهًا فأتت طَائعة حين دَعَاهَا، من ذا الذي يعلم خفايا الغيوب وما في طواياها، من ذا الذي ينظر طَوَايا القلوب وما في زواياها، من ذَاَ الذي يَسمع أنه العليل أو هو في علة أبداها، من ذا الذي ينفع نملة الغليل إذا اشتكى طمأة، من ذا الذي يرحم زلة الذليل إذا الخطــب الجليل وافاه، من ذا الذي ستر زلة الخاطئ وغطّاه، من الذي قبل توبة العاصي، ومــن صحائف السيئات مَحاها، من ذا الذي تجلى على قلوب أوليائه ومــن دون الشــرك جَلاها، من ذا الذي أدار كُؤس مَحبته على ندمان حضرته فسَقاهَا، من ذا الذي جعل خليفته من قبضتين فهذه أسعدها وارتضاها، وهذه أبعدها وأشقاها، من ذا صَــوَّرك فأحسن صورك، ونسَّق سمعك، وبصرك ثم برحمته شملك هو على كف قدرته حملك، وجعل على يمينك ملكًا وعلى شمالك مَلكًا ينقلان عملك إليه في كتــاب لا يُغــادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، انظر إلى الجبال كيف أرساها ثم فناها، ولو كان غيره ما فناها، وانظر إلى الغياض كيف اهتزت رباها إذا هو بلطيف حكمته رباها، وانظــر إلى الأرض كيف دَحاها، ونشرها من تحت هذه البقعة الشريفة بعدما طواها، فسبحان من شرّف هذه البقعة واصطفاها، وجعلها حمًا لمن حام حولها وَحمَاها، وحرمًا آمنًا لمن وفّى ما عليه حين وافاها، ووجهه لمن واجهها اتجاهًا فأراد عنده جاهًا، فهي التي هَاجر

منها الحبيب وما هَجرها ولا قلاها، وما انقلب قلبه إلى قبلة سواها، حتى نزل عليـه الأمين جبريل في آيات تَلاها، قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّـمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّــكَ قِبْلَــةً تَرْضَاهَا، فول بوجهات الحسن المُغدي إليها حين وجهت اتجاهًا، فإن إبراهيم أباكَ قدما الأجل رضاك عنا قد بناها، وإسماعيل طاف بها ولبَّى وطهّر المشتاق أتاها، هو البلـد الأمين وأنت حل، فطأها يا أمين فأنت طه.

ولـولا أنـت حـل في زراهـا | لما تشـرفت ولا حميـت حماهـاَ
توجد حيث كنت لهـا وكـبر | ولا تعـدل إلى شـيء سـواهاَ
ووجـه الله قبلـة كـل قلـب | لمـن شـهد الحقيقـة واجتلاهـاَ
وهذا البيت بيـت الله بشـرى | لنفس فيـه قـد بلغـت مُنَاهـاَ
وهذا الحجـر والحجـر المفـدا | وزمـزم والحطـيم ومـا رَماهـاَ
فهل عنـد مشـهدها كفاحًـا | وزَمـزم عنـد زمزمهـا شَـفاهاَ
فهذا الفخر إن حاولـت فخـرًا | وهذا الجـاه إن حاولـت جَاهـاَ
فيا حُجـاج بيـت الله طُوفـوا | بكعبتــها ولَبّــوا في ذراهــاَ
فطـوبى ثم طـوبى ثم طـوبى | لـنفس في مـنى بلعـت مُناهـاَ
فقـل للناسـكين بكـل فـج | لهـم حـج وحـج مـا تناهـاَ
فلـيس الحـج أولا وسـيرا | ولا قطـع المراحـل في سـراهاَ
وليس النسك تقصـيرًا وحلقًـا | وسـعيًا ثم بـالنَّحر يَرْبَاهــاَ
فلا يجري لسعي الإخلاص حقًـا | ونيتــه الــتي فيهــا نَواهــاَ
وإقلاع عـن العصـيان جميعًـا | وتجريـد بنفسـك عـن هواهـاَ

وإنفـــــاق وإرفـــــاق ودُرّ لـذي الحاجـات مما قـد عَـرَاها
وتقـــوى الله أفضـــل زاد لـنفس بالتقـى عَـرفت هُـدَاها
إلـيك شَـدَدْتُ يـا مَـولايَ رَجـلاً وجـئت ومُجهـشٌ تشـكو ظماهـا
وللجـيران والضـيفان حـق علـى الجـار الكـريم إذا دعاهـا
وهـام الكـل حـول بيتك يا حبيبي ويـرجو إن وصـلك مـن قـراها

قال أيضًا: - عفى الله عنه - وهو بمكة - حماها الله وزادها شرفًا -...

يـا حـداة المطـي رفقـًا فإنـي من جـناب الحـبيب آنسـت نـارا
ضـقت السـير بالمطـي ودعهـا فـرحة القلـب مخلـع الأكـوارا
فلكـم قـد قطعـن شَـوقًا وسَـوقًا في وحـي الليـل سـهمًا وقفـارا
حـين سـعى إلى حمـاك عسـاها بخطاهـــا تُخفـــف الأوزارا
قـد آتيـناك للمـزايدة شُـعثًا يـا مَـزور آهـل تقـبل الـزّوارا
لـو بقـدر الأطـواق زرنـاك يـومًا لسـعينا علـى الجفـون صـغارا
قـد وقفـنا بـباب جـودك نـرجو منك عفـوًا يمحـو الذنـوب الكبارا
ولـنا مـنك حـرمة الجـار لّمـا لاذ بالجـار والـتجأ اسـتجارا
مـن سعى بالصـفا إلـيك اشتياقًا ثـم لبّـى واستمسـك الأسـتارا
فجديـر بـأن تـريد جمـالا بمعانـــيه حَيّـــز الأفكـــارا
أنـت لـولاك مـا حبسـت قلوصي يطـــول أناشـــد الإنـــارا
لـولا طفـت بالـزروع سـبوعًا في طـــوافي أقـــبل الأحجـــارا

مـا الصـفا مـا الحطـيم مـا لبيـت　　　لـولاك تولـت عنهـا القلـوب فـرارا
مـا وقـوفي عنـد المشـاعر لـولا　　　جعـل الـذكر للقلـوب شـعارا
رميـت جمـرة الهـوى بفـؤادي　　　قبـل أن يعـرف الحجـيج الجمـارا
هذه كلـها إشارات سر يجتليها　　　مـــن يفهـــم الأســـرارا
يــا ** ولــي دع المَــلامِ فــإني　　　عــن عَزَائــي لا أسـتطيع اصـطبارا
أنـا سَـكران مـن غـرامٍ وشـوقٍ　　　لا تلمـــني إذا أخلعـــت العـــذارا
كيـف أصّـحُ مـن الهـوى وحبيبي　　　جعـــل القلـــب كعبـــةً ومَـــزارا
كلمـا طفـت حـول كعبـة قلـبي　　　يتجلـــــى الحبيـــــب جِهـــــارا
فهـــو بيتـــه مقـــدس تتلـــى　　　صـحف الـذكر في الرجـى أسـحارًا
فيــه خمــر يُطـاف بالكـأس منهـا　　　فـترى القـوم مـن شَـذَاها سـكارا
خمــرة تــذهل العقــول عليهـــا　　　ولـــديها تـــرى القلـــوب أســـارا
فتجـرّد علـى الوجـود وحـدها　　　كـي تُشـاهد في كأسـها الخمـارًا

وقال أيضًا - عفى الله عنه - في ليلة الإسراء:

سُـبحان مــن أُسـري إليـه بعبـده　　　في ليلـــة شُـــرّفت بطـــالع ســعده
أعطـاه مـــا لم يُعـط خلــق مثلــه　　　مـــن قلبـــه كـــلا ولا مـــن بعـــده
جبريــل حامــل بــرده لمــا ســري　　　لـــيلا وميكائيـــل نـــاظم عَقـــده
والأنبيـــاء بجمعهـــم وبعـــدّهم　　　جمعـــوا لـــه وكـــأنهم مـــن جنـــده

وسماء إلى فوق السماء وعلا على ... دَرج العُــلا لمــا عَــلا في جــده
ودنى إلى ذاك الجنــاب ولم تــزل ... دانٍ على قــرب المَــزَار وبعــده
في قاب قوسين دنــا مــن ربــه ... سمع الخطاب ولم يخف من ضــده
ما زاغ ذاك الطرف عنه ولا طغى ... ذاك الفؤاد ولا غدا عــن حــدّه
ولقد حجبت له وقد أسري بــه ... لــيلا يريــد تســترًا في قصْــده
هيهــات يخفــىَ طلعــة بــدره ... أو ينطوي نشــر العــبير بنَسْــلهِ

وقال – رضي الله عنه – في المحبة

من ذاق طعم المحبة * ومن شرب كأس الهوى * في العشق هايم حقه
* يعلو عن الأكوان *
من كان يا نور عيني * يهواك من دون الودي * ومن يدوم وصالك
* لا يطلب الأدوان *
فتشت مكنون قلبي * فلم أجد في طيّه * إلا سرائر حبك
* والشوق في العنوان *
أصبح فؤادي فارغ * مثل أم موسى في الهوى * لكن فرغ من سواكم
* ومنكم مَلأن *
يا حاضر فؤادي * يا غائب عن ناظري * لولاكَ ماَ شاَق قلبي
* نجد ولا نُعمان *
ترى زمان التواصل * يرجع وأيام المُنى * عسي بقرب التداني
* يَعزّ من قد هَانه *
قد قال عني قائل * أني نقضت عُهودكم * وَحياتُكم قد تقوك

* بالزُّور والبُهتّان *

وحق ما تقضني * من طيب أيام الرضى * ذا ما خطر في بالي

* ولا جَرى بلسانِ *

وكيف أصبر عنكم * أم كيف أسلو حبكم * وأنتم نَصب عيني

* تجلوا بكل مكان *

وصالكم بجبيني * والبعد عنكم قاتلي * وأنتم أهل ديني

* في السِّر والإعلان *

ما شئتموا فاصنعوا * فيّ حنوًا وصدوًا * هجرًا وكل ما يرضيكم

* عندي من الرضوان *

وقال أيضًا قَدّس الله روحه:

إن كان حل بقلبي سواك لا نلت المنى * وإن نويت سلوًا يومًا حرمت رضاكا

لولاك ما حنّ قلبي إلى الحما والمنحنى * ولا حبست قلوصي في رضاك رامة لولاكا

لا الروح راق لعيني * ولا الربوع تشوقي * ما الأنس لولا أُنسك

ما الملك والأملاك * أعزبت في الحسن جنتي * تحيّرت فيك العدا

وتاه فيك محبك * وحار في معناكا * وأحيّرة الكل إن لم

تدلهم سُبل الرضى * ومن يدل الحيارا * إلى الطريق سواكا

قد ضل من ظل غائبًا * عن باب قربك سيدي * وخاب يا نور عيني

من لم يقر بلقاك * يا مرضي وطبيبي * قد ذبت من طول الجفاَ

إن كان يرضيك قتلي * فروحي تكون فِدَاكاَ

وصل اللهم وسلم وبارك على أشرف مخلوقاتك، سيدنا محمد، بحـــر أنـــوارك،

ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وإمام حضرتك، وعروس مملكتك، وطراز ملكك، وخـــزائن رحمـــتك، وطـــريق شـــريعتك، وسراج جنتك، وعين حقيقتك، المتلذذ بمشاهدتك، عين أعيان خلقك، المقتبس من نور ضيائك، صلاة تحل بها عقدتي، وتفرج بهـــا كربتي، وتقضي بها أربي، وتبلغني بها طلبي، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، قائمة بذاتك، صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يا ربّ العالمين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم،

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله كتاب الشجرة وما يتعلّق به من كلامه - رضي الله عنه - وأرضاه

وجعل الجنة منقلبه ومثواه، إنه ولي ذلك والقادر عليه

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فهرس الكتاب

الباب الخامس

في المأمورات الباطنة

الباب السادس

في المنهيات الباطنة

الباب السابع

في الإحسان العام

الباب الثامن

في ضروب من الإحسان المذكور في كتب الفقه

الباب التاسع

في الإحسان بإسقاط الحقوق

الباب العاشر

في الإحسان ببذل الأموال

الباب الحادي عشر

في الإحسان بالأخلاق والأعمال

الباب الثاني عشر

في الإحسان بالأقوال

الباب الثالث عشر

في الإحسان بالدعاء القاصر والمتعدي

الباب الرابع عشر

في المناهي في الظاهر

الباب الخامس عشر

في المأمورات الظاهرة

الباب السادس عشر

وفيه فوائد متفرقة

الباب السابع عشر

في الإحسان المتعلق بالجهاد

الباب الثامن عشر

في تعريف المصالح والمفاسد وما يقدم منها عند التعارض

الباب التاسع عشر

في حسن العمل بالظنون الشرعية

الباب العشرون

في الورع

كتاب الشجرة